المركز القومى للترجمة

سوفوكليس

فيلوكتيتس

ترجمة وتقديم وتعليق: منيرة كروان

1248

روائع الدراما العالمية

المشروع القومى للترجمة

فيلوكتيتس

المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلســـلة: روائـــع الدرامـــا العالميـــة
المشرف على السلسلة: أحمد سخسوخ

- العدد: ١٢٤٨
- فيلوكتيتس
- سوفوكليس
- منيرة كروان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة مسرحية:
Φιλοκτήτης
Σοφοκλῆς

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

فيلوكتيتس

تأليف

سوفوكليس

ترجمة وتقديم وتعليق

منيرة كروان

٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

سوفوكليس، (حوالى ٤٩٦-٤٠٦ ق.م)
فيلوكتيتس/ تأليف: سـوفوكليس، ترجمة وتقديم وتعليق: منيرة كروان،
ط١ – القاهرة، المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩م.
٢٤٤ ص، ٢٤ سم.
١- المسرحيات اليونانية
أ- كروان، منيرة (مترجم ومقدم ومعلق)
ب- العنوان ٨٨٢

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٤٧٤٥
الترقيم الدولى: 978-977-479-099-8
طبع بمطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

مقدمة

فى الكتاب الثانى من ملحمة الإلياذة يشير هوميروس باقتضاب إلى فيلوكتيتس، وهو أحد قادة الإغريق الذين شاركوا فى حملة خرجت من بلاد اليونان لاستعادة هيلين – زوج مينيلاوس – والانتقام من أهل طروادة جميعًا بسبب صفاقة الأمير باريس، ابن الملك الطروادى برياموس. يقول هوميروس عن فيلوكتيتس:

> أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى ميثونى وثاوميكا وفى ميليبويا وأوليزون الوعرة، فقد كان يقودهم هم وسفنهم السبع، فيلوكتيتس الذى يجيد الرماية. وقد كان فى كل سفينة خمسون مجدفًا تمرسوا فى القتال بالقوس. ولكن فيلوكتيتس كان يرقد فى جزيرة وقد ألمت به آلام موجعة، إذ تركه أبناء الآخيين (مضطرين) وهو يعانى من جراء جرح أصابه به ثعبان مميت من ثعابين البحر. على أنه لن يمضى وقت طويل قبل أن تتذكر جموع أرجوس الملك فيلوكتيتس وهم بجوار سفنهم.

(الكتاب ٢، ٧١٦ – ٧٢٧)

أما بخصوص هيلينوس – ابن برياموس الذى يقع أسيرًا فى أيدى الجانب الإغريقى ويتنبأ لهم بأن طروادة لن تسقط إلا بسهام هيراكليس التى كانت فى حوزة فيلوكتيتس فى جزيرة ليمنوس، وهى النبوءة التى تلعب دورًا حيويًا فى حبكة تراجيديا سوفوكليس – فقد كان لا يزال يعيش فى القصر الملكى الطروادى حتى نهاية الملحمة التى تخلو من مجرد الإشارة لمصيره.[١]

وفى ملحمة الأوديسية لا يُذْكَر الشاعر فيلوكتيتس سوى فى موضعين، يصفه فى أحدهما بأنه كان أفضل من يجيدون استخدام القوس فى طـــروادة (الكتاب ٨، ١٦٩)، وفى الموضع الآخر يذكر اسمه ضمن من عـــادوا إلــى ديارهم سالمين بعد الحرب (الكتاب ٣، ١٩٠).[٢]

فمن أين استقى سوفوكليس المادة الأسطورية لمسرحيته فيلــوكتيتس؟ من المعروف أنه بعد هوميروس جاء مجموعة من الشعراء كتبــوا قصــائد تدور حول الحرب الطروادية. وقد أطلق على ناظمى هذه الأشعار الملحمية لقب أبناء هوميروس، واشتهرت أشعارهم باسم "الحلقة الملحميــة"، وهــى تتكون من ثلاث عشرة قصيدة لم يصلنا منها سوى شذرات متفرقة. وعناوين هذه القصائد هى: الإلياذة الصغرى (Mikra ILias)، وتدمير طروادة (Iliou Persis)، والأثيوبية (Aithiopis)، والقبرصية (Kypria)، ورحـــلات العـــودة (Nostoi)، ومعركة التياتن (Titanomachia)، وقصة أوديب (Oidipodeia)، والطيبيـــة (Thebais)، وقصـــة تيليجونـــوس (Telegonia)، والخلفـــاء (Epigonoi)، وفتح أويخاليا (Oichalias halosis)، وقصة فوكايا (Phokais)، ورحيل أمفياروس (Amphiarou exelasis).[٣]

ويهمنا هنا ثلاث فقط من ملاحم الحلقة الملحميـــة، هـــى القبرصـــية، والإلياذة الصغرى، وتدمير طروادة، حيث إنها تشير إلى أسطورة فيلوكتيتس، سواء قبل الحرب الطروادية أو بعدها، فإن ملحمة " القبرصـــية " (Kypria)، والتى تُنسب إلى الشاعر ستاسينيوس (Stasinius)، من قبرص (نحو القـــرن الثامن ق.م.)، تحكى كيف أصيب فيلوكتيتس بجرح فى ساقه جـــراء لدغـــة ثعبان سام له. وبعد تقيح جرحه وسوء حالة قدمه وما عاناه من ألم رهيـــب جعله لا يكف عن الصراخ ليلاً أو نهارًا، اضطر الإغريق إلى تركـــه فـــى جزيرة ليمنوس، وواصلوا بعد ذلك إبحارهم إلى طروادة.[٤]

وتُنسب ملحمة الإلياذة الصغرى (Mikra Ilias) إلى الشاعر ليسيخيس (Lesches) من ميتلينى (نحو ٧٠٠ ق.م.)، فى حين تُنسب ملحمة تدمير طروادة (Iliou persis) إلى الشاعر أركتينيوس (Arctinus) من ميليتوس (نحو ٧٧٠ ق.م.)، وهما تركزان على ما حدث لفيلوكتيتس بعد ترك الإغريق له فى جزيرة ليمنوس. وبفضل عالم النحو بروكلوس (Proclus) (نحو ١٤٠م) وصل إلينا ملخص فى صورة نثرية لتلك الملاحم المفقودة.

ولكن لماذا توقف الإغريق فى جزيرة خريسى حيث أصيب فيلوكتيتس؟ لقد أشار هوميروس فى ملحمة الإلياذة أكثر من مرة إلى جزيرة خريسى، وفى مواضع مختلفة:

فعندما يرفض أجاممنون قبول الفدية التى يقدمها كاهن الإله أبوللو خريسيس ليفتدى بها ابنته الشابة خريسئيس يبتهل الكاهن إلى الإله قائلاً:

لتستمع إلى دعائى يا ذا القوس الفضى الذى يرعى خريسى وكيللا

المقدسة، يا سيد تينيدوس (يا رب) سمنثيوس

(الكتاب ١، ٣٨ – ٣٩)

وفى حديث العراف كالخاس عن سبب غضب الإله أبوللو الذى وقع على رأس الإغريق على هيئة طاعون أصاب أفراد الجيش، يشير إلى جزيرة خريسى عندما يقول:

ولهذا فإن الإله الذى يطلق سهامه بعيدًا قد

صب المآسى فوق رءوس الدانائيين، وسوف يستمر فى ذلك

ولن يبعد عنهم الطاعون الممقوت حتى يعيدوا الفتاة ذات العيون

البراقة إلى أبيها دون أن يشتريها أو يدفع فدية عنها، وحتى

تقدموا محرقة من الذبائح فى خريسى، حينئذٍ قد نفلح فى تهدئة

غضب الإله ونتوصل إلى إرضائه.

(الكتاب ١، ٩٦ – ١٠١)

يمتثل الإغريق لنصيحة الكاهن، وبالفعل تسرع سفنهم إلـى جزيـرة خريسى حاملة ابنة الكاهن ومعها كثير من القرابين للربة خريسـى، وهـو المشهد الذى يصفه هوميروس على لسان أخيليوس فى أثناء حديثه مع أمـه. يقول أخيليوس:

وفى أثناء ذلك كان أوديسيوس ورجاله

قد وصلوا إلى خريسى ومعهم أضاحى القربان المقدس. وعندما

وجدوا أنفسهم فى مياه الميناء العميقة لفوا الشراع ووضعوه فى

السفينة السوداء ثم جذبوا الصارى إلى أسفل من الحبلين اللذين

يصلان بين رأسه وبين مقدمة السفينة حتى استقر على دعامة.

وبعد ذلك جدفوا بالسفينة بسرعة حتى وصلوا إلى المرسى ثم

قذفوا بحجارة الإرساء (فى العمق) وثبتوا حبال مؤخرة

السفينة وذهبوا إلى شاطئ البحر، فأنزلوا أضاحى القربان

المقدم إلى أبوللو الذى يطلق سهامه بعيدًا، فى حين نزلت ابنة

خريسيس كذلك من السفينة التى تجوب البحار. بعد ذلك قادها

أوديسيوس الواسع الحيلة إلى المذبح حيث سلمها إلى أبيها.

(الكتاب ١، ٤٣١ – ٤٤٠)

وعندما اطمأنت نفس الكاهن وفرحت روحه لنجاة ابنته توسل إلى الإله أبوللو أن يرفع مقته وغضبه عن الأخيين:

استمع إلى (فى دعائى) يا صاحب القوس الفضى، يا حامى (مدينتى)
خريسى وكيللا المقدسة، أيها السيد الأعلى لتينيدوس، إنى
أهيب بك، كما استمعت إلى ابتهالاتى من قبل فأنصفتنى وضربت
على أيدى الأخيين. فإنى أبتهل إليك الآن أن تحقق مطلبى فترفع
عن الدانائيين هذا الطاعون الممقوت.

(الكتاب ١، ٤٥١ – ٤٥٦)

فالحديث عن جزيرة خريسى فى الإلياذة يرتبط بقصة خريسيس كاهن الإله أبوللو وابنته خريسئيس التى لعبت دورًا مهمًا فى أحداث الملحمة، ولكن هوميروس يلتزم الصمت تمامًا فيما يتعلق بما تذكره المصادر الأخرى غير الملحمية عن واقعة مرور الإغريق فى طريقهم إلى طروادة على تلك الجزيرة. تقول الأساطير المتأخرة إن النبوءة أخبرت الإغريق بضرورة توقفهم فى معبد الربة خريسى لتقديم القرابين ونيل رضاء الربة حتى يمكنهم مواصلة رحلتهم بسلام. وعلى ما يبدو كان الجميع يجهل مكان هذه الجزيرة، باستثناء فيلوكتيتس. فقد سبق أن جاء فيلوكتيتس برفقة صديقه البطل هيراكليس إلى هذه الجزيرة وقدما القرابين إلى ربتها الحامية فى أثناء رحلتهما إلى مدينة طروادة، وذلك لعقاب لاؤميدون (Laomedon) – والد برياموس – على رعونته وحنثه بوعده لهيراكليس.

تقول الأسطورة إن ملك طروادة لاؤميدون – والد برياموس – رفض أن يقدم القرابين إلى الإلهين بوسيدون وأبوللو وشكرهما على بنائهما الأسوار التى أحاطت بمدينة طروادة، ومنحتها الحصانة والمناعة أمام غارات

المغيرين، وهو الحائط الذى يشير إليه الإله بوسيدون فى حديثه مع كبير الآلهة زيوس. فقد شعر بوسيدون بالغيرة عندما رأى الحائط الذى بناه الإغريق، وبث مخاوفه لزيوس أن البشر قد يتذكرون هذا الحائط وينسون ذلك الذى بناه هو وأبوللو فى زمن الملك الطروادى لاؤميدون:

سوف يطوى النسيان ذلك الحائط الذى بنيناه أنا وأبوللو
فويبوس (الوضأ) للبطل لاؤميدون، وتكبدنا مشقة بنائه.

(الكتاب ٧، ٤٥١ – ٤٥٣)

ولكى يتغلب لاؤميدون على غضب الآلهة الذى تمثل فى تفشى الطاعون فى المدينة وظهور وحش بحرى عاث فى المدينة فسادًا، أخبرته النبوءة بضرورة تقديم ابنته الشابة هيسيونى (Hesione) قربانًا لذلك الوحش.(٥) ولكن البطل هيراكليس نجح فى إنقاذ حياة هيسيونى، بعد أن وعده أبوها بأنه سوف يمنحه خيوله الخالدة شكرًا له إذا نجح فى ذلك. نقض الملك وعده بعد أن أنقذ هيراكليس هيسيونى، وبدلاً من خيوله الخالدة، أعطاه خيولاً عادية. قرر هيراكليس عقاب الملك الخائن فسار برفقة صديقه فيلوكتيتس فى حملة صغيرة ضد طروادة بعد أن توقف بعض الوقت لتقديم القرابين إلى الربة خريسى فى معبدها فى الجزيرة التى تحمل اسمها.

لا يشير هوميروس فى الإلياذة إلى اصطحاب هيراكليس لصديقه فيلوكتيتس فى حملته ضد طروادة، كما لا يشير إلى توقفهما فى جزيرة خريسى – رغم كثرة إشارته إلى الجزيرة كما سبق أن لاحظنا – ولكنه يذكر حادثة تدمير هيراكليس للمدينة فى أكثر من موضع. فهو يذكرها مرة على لسان ابن هراكليس المسمى تليبوليموس عندما يقول متفاخرًا مزهوًا بأبيه:

يقولون إن هيراكليس المجيد أبى
كان نوعًا آخر من الرجال، قويًا فى القتال، له قلب

أسد. وجاء إلى هنا ذات مرة طلبًا لخيول
لاؤميدون. ولم يكن معه سوى ست سفن
وعدد أقل من الرجال، ولكنه دمر مدينة اليوس
وخرب طرقاتها.

(الكتاب ٥، ٦٣٨ – ٦٤٣)

وعلى لسان ساربيدون – قائد الليكيين – يذكر هوميروس فى ملحمة الإلياذة البطل فيلوكتيتس، ويشير أكثر من مرة إلى جزيرة خريسى، كما يشير إلى البطل هيراكليس وتدميره مدينة طروادة عقابًا لملكها لاؤميدون، لكنه لا يذكر الحادثة التى تجمع البطلين بجزيرة خريسى، وأعنى بها مرورهما على جزيرة خريسى لتقديم القرابين إلى ربتها الحامية، وهى الجزيرة التى توقف فيها الإغريق بعد ذلك أيضًا، فى أثناء توجه حشودهم إلى مدينة طروادة لعقاب أميرها باريس وكل الطرواديين على تطاوله واختطافه هيلين الجميلة، زوج الملك مينيلاوس، كما تحكى المصادر بعد هوميروس. كما أن الإلياذة تنتهى قبل أن يقع هيلينوس – ابن الملك الطروادى برياموس – أسيرًا فى أيدى الإغريق، وإعلانه النبوءة التى كانت الدافع الوحيد إلى سعى الإغريق إلى إعادة فيلوكتيتس إلى صفوفهم المحاربة فى طروادة من الجزيرة التى أمضى فيها السنوات العشر الماضية. ومع أن هوميروس لا يذكر صراحة اسم الجزيرة التى ترك فيها الإغريق فيلوكتيتس مضطرين بسبب الجرح الذى أصاب قدمه جراء لدغة ثعبان مميت من ثعابين البحر،(٦) فإن كل المصادر تتفق على أنها جزيرة ليمنوس، ولكنها تختلف فيما بينها فى جعل المدينة مأهولة بالسكان أو خالية منهم.

ففى الإلياذة، وفى أشعار الحلقة الملحمية، كانت ليمنوس جزيرة مأهولة بالسكان، بل لقد كانت مركزًا تجاريًا مهمًا، واشتهرت بجودة النبيذ الذى يباع فيها بشكل خاص. ففى الإلياذة يقول هوميروس:

وكانت السفن الكثيرة قد أحضرت الخمر

من ليمنوس. فقد أرسلها أيدينوس بن ياسون

الذى أنجبته هيبسيبلى من ياسون راعى الشعوب.

لقد أرسل ابن ياسون ألف مكيال من النبيذ

لولدى أتريوس، أجاممنون ومينيلاوس، وحدهما.

واشترى الأخيون ذوو الشعر الطويل حاجتهم من الخمر،

لقد اشتراه بعضهم بالبرونز وبعضهم بالحديد اللامع

والآخرون مقابل الدروع المصنوعة من جلد الثيران، والبعض

الآخر بالثيران الحية، والبعض الآخر مقابل العبيد،

ثم أقاموا مأدبة فاخرة.

(الكتاب ٧، ٤٦٧ – ٤٧٦)

وفى موضع آخر يؤكد هوميروس أن جزيرة ليمنوس كانت مأهولة بالسكان، حيث تكثر فيها عمليات البيع والشراء، ففيها باع أخيليوس ليكاؤن ابن برياموس من قبل عندما وقع فى قبضته:

حينئذ أخذه فى السفن إلى ليمنوس الآهلة بالسكان

وعرضه للبيع فاشتراه ابن ياسون ودفع ثمنه. ولكنَّ

ضيفًا صديقًا لأبيه، هو ائيتيوس من إمبروس، افتداه بمبلغ

كبير وأرسله إلى أريسبى الإلهية، ومن هناك هرب

سرًا وجاء إلى بيت أبيه. هكذا جاء من ليمنوس، ومنذ

أحد عشر يومًا يمرح مع أصدقائه. وفى اليوم الثانى عشر أوقعه الإله مرة أخرى فى أيدى أخيليوس.

(الكتاب ٢١، ٤١ – ٤٧)

وإذا كانت بعض المصادر لا تؤكد جزئية وجود سكان فـى جزيـرة ليمنوس، فإنها على الأقل تشير إلى أن الإغريق لم يتركوا فيلوكتيتس وحيدًا تمامًا في الجزيرة كما يقول سوفوكليس؛ بل تؤكد أنهم تركوا معـه بعـض الأشخاص حتى يقوموا على خدمته ويساعدوه، وأهم هذه المصـادر العمـل المسمى " البطل " (Heroicus) الذى كتبه فيلوسـتراتوس (Philostratus)،[٧] والذى يحتوى على محاورة بين تاجر فينيقى وأحد العمال الـذين يجمعـون الكروم، حيث يتناقشان حول حقيقة وجود الأبطال. ومن اللافـت للنظـر أن فيلوستراتوس ولد وعاش فى جزيرة ليمنوس التـى تقـول الأسـطورة إن فيلوكتيتس عاش فيها عشر سنوات حتى عاد إليه من ينقذه ويعود بـه إلـى طروادة.

وسواء أجعلت الرواية الأسطورية ليمنوس مأهولة بالسكان أم تخلـو تمامًا منهم، وسواء أجعلت الإغريق يتركون فيلوكتيتس وحيدًا أم تركوا معه بعض الأشخاص، فمن المؤكد أن كل الروايات الأسطورية تتفق فى أنه بعد مرور عشر سنوات كان البطل الجريح لا يزال يعانى ويتألم، بل لقـد زادت حالته سوءًا، سواء من الناحية الجسدية أو النفسية التى زادت بالقطع من حنقه على الإغريق الذين كانوا لا يزالون رابضين أمام أسوار طـروادة دون أن يتمكنوا من تدميرها.

والآن، وبعد أن مات أخيليوس، وانتحر أياس، وضاقت السـبل أمـام ولدى أتريوس، طلبا مشورة العرافين. ولكن العراف كالخاس الذى تعـود أن يطلعهم على ما تخبئه لهم الأقدار، وعلى ما تريده منهم الآلهة، يخبرهم أنهم

يجب أن يعرفوا مصير طروادة من شفاه أخرى غير شفاهه، ومن فم عراف آخر غيره.

وأوصاهم أن يسألوا هيلينوس – ابن الملك بriاموس – الذى كان يحارب دومًا فى صفوف الطرواديين الأولى، ولكنه كان بارعًا أيضًا فى العرافة، وكان يجيد التنبؤ. وبعد خطة محكمة تفتقت عنها قريحة أوديسيوس الماكر الواسع الحيلة، نجح الإغريق فى إيقاع هيلينوس أسيرًا بين أيديهم. سأل الإغريق العراف الطروادى الأسير عما يجب عليهم فعله لكى ينجحوا فى تدمير مدينة طروادة الحصينة، فكانت إجابته أن عليهم أن يفعلوا شيئين:

١ – استدعاء نيوبتوليموس – ابن أخيليوس الشاب – من جزيرة سكيروس، ليحارب معهم وبين صفوفهم بعد أن يعيدوا إليه أسلحة والده الشهيرة.

٢ – إعادة فيلوكتيتس من جزيرة ليمنوس التى تركوه فيها مضطرين – حسب تعبير هوميروس – منذ عشر سنوات، فإن طروادة لن تسقط إلا بسهام هيراكليس القاتلة وقوسه الشهير الموجود فى حوزة فيلوكتيتس.

وفى الحال امتثل الإغريق لنبوءة العراف الطروادى، فذهب أوديسيوس إلى سكيروس لإحضار نيوبتوليموس لينضم إلى صفوفهم، فى حين ذهب ديوميديس إلى ليمنوس وأحضر فيلوكتيتس الذى شُفى من جرحه الأليم على يد ماخاون بن أسكليبوس. وبعد شفائه تمكن من قتل باريس فى نزال فردى، ثم جنبا إلى جنب نيوبتوليموس تمكن من تدمير طروادة.

هذه هى الخطوط العريضة لأسطورة فيلوكتيتس فى المصادر القديمة، وإن اختلفت بعض تفاصيلها من مصدر إلى آخر، فإن الإلياذة الصغرى جعلت قيام رحلة ديوميديس إلى ليمنوس لإحضار فيلوكتيتس تحدث قبل إحضار أوديسيوس نيوبتوليموس بن أخيليوس من سكيروس.

ومن الجدير بالملاحظة أن ديوميدوس – حسب الروايات المختلفة – لم يجد صعوبة تذكر فى إقناع فيلوكتيتس بالذهاب إلى طروادة.. فلحظة إخباره بالنبوءة التى تعده بالشفاء والمجد، لم يملك فيلوكتيتس سوى الموافقة على مطلبه.

ولكن الوضع اختلفت كثيرًا عندما عالج شعراء التراجيديا هذه الأسطورة، وهو ما سنفرد له الصفحات التالية.

أسطورة فيلوكتيتس فى الأدب

لقد تناول شعراء التراجيديا الإغريقية الذين بقيت لنا بعض أعمالهم أسطورة فيلوكتيتس، ورغم اختلاف معالجة كل مشاعر عن الآخر لهذه الأسطورة، فقد كان تركيز كل من أيسخولوس وسوفوكليس ويوربيديس على شخصية ذلك البطل وكيف سعى إلى مساعدة الإغريق من تلقاء نفسه وبنفس راضية، ولكنه يلقى منهم معاملة قاسية ولا إنسانية، بل لا أخلاقية، عندما يصاب بالمصادفة المحضة بلغة ثعبان سام. لم يفكر قادة الإغريق فى معاناة ذلك البائس سوى عندما جاءتهم النبوءة التى لا تكتفى بضرورة وجود أسلحة هيراكليس فقط شرطًا لسقوط طروادة، ولكنها تؤكد ضرورة وجود فيلوكتيتس – مالك أسلحة هيراكليس– بلحمه ودمه بين قوات الإغريق التى تهاجم المدينة الحصينة.

فكيف يمكن إقناع فيلوكتيتس بأداء هذه الخدمة لمن تنكروا له، وبدلاً من مكافأته على رغبته فى مساعدتهم والوقوف إلى جانبهم ألقوا به عشر سنوات طوال دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة السؤال عن طبيعة الحياة التى يمكن أن يحياها فى عجزة ووحدته. وهذه هى المشكلة التى حاول الشعراء

الثلاثة معالجتها فى مسرحياتهم التى تتناول هذه الأسطورة، كـلٌّ بطريقتـه الخاصة. والحقيقة أن الفضل يعود إلى الفيلسـوف الأخلاقـى ديوخريسـو ستوموس (Dio Chrysostomos)[٨] فى التعرف علـى موضـوع تراجيـديا أيسخولوس، وكذلك على مضمون مسرحية يوربيديس، والتى تحمـل كـل منهما عنوان فليوكتيتس (Philoktets) أيضًا، مثل مسرحية سوفوكليس التـى نسلط عليها الضوء ونقدم ترجمة لها فى هذا العمل.

أ – فيلوكتيتس أيسخولوس

لقد أسند أيسخولوس مهمة إحضار فيلوكتيتس من جزيرة ليمنوس إلى أوديسيوس، بعكس التراث السابق عليه الذى أسند هذه المهمة إلى ديوميديس. وبالطبع فإن قيام أوديسيوس بهذه المهمة يعد معضلة يجب علـى الشـاعر التغلب عليها، فمن بين قادة الإغريق جميعًا لم يكـن هنـاك مـن يكرهـه فيلوكتيتس أكثر من أوديسيوس. ومن استعراض ديـو خريسـو سـتوموس لمسرحية أيسخولوس نعرف أن الشاعر جعل أوديسيوس يتقدم متطوعًا لأداء هذه المهمة، مما يوحى بأن النجاح فى هذه المهمة كان يستلزم المكر والخداع والذكاء وسعة الحيلة. ومن التلخيص الموجز لأحداث المسرحية نعـرف أن أيسخولوس جعل أوديسيوس يقف وجهًا لوجه بشجاعة أمام فيلوكتيتس الـذى لم يتعرف حقيقة الواقف أمام عينيه، ولم يدرك أنه عدوه القديم أوديسـيوس، ليس بسبب تغير شكل أوديسيوس؛ ولكن بسبب ضعف ذاكـرة فيلـوكتيتس بسبب معاناته الرهيبة طوال السنوات العشـر الماضـية. فهـل لـم يجـد أيسخولوس تفسيرًا مقبولاً أكثر من هذا؟

يستطيع أوديسيوس أن يكسب ثقة فيلوكتيتس بعد أن حكى له قصصًـا حزينة عن أحوال الإغريق فى طروادة، فقد أخبره أن الجيش حكم على كـل

من أجاممنون وأوديسيوس بالموت لارتكابهما جريمة شنيعة (لم يحددها ديو خريسو ستوموس)، وبعد موتهما ضعف الجيش وتفرقت صفوفه.

تذكر إحدى الشذرات الباقية من مسرحية أيسخولوس أن قوس هيراكليس كان معلقاً على شجرة تقع على مقربة من مدخل كهف فيلوكتيتس، وهو ما يوحى بأن أوديسيوس ربما استولى عليه بعد أن راح فيلوكتيتس فى نوم عميق بعد أن زالت عنه نوبة الألم القاسية التى كانت تهد قواه وتنهك جسده. ومن اللافت للنظر أن أيسخولوس سار على نهج التراث الهومرى وجعل جزيرة ليمنوس آهلة بالسكان، ربما لكى يقلل من مشاعر المرارة والحنق والغضب فى نفس البطل الجريح، ولكننا نجهل كيف نجح أوديسيوس فى إقناع فيلوكتيتس بالذهاب إلى طروادة، وإن كان الاحتمال الأقرب أن ذلك حدث بعد ظهور إله من الآلة (deus ex machine) مثلما فعل كل من سوفوكليس ويوربيديس فيما بعد، ولكن مَن الإله الذى أقنع فيلوكتيتس بالذهاب إلى طروادة؟

لقد جعل سوفكليس الإله هيراكليس الذى تربطه علاقة صداقة وثيقة بفيلوكتيتس، كما تؤكد الروايات الأسطورية المختلفة، وكما يظهر فى مسرحية سوفوكليس، هو الذى يأمره بالذهاب، فلم يملك سوى الامتثال لأوامره، أما يوربيديس فقد أوكل هذه المهمة للربة أثينة، وهو ما سنتعرض لمناقشته فى السطور القادمة.

ب - فيلوكتيتس يوربيديس

بعد مرور ما يقرب من الأربعين عامًا على عرض مسرحية أيسخولوس، كتب يوربيديس فى عام ٤٣١ ق.م. مسرحية تحمل عنوان فيلوكتيتس، جمع فيها بين التراث الملحمى والمعالجة الأيسخولية لأسطورة

فيلوكتيتس. لقد أوكل يوربيديس مهمة إرجاع فيلوكتيتس إلى كل من ديوميديس وأوديسيوس.

ومن حسن الحظ أن الزمن أبقى لنا على السطور الأولى من مسرحية يوربيديس، وهى على هيئة مناجاة للنفس (soliloquy) يعرب فيها أوديسيوس عن تخوفه من عواقب فشله فى هذه المهمة.

يناجى أوديسيوس نفسه قائلاً:

هذه عواقب الطموح، فقد كان فى
إمكانى أن أبقى فى طروادة محتفظًا بسمعتى
الطيبة آمنة، ولكن رغبتى فى اكتساب مزيد من الشهرة
جعلتنى أحضر إلى هنا، إلى ليمنوس
حيث قد أواجه الخطر، وقد أفقد سمعتى كلها
إذا أخفقت فى هذه المهمة الخطيرة جدًا.(٩)

ومن تلخيص ديوخريسو ستوموس لأحداث المسرحية نعرف أن أوديسيوس يستمر فى مناجاته لنفسه لنعرف أنه رفض القيام بهذه المهمة عندما عرضها ولدا أتريوس أجاممنون ومينيلاوس عليه؛ لأنه يعرف – حق المعرفة – أن جميع وسائل الإقناع سوف تفشل أمام غضب البطل الجريح وعناده، ذلك البطل الذى أخطأ أوديسيوس والإغريق فى حقه خطأ لا يُغتفر، وتوقع أنه لحظة ظهوره أمام فيلوكتيتس سوف يقذفه على الفور بسهم قاتل من سهام هيراكليس.

ومن ثم يرفض أوديسيوس – بإصرار – القيام بهذه المهمة مع ديوميديس، ولكن الربة أثينة، الربة التى تقف بجانب أوديسيوس وتحميه

دائمًا، تطمئنه أنه لحظة وصوله إلى ليمنوس سوف تغيّر هيئته وتبدل صوته حتى لا يتعرف إليه فيلوكتيتس.

(ربما كان هذا نقدًا مباشرًا لمسرحية أيسخولوس التى جعل فيها الشاعر أوديسيوس يظهر بهيئته العادية، ولكن فيلوكتيتس لم يتعرف إليه لضعف ذاكرته بسبب آلامه ومعاناته طوال السنوات العشر الماضية كما سبق أن أشرنا).(١٠)

يضيف يوربيديس مزيدًا من التعقيد على قصة المسرحية، وذلك بوصول وفد من الطراوديين يحاولون استمالة فيلوكتيتس ليحارب فى صفوفهم عن طريق تقديم الوعود البراقة والهدايا الضخمة. وحسب وصف ديو خريسو ستوموس يظهر فيلوكتيتس على المسرح متدثرًا بجلود الحيوانات التى اصطادها بقوس هيراكليس وسهامه القاتلة. ولحظة أن تقع عيناه على أوديسيوس، ويعرف أنه أحد قادة الإغريق، يصوب سهامه نحوه، ولا ينقذ أوديسيوس من الموت سوى تلفيقه قصة كاذبة عن هروبه من حشود الإغريق الرابضة أمام أسوار طروادة، وأنه أحد أصدقاء بالاميديس (Palamedes)،(١١) وهو أحد أبطال الإغريق الذى اتهمه أوديسيوس كذبًا بالخيانة، ومن ثم تسبب فى موته رجمًا بالحجارة.

وفى الحال تتغير معاملته له، ويرق قلبه لضيفه، ويدعوه إلى مشاركته كهفه، إلى أن يجد لنفسه مكانًا أفضل. بعد دخول فيلوكتيتس وأوديسيوس الكهف يدخل الكورس المكون من سكان الجزيرة، والذى يعتذر عن إهماله البطل الجريح وعدم الحضور لزيارته لبعض الوقت (لكى يبرر الشاعر إحساس فيلوكتيتس بالوحدة مع أن الجزيرة مأهولة بالسكان، مثلما صورها أيسخولوس، وبعكس جزيرة ليمنوس عند سوفوكليس)، ثم تدخل البعثة الطروادية التى تحاول استمالة فيلوكتيتس ليحارب فى صفوفهم. وعندما يرى أوديسيوس الطروادييين يقول:

مع أن قادة الجيش الإغريقى عاملونى بطريقة سيئة
فإننى لن ألتزم الصمت وأنا أرى البرابرة يتوسلون إليه.

وهنا تتجلى موهبة يوربيديس، ويتجلى ذكاؤه، فقد جعل مَنْ يدافع عن مصالح الإغريق هو الشخص نفسه الذى من المفترض أنه لقى الإيذاء على أيديهم، مثل فيلوكتيتس، ولكنه ينسى جرحه الشخصى أمام مصلحة الوطن، وتنتهى المسرحية بانسحاب الوفد الطروادى، ونجاح أوديسيوس وديوميدس فى مهمتهما الصعبة.

وقد اعتبر ديو خريسو ستوموس هذه المسرحية نموذجًا يحتذى فى الخطب الحماسية والجدل العبقرى، وطالب بضرورة دراسة الطلبة لهذه المسرحية باعتبارها درسًا عمليًا فى هذه الفنون، واعتبر فكرة الوفد الطروادى فكرة عبقرية؛ ولذلك يرى معظم النقاد أنه ليس من الغريب أن تنال المسرحية شعبية أكثر من مثيلاتها من الأعمال التراجيدية التى عالجت الأسطورة نفسها.

جـ - فيلوكتيتس يوفوريون

من حسن الحظ أن الكاتب ستوبايوس (Stobaeus) حفظ لنا خمسة سطور من ملحمة قصيرة كتبها شاعر يُدعى يوفوريون (Euphorion) من كالخيس (نحو ٢٢٠ ق.م.). يحكى الشاعر فى هذه الملحمة مغامرات فيلوكتيتس بعد عودته من الحرب الطروادية، وأنه وصل إلى جنوب إيطاليا، حيث أسس هناك مدينة قريبة من مدينة كروتونا (Crotona) أطلق عليها اسم كريمسا (Cremisa)، وأقام معبدًا ضخمًا للإله أبوللو باعتباره إلهًا حاميًا للرحالة والمسافرين، وقدم فيلوكتيتس قوس هيراكليس هدية لذلك المعبد. ويذكر الشاعر أن فيلوكتيتس لقى حتفه فى أثناء تقديمه المساعدة إلى أهل رودس ضد بعض الأخيين الذين كانوا يقيمون فى إيطاليا.

د – فيلوكتيتس أتيوس

كتب الشاعر اللاتينى أتيوس (Attius) (نحو ١٤٠ ق.م.) مسرحية تراجيدية حول أسطورة فيلوكتيتس، وتحمل أيضًا عنوان Philocteta. ولكنها فُقدت ولم يبق منها سوى سطور تقل عن الخمسين، ولكن يبدو أنها كانت تتسم بالبراعة، سواء فى الصياغة أو فى الحبكة الدرامية.(١٢)

هـ – فيلوكتيتس عند فينيلون

فى عصر التنوير عادت أوروبا إلى الاهتمام بالتراث الكلاسيكى اليونانى الرومانى حتى تبعث نهضتها الحضارية ومكانتها الثقافية المتميزة مرة أخرى، ولذلك نجد واحدًا من أهم الكتاب الذين أثرت كتاباتهم فى النظريات السياسية والتعليمية فى فرنسا فى ذلك الوقت يتطرق إلى أسطورة فيلوكتيتس فى عمله المسمى " تليماك " (Telemaque). فى هذا العمل يحكى فيلوكتيتس مغامراته لتليماخوس بن أوديسيوس. ويعمد المؤلف فرانسوا فينيلون(١٣) (F.Fenelon) (١٦٥١ – ١٧٥١) إلى إظهار أوديسيوس بصورة أفضل مما يبدو عليه فى معظم المصادر القديمة، وينسب إليه، وليس إلى نيوبتوليموس، الفضل فى استرداد القوس وإقناع فيلوكتيتس بالعودة إلى الحرب فى صفوف الإغريق فى طروادة.

فيلوكتيتس سوفوكليس

فى مارس من عام ٤٠٩ ق.م.، وفى احتفال الديونيسيا الكبرى، عرض سوفوكليس مسرحية فيلوكتيتس، والتى فازت بالجائزة الأولى. ويرى بعض النقاد أن اختيار الشاعر لهذا الموضوع فى هذا التوقيت تحديدًا له صلة قوية بعودة القائد الكيبياديس (Alcibiades) إلى أثينا.(١٤)

وهناك ملحوظتان مهمتان يجب أن نضعهما فى الحسبان ونحن نقرأ المسرحية:

١ – تأكيد وحدة فيلوكتيتس بجعل ليمنوس جزيرة خالية تمامًا من السكان، مما يجعل شعور البطل الوحيد بالمرارة والغضب من الإغريق يتزايد بمرور الوقت وتوالى الأعوام.

٢ – جعل سوفوكليس الكورس يتكون من مجموعة من بحارة نيوبتوليموس؛ وذلك حتى يتغلب على المشكلة التى واجهها كل من أيسخولوس ويوربيديس عندما جعلا الجزيرة آهلة بالسكان وجعلا الكورس فى مسرحية كل منهما يتكون من سكان الجزيرة المحليين. ولقد تجاهل أيسخولوس أن يقدم تبريرًا لوجود سكان فى الجزيرة، ولكنهم لم يزوروا البطل الجريح الوحيد، فى حين جعل يوربيديس الكورس يعتذر عن إهماله لزيارة فيلوكتيتس منذ مدة طويلة.(١٥)

تبدأ مسرحية " فيلوكتيتس " بدخول أوديسيوس إلى المسرح وبصحبته شاب صغير السن نعرف أنه ابن أخيليوس، ويُدعى نيوبتوليموس. يمثل المشهد شاطئ جزيرة ليمنوس الصخرى الوعر. يحرص أوديسيوس فى حديثه الافتتاحى على تأكيد أمرين:

١ – أن الجزيرة غير مأهولة بالسكان.

٢ – أنه لم يترك فيلوكتيتس على هذه الجزيرة المقفرة من تلقاء نفسه؛ بل فعل ذلك بناءً على أوامر قادة الجيش.

يطلب أوديسيوس من زميله الشاب أن يبحث عن الكهف الذى يسكن فيه فيلوكتيتس، والذى تركه فيه بعد أن غط فى نوم عميق منذ عشر سنوات، وهو كهف ذو مدخلين، وبالقرب منه تقع عين ماء. سرعان ما يجد نيوبتوليموس الكهف ويجد من الدلائل ما يؤكد أن شخصًا ما زال يسكنه.

يشرح أوديسيوس لنيوبتوليموس طبيعة المهمة التى سوف يؤديها وسبب اختياره هو تحديدًا ليرافقه، حيث إن فيلوكتيتس لم يسبق أن رآه، وعندما يعرف نيوبتوليموس أن المهمة تتطلب الخداع يحاول أن يقنع أوديسيوس أن يستخدم إما الإقناع وإما القوة، ولكن أوديسيوس يقنعه أن كلا السلاحين لا يفيد مع فيلوكتيتس. يخبر أوديسيوس رفيقه أنه سوف يبعث إليه أحد البحارة متنكرًا فى زى تاجر لكى يساعده على إتمام مهمته، وأن عليه أن يحسن استغلال القصة الملفقة التى سيخبره بها ذلك البحار.

يدخل الكورس المكون من خمسة عشر بحارًا من بحارة سفينة نيوبتوليموس ويسألون قائدهم الشاب عما يفعلون لكى يساعدوه فى مهمته، ثم يعلنون تعاطفهم الشديد مع فيلوكتيتس ويتعجبون كيف استطاع أن يحيا طوال تلك السنوات العشر المنصرمة يعانى العجز والوحدة.

يظهر فيلوكتيتس على المسرح وهو يسير ببطء ويئن ويتألم مع كل خطوة يخطوها، ولكنه ينسى ألمه ويعرب عن فرحته الشديدة لرؤية بشر أخيرًا معه على الجزيرة المقفرة. تزداد فرحة فيلوكتيتس عندما يعرف من شكل ملابسهم أنهم من الإغريق، وتصل فرحته إلى قمتها عندما يعرف أن الواقف أمامه هو ابن أخيليوسٍ المجيد. عندما يعرف فيلوكتيتس أن نيوبتوليموس لا يعرف عنه شيئًا يحكى له قصته وكيف تصرف معه ولدا أتريوس وأوديسيوس بنذالة وهربا وتركاه نائمًا بسبب آلام جرحه الذى سببته له لدغة ثعبان سام. يحاول نيوبتوليموس أن يكسب ود فيلوكتيتس فيحكى له قصة ملفقة عن أنه ترك جيش الإغريق غاضبًا، وأنه متجه الآن إلى وطنه بعد أن أساء إليه ولدا أتريوس ومنحا أسلحة والده أخيليوس إلى أوديسيوس، وهى القصة التى تجمعهما معًا على كراهية ولدى أتريوس وأوديسيوس. وباستمرار الحوار بين الرجلين يزداد التقارب فيوافق على الإبحار فورًا وبرفقته فيلوكتيتس لكى يوصله إلى وطنه، لولا دخول البحار الذى أرسله أوديسيوس متنكرًا فى زى أحد التجار. يقدم التاجر نفسه إلى كل من الرجلين

وإلى الكورس على أنه تاجر نبيذ، وأنه يجلب الخمر الجيدة من جزيرة بيباريثوس (Peparethius) لمعسكر الإغريق على ساحل طروادة، وهو ما جعله يسمع عن طريق المصادفة الأحاديث التى تدور فى المعسكر الإغريقى، وأن قادة الإغريق قد أرسلوا بعثة لتعقب نيوبتوليموس وإعادته بالقوة، وبعثة أخرى تتكون من أوديسيوس وديوميديس لإحضار شخص يدعى فيلوكتيتس من الجزيرة التى تركوه فيها وحيدًا قبل عشر سنوات.

هنا تزداد حماسة فيلوكتيتس للرحيل، وتتنامى رغبته فى مغادرة الجزيرة فورًا، ويوافقه نيوبتوليموس ويدخلان الكهف معًا لإحضار ما يحتاج إليه فى رحلته. فتتاح الفرصة أمام الكورس كى يغنى أنشودته التى يعلن فيها تعاطفه الشديد مع الرجل الذى يعانى دون ذنب، فهو قد سمع من الأساطير عن عقاب إكسيون (Ixion) لمحاولته التعدى على حرمة فراش زيوس، ولكنه يتعجب كيف قضت الأقدار على فيلوكتيتس بالعذاب والمعاناة مع أنه كان نموذجًا للإنسان المسالم الذى يعيش مع غيره فى سلام. ولحظة أن ينتهى الكورس من أنشودته يُصاب فيلوكتيتس بنوبة ألم مبرح أمام نيوبتوليموس والكورس، مما يزيد بالطبع من تعاطفهما معه، حيث يريان رأى العين واحدة من آلاف نوبات الألم المرير التى عاناها بالقطع طوال السنوات العشر الماضية، ومما زاد الأمر صعوبة بالقطع عجزه ووحدته.

ولأن فيلوكتيتس يعرف حق المعرفة أنه ينام نومًا عميقًا لحظة انتهاء نوبة الألم فإنه يعهد إلى نيوبتوليموس بقوسه الشهير الذى حصل عليه من هيراكليس نتيجة خدمة أداها له فأهدى إليه قوسه هدية شكر وعرفان بالجميل.(١٦)

يزداد إحساس نيوبتوليموس بالشفقة على فيلوكتيتس، ويعده بأنه لن يتخلى عنه ولن يتركه وحيدًا، وعندما يفعل تهدأ روح فيلوكتيتس ويغط فى نوم عميق بعد انتهاء نوبة الألم.

فى أثناء نوم البطل الجريح يتغنى الكورس بأنشودة حيرت النقاد لحدة التحول من التعاطف إلى محاولة استغلال الفرصة. ففى البداية يبتهل الكورس إلى إله النوم هيبنوس (Hypnos) أن يجعل فيلوكتيتس ينام نومًا هادئًا عميقًا لأطول فترة ممكنة، ثم يتوجه بالحديث إلى نيوبتليموس بعد ذلك مباشرة ويستحثه أن ينتهز الفرصة، خاصة أن القوس بحوزته، ويغادر الجزيرة عائدًا إلى طروادة.(١٧)

يجيب نيوبتوليموس بأن هذا التصرف سوف يكون وضيعًا، بالإضافة إلى أنه لن يعود بالفائدة على الإغريق، فإن النبوءة تحتم ذهاب فيلوكتيتس مع قوسه إلى طروادة.

يصحو فيلوكتيتس من إغفاءته الطويلة، وبمساعدة نيوبتوليموس يقف على قدميه بصعوبة شديدة، ولكنه يعلن استعداده للرحيل فورًا، ولكن الحيرة تصيب نيوبتوليموس ولا يعرف ماذا يفعل، فإذا أخذ فيلوكتيتس إلى سفينته سوف يجد أوديسيوس، وسوف يعرف الحقيقة وأنه خدعه وكذب عليه. وهنا لا يجد نيوبتوليموس حلاً سوى الاعتراف لفيلوكتيتس بأن عليه أن يأخذه إلى طروادة، فإن مصلحة الإغريق تقتضى ذلك.

يصرخ فيلوكتيتس ويتأوه كثيرًا عندما يكتشف خداع نيوبتوليموس له، ويطلب منه أن يرد له قوسه مخاطبًا إياه بكلمة "xene" التى تعنى أيها السيد، أو أيها الغريب، وهى المرة الأولى والأخيرة التى يخاطبه فيها بهذه الكلمة، فقد تعود أن يخاطبه قبل ذلك مستخدمًا كلمة "يا بنى" أو "يا ولدى". إن خداع نيوبتوليموس وكذبه قد مزقا أواصر الود والحب والصداقة التى كانت تجمعه وفيلوكتيتس، فظهر ذلك فى لغة الأخير ومفرداته.

يجأر فيلوكتيتس بالشكوى إلى كل ما يحيط به من أشياء ومن حيوانات شهدت آلامه وعذاباته طوال السنوات الماضية وكأنه يتجه بالخطاب إلى الجماد والحيوان بعد أن صُدم فى البشر.

يصل نيوبتوليموس إلى أقصى مراحل المعاناة النفسية، حيث تتمزق روحه الطاهرة، ولم تعد تعرف هل تحسم الأمر لصالح المصلحة القومية أو لصالح الأخلاق والمثل الرفيعة، ويتمنى لو كان لم يغادر موطنه سكيروس قط، وما ذهب إلى طروادة قط.

يدرك فيلوكتيتس أن نيوبتوليموس ليس شريرًا بالفطرة، ولكنه واقع تحت تأثير بعض الرجال الأشرار معدومى الضمير والأخلاق، وينصحه أن يترك الخداع لمن يتناسب الخداع مع فطرتهم، أما هو فهو نبيل من أصل نبيل.

يقرر نيوبتوليموس أن يحسم الصراع النفسى الدائر داخله لصالح الأخلاق والمثل الفاضلة، ويشرع فى إعادة قوس هيراكليس إلى فيلوكتيتس لولا دخول أوديسيوس الذى كان يختبئ فى مكان قريب ويُظهر نفسه فى الوقت المناسب، وهنا يدور حوار بين كل من أوديسيوس وفيلوكتيتس فى وجود نيوبتوليموس الذى يقف صامتًا طوال ما يقرب من مائة سطر، وهو المشهد الذى يجمع عدد كبير من النقاد على أنه واحد من أعظم المواقف الصامتة فى المسرح الإغريقى قاطبة.(١٨)

نلاحظ أنه منذ ظهور نيوبتوليموس فى بداية المسرحية فإنه لم يكف لحظة واحدة عن الحديث، فهو يجادل أوديسيوس فى البداية ثم يدخل فى حوار مع الكورس، وعندما يدخل فيلوكتيتس المسرح يدور بينهما حوار طويل مستفيض كان الكورس يتدخل فيه فى بعض الأحيان، ولا يكف نيوبتوليموس عن الحديث أيضًا مع البحار الذى أرسله أوديسيوس متخفيًا فى زى تاجر، ثم يواصل الحديث، سواء مع فيلوكتيتس أو مع الكورس حتى سطر ٩٧٤، حينما يتوجه بالحديث إلى الكورس المكون من بحارة سفينته الذين يدينون له بالولاء، سائلاً إياهم عما يجب عليه فعله.

ومن لمسات سوفوكليس العبقرية فى هذا المشهد أنه جعل نيوبتوليموس يقف صامتاً، فى حين أن من يشيد بطبيعته النقية وروحــه الطــاهرة هــو فيلوكتيتس الذى خدعه وما زال يحتفظ بقوسه الذى يعتمد عليه فى الحصول على طعامه، والذى يحفظ عليه حياته من هجوم الحيوانات المفترسة.

فى نهاية المشهد، وبعد أن يفشل أوديسيوس فــى إقنــاع فيلــوكتيتس بالذهاب معهما إلى طروادة يتركه ليبقى فى لمينوس كما يشاء قائلاً إن هناك كثيرًا من محاربى الإغريق يستطيعون استخدام قوس هيــراكليس بمهــارة ويجيدون التصويب به. ويتجه أوديســيوس بالفعــل إلــى الســفينة ومعــه نيوبتوليموس الذى يأمر بحارته بالبقاء بعض الوقت مع فيلوكتيتس، فربمــا يغير رأيه ويقرر اللحاق بهما ومرافقتهما إلى طروادة.

ينطلق فيلوكتيتس فى نوبة بكاء ونواح على مصيره، ولكن الكــورس يؤكد له أن فى إمكانه تغيير مصيره القاسى عندما يلين ويترك عناده. ويوافق على الذهاب إلى طروادة معهم. وما إن يذكر الكورس فكرة الــذهاب إلــى طروادة حتى ينفجر غضب فيلوكتيتس ويطلب منهم سلاحًا ينهى به حياتــه فورًا. يدرك الكورس أنه لا سبيل أمامه لإقناع فيلوكتيتس العنيد، فيقــرر أن يتركه وحيدًا، وأن يذهب إلى السفينة على الفور، ويكاد الكورس يفعل ذلــك لولا رؤيته لسيده نيوبتوليموس عائدًا وهو يمسك بقوس هيراكليس، فى حين يهرول أوديسيوس من ورائه وهو يسأله عمــا ينــوى أن يفعلــه. يجيــب نيوبتوليموس أنه سوف يصلح أخطاءه ويعيد القوس إلى صاحبه. فلا يملــك أوديسيوس إلا تهديده بإبلاغ الجيش بأمره. ولكــن نيوبتوليمــوس لا يهــتم بتهديداته وينادى فيلوكتيتس فيخرج إليه من كهفه ويعيد إليه قوسه مرة أخرى وسط ذهول البطل الجريح. ويسرع أوديسيوس إلى ســفينته عنــدما يهــدده فيلوكتيتس بتصويب أحد سهام هيراكليس القاتلة تجاهه.[١٩]

بعد أن اطمئن فليوكتيتس برجوع قوسه إليه، يخبره نيوبتوليموس بأمر النبوءة التى قالها هيلينوس – ابن الملك الطراودى – للإغريق، ويرجوه أن يكف عن عناده ويغير رأيه ويذهب معه برغبته إلى جيش الإغريق الرابض أمام أسوار طروادة حيث سيعالجه ابن الإله أسكليبيوس من جراحه المزمنة، وبعد ذلك سوف يشاركه مجد تدمير مدينة طروادة المنيعة. ولكن الغضب الذى ظل يتزايد داخل صدر فيلوكتيتس طوال عشر سنوات أكبر من أى وعد بالشفاء أو بالمجد. ويذكر د. ماهر شفيق فى مقالته الممتعة " مدخل نفسى إلى مسرحية سوفوكليس فيلوكتيتس"[20] رأى كثير من النقاد فى موقف فيلوكتيتس، وخاصة رأى إدموند ويلسون (Edmund Wilson) (١٨٩٥ – ١٩٧٢م)، أشهر النقاد الأمريكيين فى زمنه، والذى يرى فيه أن فيلوكتيتس مصيب فى رفضه الذهاب إلى طروادة.[21] ولكنه يضيف قائلاً: غير أنه مقدر له أن يشفى عندما يتمكن من نسيان شكواه ومن تكريس قواه الإلهية لخدمة شعبه. ويرى د. ماهر أن فيلوكتيتس مصيب أيضًا عندما رفض الخضوع لأهداف أوديسيوس الذى لا يفكر فى سوى استغلاله.

فكيف – إذن – يمكن عبور هذه الهوة الفاصلة بين نكبة رامى القوس العديمة الفاعلية واستخدامه الأمثل لقوسه، أى بين عاره والمجد المقدر له؟ ويجيب د. ماهر شفيق أن ذلك لن يتسنى له سوى بتدخل شخص برىء يتمتع بقدر عال من المشاعر الإنسانية بحيث لا يعامله على أنه هولة شائهة، ولا حتى على أنه شىء سحرى مطلوب لبلوغ غاية ما، ولكنه ببساطة يعامله على أنه إنسان مثله تستدعى معاناته تعاطفه، ويعجب بشجاعته وكبريائه.

وعندما تتحقق هذه العلاقة الإنسانية التى يبدو فى البداية أنها سوف تؤدى إلى إحباط مسعى الإغريق، إذ بدلاً من أن يكسب نيوبتوليموس فيلوكتيتس الخارج عن قانون الجماعة فإنه يخرج هو نفسه عن القانون، فى وقت كان الإغريق فيه فى أمس الحاجة إلى كل منهما. ويرى د. ماهر شفيق

أن نيوبتوليموس حينما يرفض خداع الرجل العليل ويحترم إنسانيته فإنه يزيل عناد فيلوكتيتس ويشفيه ويحرره من مشاعر الغضب وينقذ الحملة الإغريقية فى الوقت نفسه. عندما يستقر الرأى على الرحيل، وبعد أن ينهى فيلوكتيتس وداعه للجزيرة التى شهدت ألمه ومعاناته طوال السنوات العشر المنصرمة، وقبل أن يتجها مباشرة إلى السفينة، يظهر الإله هيراكليس ويعلن لهما أنه قد ترك مقر إقامته فى الأوليمبوس وسط الآلهة، فقد أصبح واحدًا منهم، وذلـك لكى يعلن لهما أوامر زيوس: يجب على فيلوكتيتس أن يوافق على الـذهاب إلى طروادة بكامل إرادته، وهناك سوف يلقى العلاج المناسب الفعال على يد ولدى أسكليبيوس، إله الشفاء، وبعدها سوف يحارب بجانـب نيوبتوليمـوس كأسدين توءم، حيث سوف يقتل باريس الأمير الطروادى سبب تلك الحـرب ومفجر ذلك البلاء، وبعد ذلك سوف ينالان مجد تدمير طروادة المنيعـة. لا يملك فيلوكتيتس سوى الامتثال لأوامر زيوس ولرغبة صـديقه هيـراكليس، وتنتهى المسرحية وفيلوكتيتس يسير بمساعدة نيوبتوليموس متجهًا إلى السفينة التى ستقله إلى طروادة. وينهى الكورس المسرحية برجاء وابتهال إلى الآلهة أن يصلوا إلى وطنهم سالمين. ومن اللافت للنظر أن كلمات الكورس الأخيرة تخلو من أية أحكام أخلاقية أو معانٍ فلسفية، وهى من المرات القليلـة التـى يحدث فيها هذا فى المسرح الإغريقى، وفى مسرحيات سـوفوكليس بشـكل خاص.

إن هذا الموجز المختصر لأحداث المسرحية يظهر لنا براعة المعالجة السوفوكلية للأسطورة وأهم التغييرات التى أدخلها سوفوكليس على الروايات السابقة لهذه الأسطورة، ولعل أهمها أنه جعل الجزيرة غير مأهولة بالسكان، كما جعلها مكانًا لا يصلح لرسو السفن، وتخلو من أماكن الترفيـه أو البيـع والشراء؛ ولذلك فإن من تضطره ظروفه القهرية أن يرسو علـى شـاطئها بعض الوقت يرحل سريعًا عندما يستطيع الإبحار ثانية. كما لم يسر على نهج

بعض الروايات الأسطورية التى جعلت الإغريق يتركون بعض الجنود مع فيلوكتيتس لرعايته وتقديم يد العون إليه، وذلك ليؤكد عزلته التامة.[٢٢]

والتغيير الثانى الذى أدخله سوفوكليس على الأسطورة أنه جعل نيوبتوليموس – ابن أخيليوس – هو الذى يذهب برفقة أوديسيوس، وليس ديوميديس. وقد مكن ذلك التغيير الشاعر من استغلال هذه الأسطورة دراميًا إلى أبعد الحدود، بحيث لم تصبح مجرد فصل من فصول الحرب الطروادية، ولكنها أصبحت دراسة متعمقة للنفس البشرية. ولذلك عندما يقارن ديو خريسو ستوموس بين معالجات الشعراء التراجيديين الثلاثة لهذه الأسطورة فإنه يمدح معالجة كل من أيسخولوس ويوربيديس، ولكنه يصف مسرحية سوفوكليس فقط بأنها "الأكثر درامية ". ومن ثم، فإننا نستطيع أن نقول باطمئنان إن سوفوكليس أجاد فى استغلال الجوانب الدرامية لأسطورة فيلوكتيتس وقدم عملاً تراجيديًا متميزًا.

والتغيير الثالث يرتبط بنهاية المسرحية. فنحن نعرف من تلخيص ديو خريسو ستوموس أنه من المحتمل أن فيلوكتيتس عدل عن عناده ووافق على الذهاب إلى طروادة بعد ظهور "إله من الآلة"، ولكنه لا يذكر مَنْ ذلك الإله، أما فى مسرحية يوربيديس فإننا نعرف أن الربة أثينة هى التى ظهرت لأوديسيوس وطمأنته أنها سوف تغير من صوته، وسوف تبدل من هيئته لحظة وصوله إلى ليمنوس حتى لا يتعرف فيلوكتيتس إليه. ولكننا نجهل هل شاركت فى إقناع فيلوكتيتس بالذهاب إلى طروادة أو لا؟

إن إسناد مهمة إقناع فيلوكتيتس إلى صديقه القديم هيراكليس كان الاختيار الأفضل والأكثر منطقية. فالعلاقة بين الطرفين قديمة ووثيقة. فمن المعروف – وحسب ما يذكره سوفوكليس نفسه فى مسرحية بنات تراخيس – أن هيالوس بن هيراكليس وعد والده بفعل كل ما يطلبه منه وهو فى لحظاته الأخيرة من حمله إلى قمة جبل أويتا وإعداد المحرقة، ولكنه رفض أن يشعل

النار بيده فى جسد أبيه.[٢٣] فمن الذى قام بذلك حتى يتحول هيراكليس إلــى إله كما يظهر فى مسرحية فيلوكتيتس؟ تختلف الروايات الأسطورية فى هذه النقطة، فبعضها ينسب إشعال النيران فى جسد هيراكليس إلــى فيلــوكتيتس، وبعضها الآخر ينسبه إلى أبيه بوياس. وسواء أكان من أشعل النار هو الأب أم الابن، فإن ذلك يؤكد وجود علاقة صداقة قديمة تــربط بــين هيــراكليس وأسرة فيلوكتيتس، والقوس الذى يمسك به فيلــوكتيتس بــين يديــه طــوال المسرحية خير دليل على ذلك، أو بعبارة أخرى هو التجسيد المــادى لهــذه العلاقة.

ومن المهم أن نلاحظ أن سوفوكليس لم يقدم هيراكليس كمجرد "إله من الآلة" (Theos apo mechanes) فقط؛ ولكن باعتباره إشــارة إلــى مصــير فيلوكتيتس الإلهى عما قريب. فإن هيراكليس يركز فى حديثه على معاناتــه التى جعلته إلهًا، ويربطها بمعاناة فيلوكتيتس التى سوف تمنحه المجــد فــى طروادة فى القريب العاجل، وذلك بلغة توحى بمصيره الأكثر سموًا فيما بعد طروادة، أو حسب تعبير د. أحمد عتمان: "إن صورة هرقل كإنسان – بطل– إله تظهر بصورة واضحة للغاية فى مسرحية فيلوكتيتس التى تتأكــد أكثــر وأكثر بصورة فيلوكتيتس نفسه كبطل تراجيدى من البشر الفانين فى طريقــه إلى أن يصبح خالدًا".[٢٤]

تحليل الشخصيات

نيوبتوليموس

من اللافت للنظر أن نيوبتوليموس يظهر على المســرح منــذ بدايــة المسرحية إلى نهايتها ولا يغيب عن أنظار الجمهور سوى لحظات قليلة. فهو يحاور أوديسيوس فى البداية ثم يدخل بعد ذلك فى حــوار مــع الكــورس،

وعندما يدخل فيلوكتيتس يدور بينهما حوار طويل يحكى فيه كل منهما للآخر عن قصته وأخباره، سواء أكانت حقيقية أم ملفقة، ويسأله فيلـوكتيتس عـن أخبار أصدقائه القدامى فى الجـيش الإغريقـى. وعنـدما يـدخل مبعـوث أوديسيوس متنكرًا فى زى أحد التجار ليعلن لهما أن الإغريق قـد أرسـلوا أوديسيوس ليحضر فيلوكتيتس ليشارك فى الحرب الطروادية، سواء برغبته أو رغمًا عنه، لا يكف نيوبتوليموس عن الحديث معه ومع فيلوكتيتس. وهكذا يظل نيوبتوليموس يشارك فى الحديث حتى توشـك سـطور المسـرحية أن تقترب من الألف، هنا يقف نيوبتوليمـوس صـامتًا، رغـم وجـوده بـين الشخصيات التى تتحاور على المسرح. فما مغزى صمته؟ لفهـم شخصـية نيوبتوليموس بشكل جيد يجب أن نتذكر أنه مجرد شاب صغير، جاء لتوه من بلدته الصغيرة التى عاش فيها بعيدًا عن الأضواء، مع أنه ابـن أخيليـوس الشهير. وعندما وصل إلى طروادة وجد نفسه وسـط كثيـر مـن الملـوك البارزين والمحاربين المشهورين الذين وثقوا به وكلفوه بمهمـة ذات أهميـة خاصة، بل فائقة الأهمية بالنسبة إلى الإغريق الذين عانوا طوال السـنوات العشر المنصرمة على سواحل طروادة دون فائدة وبلا جدوى. وقد حضـر نيوبتوليموس لأداء هذه المهمة مع رجل يتمتع بشهرة عظيمة، فـإن اسـمه يدوى فى الآفاق، وذاعت شهرته سواء فى الحرب أو فـى سـعة الحيلـة. ويحاول نيوبتوليموس أن يبهر أوديسيوس ولا يكون مجرد قزم أمام قـدرات أوديسيوس اللامحدودة.

ولكن عندما يعرف نيوبتوليموس أن دوره فى هـذه المهمـة يتطلـب الخداع فإنه يضطرب ويرفض القيام بها، فليس هذا من شيمته ولا يليق باسم أبيه الخالد. فهو على استعداد أن يستخدم القوة أو الإقناع.... أما الخداع فلا. ولكن أوديسيوس الماكر الماهر فى معالجة المواقف الصعبة، يتولى الأمـر بمهارة، أو حسب تعبير إنجرام (Ingram) " يلعب بالكارت الموجود فى يـده

بذكاء تام".[٢٥] فهو يعرف أن البعثة التى ذهبت إلى سكيروس لإحضار نيوبتوليموس إلى طروادة أخبرته بالنبوءة التى وعدت بأن تسقط طروادة على يديه، ولكن أوديسيوس يضيف إليه معلومة جديدة ؛ فإن سقوط طروادة يتطلب أن يكون معه أسلحة هيراكليس الموجودة الآن بحوزة فيلوكتيتس، وهى الأسلحة التى لا يمكنه الحصول عليها، سواء بالقوة أو بالإقناع، ومن ثم فلا سبيل سوى الخداع. ويؤكد له أنه سوف يحصل بعد ذلك على مكسب[٢٦] مزدوج وجائزة مضاعفة: فسوف يوصف بأنه حكيم (ماهر، ذكى) وشجاع، وهما الصفتان المميزتان لكل من أوديسيوس وأخيليوس، وهكذا يقع نيوبتوليموس فى شباك أوديسيوس ويقتنع مؤقتًا بمنطقه، ولكن دون حماسة. ولكن منذ رؤيته لفيلوكتيتس يتزايد إحساسه بالرفض لهذه المهمة، ويتضاعف شعوره بالإثم داخل حنايا صدره، والذى يعبر عنه بالكلام أحيانًا، وبالصمت أحيانًا أخرى، ولكن الصراع النفسى موجود داخل صدره فى الحالتين، ويجعله يتمنى لو لم يغادر سكيروس قط، وبعد ذلك يسأل الكورس عما يجب عليه فعله ثم يصمت.

لقد كان الكلام الوسيلة الفعالة التى استطاع بها نيوبتوليموس خداع فيلوكتيتس، والآن فإن الصمت هو أنسب وسيلة يعبر بها الشاعر عن ألم نيوبتوليموس النفسى وحيرته الأخلاقية.

ومن الملاحظ أنه فى بداية اللقاء بين فيلوكتيتس ونيوبتوليموس كان من العسير بعض الشيء على نيوبتوليموس أن يتكلم، وكان فيلوكتيتس يستحثه على الكلام، ولكن معظم إجاباته كانت مختصرة، بل غير متوقعة. وبازدياد حماسته لأداء مهمته ينطلق فى الحديث الذى يقربه إنسانيًا من البطل الجريح، وتزداد الروابط بينهما مع مضى الدقائق والساعات، ولذلك عندما يرى بعينيه معاناة فيلوكتيتس عندما تهاجمه نوبة الألم الشرسة، يرق قلبه له ويدخل مع نفسه فى صراع عنيف.

إن آلام فيلوكتيتس التى تسببها لــه جراحــه المتقيحــة تقابلهــا آلام نيوبتوليموس النفسية التى يسببها له عدم قدرته على الاستمرار فــى خــداع فيلوكتيتس والكذب عليه.[٢٧] وإذا كان فيلوكتيتس يعبر عن ألمــه بصــراخه وتأوهاته، فإن نيوبتوليموس يعبر عن ألمه النفسى بكلماته التى يتمنى فيها ألا يكون قد غادر بلدته أبدًا، وبسؤاله الكورس عما يمكنه فعله ثم بصمته الطويل الذى استمر ما يقرب من المائة سطر.

حينما يشتد الصراع داخل نفس نيوبتوليموس يتمنى لو كان لا يزال فى موطنه سكيروس، حيث كان ينعم بالطفولة والبراءة فى كنــف جــده لأمــه ليكوميديس. إن سكيروس لا تجسد فقط النقاء والحرية البراءة؛ ولكنها تعنــى أيضًا البعد عن عالم السياسة والحروب التى يكون فيها كل شىء مباحًا، وهو العالم القمىء الذى دخله بقدومه إلى طروادة وتكليف الإغريق له بأداء هــذه المهمة، حيث يتاح له على يد أوديسيوس – أول معلم له – أن يكتشف أسرار هذا العالم الذى لا يعرف المثل ولا الروادع الأخلاقية.

وتتمثل براعة سوفوكليس فى رسم شخصيات مسرحياته فى حقيقة أن المشاهد لا يستطيع أن يعرف بصورة أكيدة خطوة الشخصية التاليــة ومــا ستقدم عليه من أفعال وما ستنطق به من أقوال، ولكنه يستطيع أن يخمن ذلك من الصورة التى يقدم بها الشاعر الشخصية. ويتجلى ذلك بأفضل صورة فى شخصية جديدة على أسطورة الحرب الطروادية، وعلى الروايات المختلفــة لأسطورة البطل فيلوكتيتس، وأعنى بها شخصية نيوبتوليموس الشاب النبيل. فقبل أن يشرح له أوديسيوس طبيعة المهمة الى سيقوم بها، ولأنــه يعــرف طبيعته، الشبيهة بطبيعة أبيه، يمهد للأمر بقوله:

ولكن حتى إذا كان ما سأطلبه منك غريبًا
فيجب أن تمتثل لما يُقال لك، فقد حضرت لتؤازرنى.

(سطر ٥٢ – ٥٣)

فهو يتوقع أن يرفض مهمة تتسم بالخـــداع والكـــذب، وبالفعـــل يـــرد نيوبتوليموس على أوديسيوس بقوله:

يا بن لائرتيس، إننى لا أحب أن أفعل

شيئًا لا تحبه نفسى عندما أسمعه.

إننى بطبيعتى لا أحب الحصول على مبتغاى بالخداع

وكما يقولون، كان أبى كذلك أيضًا.

(سطور ٨٦ – ٨٩)

فهو يكره الخيانة والغش والخداع، ويفضل أن يفشل بشرف علـــى أن ينتصر بطريقة غير شريفة. ولكن أوديسيوس الداهية ينجح فى إقناعه بـــأن صالحه وصالح الإغريق جميعًا يرتبط بخداع فيلوكتيتس، فيذعن له ويبدأ فى تنفيذ خطته:

هيا، سوف أفعل (ما تطلب) وأنحى الشعور بالعار جانبًا.

(سطر ١٢٠)

ولكن المشاهد، مع ذلك، يتوقع ألا يقوم نيوبتوليموس بالخداع والكذب بالبساطة نفسها التى يقوم أوديسيوس بهما، ولكنه يكاد يكون متأكدًا أن داخل صدر نيوبتوليموس سوف ينشب صراع نفسى رهيب. سوف يبـــدأ صـــغيرًا وعلى استحياء فى البداية، ثم ما يلبث أن تزداد شراسته وتتعالى حدته داخل صدره حتى يعجز أخيرًا عن احتمال نيرانـــه،(٢٨) ولـــذلك يقـــول مخاطبًـــا الكورس:

لقد مزق قلبى ألم رهيب حزنًا على

هذا الرجل، ليس الآن فقط، ولكن منذ أمد بعيد.

(سطور ٩٦٥ – ٩٦٦)

ولقد لفت تعبير " منذ أمد بعيد " (Pallai) أنظار الباحثين فتساءلوا: متى بدأ شعوره بالتعاطف مع فيلوكتيتس والشفقة عليه؟ يرى إنجرام Ingram أن كبار السن والعجائز، بخبرتهم الطويلة فى الحياة، قد يشعرون بالشفقة على فيلوكتيتس لحظة سماعهم قصته وكيف تركه الإغريق وحيدًا جريحًا فى جزيرة مهجورة طوال عشر سنوات، ولكن نيوبتوليموس شاب صغير تنقصه هذه الخبرة، ولذلك لا يبدأ شعوره بالشفقة سوى بعد رؤيته له بالفعل وسماع تأوهاته وهو يئن ويتوجع مع كل خطوة يخطوها.[٢٩]

لقد تصارع داخل نفس نيوبتوليموس شعوران زادا من حدة ألمه: شعوره بالشفقة على فيلوكتيتس الجريح العاجز، بالإضافة إلى شعوره بالخزى من تصرفه المخادع الذى يدفعه فى النهاية إلى الشروع فى إعادة القوس إلى صاحبه لولا تدخل أوديسيوس، الذى يدور بينه وبين فيلوكتيتس حوار طويل يقف طواله نيوبتوليموس صامتًا وهو يمسك بقوس فيلوكتيتس دون أن ينبث ببنت شفه.[٣٠] ثم يخرج بعد ذلك وهو يلفت أنظار الجمهور إلى إلى شعوره بالشفقة على فيلوكتيتس، الذى - كما يقول - سوف يلومه عليه أوديسيوس:

(سوف أذهب) حيث إن أوديسيوس سوف يتهمنى

بأننى أبالغ فى شعورى بالشفقة.

(سطور ١٠٧٤ - ١٠٧٥)

فلماذا تكون آخر كلماته قبل خروجه من المسرح منصبة على شعوره بالشفقة على فيلوكتيتس؟

لأنه سوف يكون السبب وراء عودته مرة أخرى، وأوديسيوس يهرول خلفه، لكى يعيد القوس إلى صاحبه، حتى يشعر مرة أخرى بأنه بالفعل نيوبتوليموس بن أخيليوس الذى يؤمن أنه من الأفضل له أن يكسب بشرف أو

يخسر بشرف، والذى أعلن فى بداية دخوله المسرح أنه من الأفضل لــه أن يخسر بشرف على أن يكسب عن طريق الكذب والخــداع، وذلــك قبــل أن يخضع لعملية " غسيل المخ " التى حاول الماكر أوديسيوس أن يجريها له. لقد أيقن نيوبتوليموس أنه بالفطرة يكره الخداع والكذب، فلم يبق أمامــه ســوى محاولة إقناع فيلوكتيتس بالذهاب معه إلى طروادة. فإذا لم يقتنع فمـــا عليــه سوى تنفيذ وعده له وإعادته إلى وطنه، حتى لو استدعى ذلك جلب عــداوة الإغريق جميعًا.

وفى كثير من الأحيان، يهاجم البعض التراجيديا الإغريقية لإصرارها على وحدة الزمن (تحديد زمن المسرحية بدورة شمس واحدة)[٣١] قــائلين إن ذلك لا يسمح بحدوث تطور ملموس فى الشخصية، وهو قول صادق إلى حد كبير. ولكن فى بعض المسرحيات، كما يحدث أحيانًا فى الحياة الواقعية، نجد أن الظروف تفرض تطورًا ملموسًا على الشخصية فى فترة زمنية قصــيرة، وهذا ما حدث بالفعل مع نيوبتوليموس.[٣٢] ففى مسرحية "فيلوكتيتس" وصــل نيوبتوليموس من خلال معاناته النفسية إلى مرحلة من النضج مكنته من اتخاذ قراراته الخاصة المبنية على قناعاته الشخصية، بغض النظر عن الشعارات القومية والمهارات اللغوية التى مارسها عليه كل من الإغريق وأوديسيوس.

لقد اتخذ نيوبتوليموس قراره الذى يتفق وشخصيته وطباعــه وحســن منبته وقناعاته الأخلاقية، لذلك يكون على أتم الاستعداد لمواجهــة تباعــات قراره.... وحان الوقت كى يتخذ فيلوكتيتس قراره هو أيضًا.

فيلوكتيتس

قدم الشاعر فيلوكتيتس إلى الجمهور فى البداية من خلال وصــف[٣٣] الشاب نيوبتوليموس لمحتويات كهفه: فراشه الذى أعده من أوراق الشــجر،

كوب خشبى خالٍ من الزخرف، بعض المشاعل التى يستخدمها للإضاءة، بالإضافة إلى ملابسه المليئة بالصديد، والتى نشرها لتجف فى الشمس (سطور ٣٣ - ٣٩). ومع أن البعض قد يرى أنها مجرد أشياء تثير الاشمئزاز، لكنها بالقطع موظفة دراميًا بشكل جيد بحيث تكون بداية الطريق الذى ينتهى بالتصالح مع النفس ومع الآخرين، بعد أن يمر بمرحلة الشفقة والتعاطف والتقارب الإنسانى.

وبعد التعرف إلى فيلوكتيتس من أشيائه المادية، يسأل الكورس عن مكانه، وأين يمكن أن يكون الآن، فيجيبه نيوبتوليموس:

يبدو لى أنه مشى متثاقلاً وهو يجر قدميه

جرًا بحثًا عن الطعام فى مكان قريب.

إنهم يقولون إن صيد

الطيور هو الطريقة الوحيدة

التى يستطيع بها الإبقاء على حياته البائسة

وإنه ما من أحد من البشر

يقترب منه ليداوى جراحه.

(سطور ١٦٢ - ١٦٨)

وهنا يبدى الكورس شفقته على ذلك المسكين الذى يعيش وحيدًا لا يحظى بصحبة أحد، ولا يلقى رعاية من أحد. فهو يفتقر إلى كل مقومات الحياة المريحة رغم عراقة أصله، ولا يجد رفيقًا سوى حيوانات الجزيرة وطيورها التى تسمع صرخاته عندما يشتد ألمه (سطور ١٦٩-١٩٠). ونلاحظ أن إجابة نيوبتوليموس- قبل أن يرى فيلوكتيتس ويقابله وجهًا لوجه- تكون مزيجًا من التعاطف والتفسير العقلانى البارد. فهو يرى أن آلامه ربما

كانت مجرد عقاب من الربة خريسى، وأن قسوة حياته ووحدته جزء من تخطيط الآلهة حتى لا يوجه سهام قوسه المدمرة قبل أن يحين الموعد الذى حددته الآلهة لسقوط طروادة (سطور ١٩١ - ٢٠٠).

وأخيرًا يظهر فيلوكتيتس. ويحكى لنيوبتوليموس قصته مع الإغريق، وكيف سارع إلى نجدتهم وجهز سفنه السبع وأبحر معهم بإرادته وهو سعيد بتقديم يد العون إليهم، ولكنهم سارعوا إلى التخلص منه عند أول مصيبة ألمت به. فقد ألقوا به فى جزيرة ليمنوس، التى لا يسكنها بشر، ورحلوا بسفنه وبحارته إلى طروادة دون أن يكلفوا خاطرهم مشقة التفكير فى كيف سيحيا وهو عاجز وحيد، ودون أن يدركوا كم المعاناة التى سيتكبدها لكى يوفر لنفسه الطعام والشراب ويحصل على النار التى تقدم إليه الدفء فى برد الشتاء القارس، وهى المعاناة التى يصفها فى حديثه الطويل مع نيوبتوليموس فى بداية اللقاء بينهما:

لقد مرت الأعوام تباعًا، العام تلو الآخر،
وأنا قابع وحدى فى سكنى المتواضع
أخدم نفسى. ولكى أملأ معدتى الخاوية
كان على أن أصوب قوسى هذا تجاه الحمائم
السريعة الطيران. وبعد ذلك كان يجب على
أن أجر قدمى، هذه القدم الملعونة، إلى حيث
أصاب السهم المنطلق من وتر قوسى الفريسة
فأسقطها أرضًا. وإذا أردت الحصول على ماء أشربه
وكان الجو شتاءً والماء متجمدًا من البرد

كان عليَّ إشعال بعض الأخشاب. وكنت

أزحف – أنا المسكين – لأقوم بهذا. وعندما كنت لا أجد نارًا

للتدفئة كان عليَّ أن أضرب الأحجار بعضها ببعض

حتى أحصل على نار خافتة، تكفى لبقائى على قيد الحياة.

(سطور ٢٨٥ – ٢٩٧)

ويرى بعض النقاد أننا نستطيع أن نلمح فى حديث فيلوكتيتس هذا قدرًا لا بأس به من الفخر بشجاعته وعبقريته وبراعته فى التعامل مع ظروف الحياة القاسية،[٣٤] ولا نجد التعبير عن الحقد والغضب والشعور بالمرارة بصورة واضحة فى سوى نهاية حديثه حينما يقول:

هكذا قضيت – أنا المسكين –

الأعوام التى وصل عددها إلى عشرة أعوام، وأنا أعانى

من ألم جرحى الذى لا علاج له ومن الجوع.

هذا ما فعله بى ولدا أتريوس وأوديسيوس

القاسى. ليت آلهة الأوليمبوس

تجعلهم يعانون فى مقابل ما جعلونى أعانيه.

(سطور ٣١١ – ٣١٦)

وهى النغمة التى لا تتكرر بعد ذلك سوى وهو يعانى فى أثناء نوبة الألم الشديدة التى أصابته، وجعلت الدماء القاتمة تسيل بغزارة من جراحه المتقيحة مع تزايد آلامه إلى حد لا يحتمل، فيصرخ قائلاً:

ليتك، أيها القادم من كيفالينيا، كنت من يتألم،

ليت هذا الألم كان يمزق صدرك. وا أسفاه. آه.

آه ثم آه. أيها القائدان الشقيقان،

أجاممنون ومينيلاوس، ليتكما تعانيان

مرضًا يشبه مرضى فترة تماثل فترة مرضى.

(سطور ٧٩١ – ٧٩٥)

ويرى إدموند ويلسون (E. Wilson) أن فرويد كان محقًا حينما أكد عمق استبصارات سوفوكليس فى ميدان علم النفس المرضى، بحيث أدرك أن المرء حينما يكون فى وضع مماثل لوضع فيلوكتيتس فإنه سوف يتوجه بالخطاب إلى كل ما هو موجود حوله من جماد، ويقيم بينه وبينها علاقة، فهو يصرخ فيردد الكون كله صدى صرخاته فتسمعها أسراب الطيور والحيوانات ونبع المياه، بل الصخور الحادة التى اضطر إلى السير فوقها لكى يصطاد ما يقيم به أوده، أو لكى يجمع الأعشاب التى تخفف حدة ألمه وتسكن جراحه.

فعندما يرفض نيوبتوليموس أن يعيد إليه قوسه بعد أن صارحه بأن عليه الذهاب إلى طروادة، فإنه يصرخ شاكيًا إلى كل ما يحيط به:

يا جداول الماء، أيتها الخلجان البحرية، يا أوكار

الحيوانات المفترسة، أيتها المنحدرات الصخرية،

إليكم أجأر بالشكوى، فإنكم ولا أحد سواكم

كنتم موجودين دائمًا معى، وكنتم تسمعون شكواى دومًا.

(سطور ٩٣٦ – ٩٣٩)

ويرى البعض أن مسرحية فيلوكتيتس (وكذلك مسرحيتا أنتيجونى وأياس) تعالج قضية التوازن الأمثل بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، وإلى أى مدى يجب على الفرد أن يقمع إرادته الخاصة لمصلحة مجتمعه، وإلى أى

مدى يجوز للفرد أن يتجاهل المجتمع ليفعل ما يعتقد شخصيًا أنه الصواب، ومن ثم فإنها تعالج عملية النضج من مثالية المراهقة إلى مسئوليات المواطنة الراشدة.(٣٥) وما كان من الممكن أن يحدث ذلك إلا من خلال قوة عليا، تسمو على المصالح الشخصية والعواطف الآنية. وقد تمثلت هذه القوة العليا في شخص هيراكليس، الإنسان – البطل – الإله، صاحب القوس الأصلى، والذى تربطه علاقة صداقة وثيقة بفيلوكتيتس، الذى عانى كثيرًا ولم تمنحه الشدائد سوى قوة على قوته، فتحول بسبب معاناته من بشر فانٍ إلى إله خالد، وهو ما يحمل إشارة ضمنية أيضًا إلى مصير فيلوكتيتس.

أوديسيوس

يعتبر بعض النقاد نيوبتوليموس مركز أو بؤرة الصراع الدائر بين كل من أوديسيوس وفيلوكتيتس، حيث يحاول كل طرف فى الصراع أن يكسب عقل الشاب البرىء وروحه إلى جانبه، ومن ثم فهو يقع تحت ضغط من كلا الطرفين، وهو ما يسبب له العذاب النفسى والمعاناة، بالإضافة إلى تأنيب ضميره وإحساسه بالخزى من الكذب والخداع، ولكن – من ناحية أخرى – فإن نيوبتوليموس هو الذى يؤدى أيضًا إلى التصالح النهائى بينهما.(٣٦)

ومما لا شك فيه أن أوديسيوس يدين بشهرته فى العالم القديم والحديث للتراث الملحمى، سواء الملحمة الكاملة المسماة باسمه والمخصصة للحديث عن مغامراته فى طريق عودته إلى وطنه أى الأوديسية أو ملحمة الإلياذة التى تحكى أسطورة الحرب الطروادية، ولكنها تفرد له مكانة بارزة بين شخصياتها الكثيرة ووسط أحداثها الكثيرة. ولم يكن الدهاء هو الصفة الوحيدة التى أضفاها هوميروس على أوديسيوس – وإن كانت أبرزها – فقد كان شجاعًا فى أرض المعركة، جريئًا فى الحق، بارعًا فى الحديث، وهو نظير

زيوس فى الرأى السديد، واسع الحيلة، شبيه الآلهة، لا يجاريه أحد من بنى البشر الفانين حينما يبدأ الكلام، وتنساب كلماته مثل ندى الثلج فى يوم من أيام الشتاء، وهو أوديسيوس المغوار ذو السيف البتار، أوديسيوس الإلهى الشديد الجلد، سليل زيوس، وهو فخر الآخيين العظيم، نظير زيوس فى حكمته، وهو هبة السماء للائيرتيس، يملك قلبًا مليئًا بالحماسة، وروحًا بطولية قادرة على مواجهة كل الصعاب، وهو الذى تحبه الربة أثينة باللاس، أوديسيوس مدمر المدن، أوديسيوس الذى يمدحه الجميع، أوديسيوس المشهور بقوة رمحه، حبيب زيوس، ذو القلب الشجاع، أوديسيوس الداهية الكثير الحيل، ذو الدرع الشهيرة، إنه الكهل اليافع كما يقولون الذى من الصعب أن يجاريه أى من الآخيين فى العدو فيما عدا أخيليوس.

ورغم هذه الصفات الكثيرة والعبارات المختلفة المعانى التى يصف بها هوميروس أوديسيوس فإنه ينسبه دومًا إلى لائرتيس،(٣٧) ولا يظهر عنده أبدًا أثر لتلك الروايات الأسطورية، التى سمعها بالتأكيد ولكنه تجاهلها، التى تظهر فيما بعد فى التراث ما بعد الملحمى، وخاصة فى التراجيديا، والتى تقول إن أنتيكليا (Antikleia) أم أوديسيوس، وابنه أوتوليكوس (Autolukos)، وحفيدة الإله هرميس (Hermes) كانت على علاقة بسيسيفوس (Sisyphos) وحملت منه سفاحًا، أو إن سيسيفوس اغتصب انتيكليا رغم إرادتها فحملت بأوديسيوس، ثم تزوجت لائرتيس بعد ذلك، ومن ثم نسبت أوديسيوس إليه.(٣٨) وهى الرواية التى تظهر كثيرًا فى مسرحيات سوفوكليس جنبًا إلى جنب مع الرواية الهومرية، مما جعل صورة أوديسيوس تختلف من مسرحية إلى أخرى، بل إنها تتباين فى المسرحية نفسها طبقًا للشخص الذى يتحدث عنه.

ففى مسرحية " أياس " التى تعود إلى فترة مبكرة فى حياة سوفوكليس(٣٩) يظهر أوديسيوس كإنسان فاضل على خلق، فرغم المشاعر

العدائية التى أظهرها أياس تجاهه وتجاه كل قادة الجيش الإغريقى، ومحاولة نبحهم وهم نيام فى خيامهم، والتى فشلت لتدخل الربة أثينة، فإن أوديسيوس يدافع باستماتة عن حق جثمان أياس فى الدفن بطريقة مناسبة تتناسب ومكانته الرفيعة فى الجيش وبطولاته الكثيرة فى ساحة الوغى، وهو يرفض حتى أن يشعر بالشماتة فى مصائب أياس، ويقول للربة أثينة إن أى إنسان معرض أن يصيبه ما أصاب أياس، فقد ينقلب حظ المرء من السعادة إلى الشـقاء فـى لحظة واحدة (أياس، ١٢٠-١٢٦)، ولذلك يمدحه تيوكروس – شقيق أياس – فى نهاية المسرحية بقوله:

أوديسيوس، أيها الرجل النبيل، سوف أمدحك دومًا

على موقفك هذا. ولكن نبل أخلاقك فاق توقعى بكثير،

فقد كنت شديد الكراهية له (فى حياته)، ولكنك

الوحيد بين الآرجيين الذى مد إلينا يده ولم يرغب

فى إيذاء جثمانه وإهانته.

(سطور ١٣٨١ – ١٣٨٥)

أما فى مسرحية "فيلوكتيتس"، والتى تنتمى إلى فترة متأخرة من حيـاة سوفوكليس، فإن أوديسيوس يظهر بصورة مختلفة عن صورته، سواء فـى التراث الملحمى أو صورته فى مسرحية أياس، وهى صورة هاجمها البعض، فى حين مدحها البعض الآخر. ومع ذلك فإن ديوخريسوستوموس يقول عنه إن صورته أكثر لطفًا وأكثر بساطة من صورته فى مسرحية يوربيديس التى تعالج الأسطورة نفسها، والتى تحمل عنوان " فيلوكتيتس " أيضًا.(٤٠) وإذا كنا لا نملك مسرحية يوربيديس، فإننا نملك النص الكامل لمسرحية سـوفوكليس، ونستطيع أن نتأمل صورة أوديسيوس كما صورها سوفوكليس.

تبدأ المسرحية – كما سبق أن أشرنا – بدخول أوديسيوس وبصحبته شاب صغير، وهو الذى يبدأ الحديث ليشرح لرفيقه أن هذا هو المكان المهجور الذى سبق أن ترك فيه قبل عشر سنوات فيلوكتيتس – الذى يبحثون عنه حاليًا – عندما أُصيب بجرح فى ساقه سبب له آلامًا مبرحة جعلته يواصل الصراخ والعويل ليلاً ونهارًا. ومنذ بداية المسرحية حتى نهايتها تتضح سمات أوديسيوس الواحدة تلو الأخرى.

ففى البداية يتضح مدى حرصه من تكليفه أحد البحارة بمراقبة الطريق حتى لا يأتى فيلوكتيتس فجأة ويكتشف وجوده فتفشل خطته. وعندما يخبر نيوبتوليموس بالمهمة التى جاء ليساعده فى تنفيذها، وأن دوره أن يخدع فيلوكتيتس بمعسول الكلام حتى يحصل على قوسه الشهير، يعلن له مبدأه فى الحياة: الحصول على المكسب(41) بأية طريقة وكل طريقة:

عندما يقوم المرء بشىء يجلب له المكسب لا يجب أن يشعر بالخجل.

(سطر 111)

وهى الفكرة نفسها التى يكررها فيما بعد فى نهاية المسرحية، ولكنه يضيف إليها تصوره عن نفسه، وإيمانه بأنه من بين أكثر البشر تقوى، حيث يقول لفيلوكتيتس:

إذا أُجريت مسابقة
لاختيار الرجال الأفاضل والعادلين
فلن نجد من هو أكثر منى تقوى ووقارًا،
ولكننى بطبعى أبحث عن الفوز والانتصار دائمًا.

(سطور 1049 – 1052)

ومن اللافت للنظر أن أوديسيوس يبتهل إلى الإله هرميس، رسول الآلهة الماكر، حتى يقود خطاه ويوفقه فى مهمته. ومن المعروف أن

الأساطير تجعل هرميس جد أوديسيوس (فقد أنجب أوتوليكوس الذى أنجب أنتيكليا أم أوديسيوس). وهرميس مشهور فى التراث القديم كله بولعه بالسرقة والغش والخداع واللصوصية والمكر والدهاء وسعة الحيلة، وهى بعض الصفات التى ورثها عنه – وعن سيسيفوس – أوديسيوس.

ومع أن أوديسيوس يخرج ويغادر المسرح بعد ابتهاله إلى الإله هرميس، ولا يظهر فى سوى منتصف المسرحية تقريبًا، فإنه يجب أن نضع فى حسباننا أنه الغائب الحاضر، فإن كل ما يقوله نيوبتوليموس وما يفعله هو من بنات أفكار أوديسيوس ونتيجة لتوجيهاته. وكذلك كلمات البحار الذى جاء متنكرًا فى هيئه تاجر خمور، والقصة التى يرويها هى من تدبير ذلك الداهية.

يعاير فيلوكتيتس أوديسيوس بأنه اشترك فى الحرب الطروادية بكامل رغبته، فى حين اضطر أوديسيوس إلى الاشتراك فى الحرب بعد اكتشاف خداعه وتظاهره بالجنون،[٤٢] وهى الواقعة التى لم يتوقف عندها أوديسيوس كثيرًا لينفيها أو يبررها، ولكنه يركز كلامه على أن مصلحة الإغريق تقتضى ذهاب فيلوكتيتس ومعه قوس هيراكليس الشهير إلى طروادة حتى يتحقق النصر لهم، وهو الأمر الذى جعل بعض النقاد يرون فيه شخصًا حريصًا على مصلحة وطنه، ويسعى إلى تحقيقها بكل وسيلة وبأية وسيلة، وهو ما يُحسب له لا عليه من وجهة نظرهم.

هيراكليس

تحفل المصادر الإغريقية والرومانية بقصة واحد من أشهر أبناء البشر.. قصة هيراكليس.. الذى قام ببطولات عظيمة، وأنجز أعمالاً رائعة.. وعانى فوق ما يحتمل البشر.. فجعله ذلك كله يتحول من طبيعته البشرية إلى إله وسط الآلهة، يشاركهم حياتهم ويتمتع بامتيازاتهم، ولكنه يتفوق عليهم؛

لأنه خبر حياة البشر التى لم يعرفوها. يتحدث عنه هوميروس فى الإلياذة فى أكثر من موضع، مؤكدًا على لسان كبير الآلهة زيوس أنه ابنه من الكمينى، إحدى بنات البشر. فهو يخاطب الآلهة المجتمعين قائلاً:

انصتوا إلىَّ جميعًا أيها الآلهة وأيتها الإلهات، إذ سأكشف لكم
عما يقوله قلبى فى داخل صدرى: فى هذا اليوم، إيليثويا، إلهة
الولادة، ستخرج إلى النور طفلاً سيكون سيدًا على كل من
حوله من الشعوب المجاورة، فهو من سلالة تنتمى إلىَّ.

(الكتاب ١٩، ١٠١ – ١٠٤)

وقد حظى الطفل الوليد بحب زيوس، مما أثار حقد هيرا وكراهيتها له (الكتاب ١٨، ١١٧ – ١١٨)، ومما زاد من حقد هيرا رؤيتها لهيراكليس وهو يحقق نجاحات متوالية ويحرز انتصارات كثيرة عندما أصبح شابًا يافعًا. فطفقت تدبر المكائد للنيل منه والقضاء عليه، وكان من بين المعاناة التى تعرض لها هيراكليس خضوعه لأحكام الملك يوروسثيوس وأوامره، وهو ما يُعرف بأعمال هيراكليس الاثنى عشر الخارقة (الكتاب ١٩، ١٢٥).

وكانت إشارات هوميروس المقتضبة هى البذرة التى استغلتها بقية المصادر الإغريقية والرومانية فى معالجتها لأسطورة هيراكليس لتخرج لنا كثيرًا من الروايات الأسطورية. ولذلك من النادر ألا نجد إشارة له ولأعماله عند أى شاعر إغريقى أو رومانى، بل لقد صار بطلاً فى الأعمال السينمائية والتليفزيونية فى العصر الحديث. أشاد به وبقوته ستسيخوروس(٤٣) وثيوكريتوس، وتناول أبوللو دروس قصته كاملة، وأفرد الشاعر التعليمى هسيود قصيدة كاملة بعنوان درع هيراكليس (Herakleous Aspis)، وهى القصيدة التى تتكرر أبياتها الأولى، والتى تحكى قصة ميلاده وأعماله فى

عمل آخر يُنسب أيضًا إلى هسيود، هو قصيدة " الميثيلات ". وفى القصـيدة النيمية الأولى، يذكر الشاعر الغنائى بنداروس أعمال هيراكليس الاثنى عشر المشهورة وحياته كاملة، ابتداء من قتله للثعبانين الضخمين اللذين أرسـلتهما هيرا ليقتلاه وهو ما زال طفلاً رضيعًا فى مهده. وكان من عادة بنداروس أن ينهى قصيدته بذكر الحكمة المستفادة من مغزى الأسطورة التى رواها، ولكنه فى هذه المرة يكتفى بذكر أسطورة هيراكليس لإيمانه بأن مجرد ذكرها كافٍ لتوصيل الحكمة والدرس الذى يريد نقله إلى مستمعيه وتوصيله إليهم. كمـا استهوت أسطورة هيراكليس الشاعر التراجيدى أيسـخولوس فكتـب عنـه مسرحيتين: ألكمينى (Alkemene) وأبناء هيراكليس (Herakleidai)، ولكنهما فقدتا. وتناول سوفوكليس قصـة موتـه فـى مسـرحية نسـاء تـراخيس (Trachiniai) وجعله يظهر كإله من الآلة فى المسرحية التى نتناول أحـداثها حاليًا، أى مسرحية فيلوكتيتس، فى حين عالج يوربيديس قصة إنقاذ ألكستيس على يد هيراكليس فى مسرحية ألكستس (Alcestis)، أمـا قصـة إصـابته بالجنون وقتله أبناءه فقد عالجها فى مسرحية هيراكليس مجنونًا[٤٤] (Herakls Mainomenes). كما كتب مسـرحية أخـرى بعنـوان أبنـاء هيـراكليس (Herakleidai). ويُنسب إلى يوربيديس كذلك عناوين كثير من المسـرحيات المأخوذة عن أسطورة هيراكليس، منها: ألكمينى (Alkemene)، وبـوزيريس (Bousiris)، ويوريسثيوس (Eurystheus)، وغيرها. وكتب عن أسـطورته الشاعر الرومانى أوفيديوس (Ovid)، كما نظم سينيكا (Seneca)، الفيلسـوف والشاعر التراجيدى الرومانى الشهير، عملين عن أسطورته هما: هيراكليس مجنونًا (Herculs Furens)، وهيراكليس فوق جبل أويتا (Herculs Oetaeus).

ولقد اختلفت المصادر القديمة – وكذلك الدراسات الحديثـة – حـول وضع هيراكليس فى الأساطير الإغريقية ؛ حيث يرى الـبعض أنـه كـان شخصية تاريخية حقيقية، فى حين يرى البعض الآخـر أنـه كـان بطـلاً

أسطوريًا. وكذلك اختلفت الآراء حول هل كان هيراكليس مجرد بشر تحــول إلى بطل أم تحول إلى إله من الآلهة. ولكننا نتفق مع وجهة نظــر د. أحمــد عتمان بأن اعتبار هيراكليس فى هذه المسرحية مجرد بطل جاء حاملاً رسالة زيوس كفيل بهدم المغزى التراجيدى وتقويض البناء الــدرامى للمســرحية كلها.(٤٥)

لقد سبق أن أعلن فيلوكتيتس أنه لن يذهب إلى طروادة حتى لو ظهــر له زيوس كبير الآلهة نفسه. ويعلن إصراره على عدم مساعدة أولئك الــذين تركوه وحيدًا عاجزًا:

محال. محال (أن أذهب) ولتتأكد أن هذا قرارى الذى لن أغيره

حتى لو ظهر لى زيوس إله البرق
حاملاً نيرانه ليصب صواعقه فوق رأسى.
فلتذهب طروادة إلى الجحيم، وكل أولئك الذين
يوجدون على مقربة من أسوارها، والذين
تركونى وحيدًا بقدمى هذه.

(سطور ١١٩٧ – ١٢٠٢)

ولكنه يمتثل لصديقه الذى سوف يربط بينهما المصير المشــترك فــى المستقبل (الخلود) مثلما ربطتهما الصداقة فى الماضى. وكما كان القوس هو هدية الشكر والعرفان بالجميل التى قدمها هيراكليس إلى فيلــوكتيتس حينمــا وافق على إشعال النار فى جثمانه، فإن القوس نفسه سوف يكون الوسيلة التى سيتحول بها فيلوكتيتس إلى إله بسبب معاناته وبطولاته. ولنتأمل كلمات الإله هيراكليس لفيلوكتيتس فى نهاية المسرحية:

سوف أخبرك فى البداية عن قصتى

وكم الآلام التى عانيتها، والمهام التى قمت بها،

حتى اكتسبت فضيلة الخلود، كما ترانى الآن.
ولتعرف أنه مقدر عليك أن تعانى أنت أيضًا
وأن تكابد من الألم حتى تنتهى حياتك وقد حققت المجد والشهرة.
فلتذهب مع هذا الرجل إلى مدينة
طروادة، حيث ستجد علاجًا لآلامك فى البداية
ثم بعد ذلك سوف يعترفون بأنك أفضل محارب فى الجيش كله.
وذلك عندما تقتل باريس، سبب هذا البلاء،
وتنهى حياته، وبسلاحى هذا الذى تمسك به الآن
سوف تدمر طروادة، وسوف ترسل
إلى منزل والدك بوياس، وإلى مدينة أويتا
كثيرًا من الهدايا التى ستحصل عليها من الجيش لشجاعتك.
ولترسل جزءًا من هذه الهدايا التى ستحصل عليها
من الجيش إلى محرقتى قربان شكر لى
على أسلحتى.

(سطور ١٤١٧ – ١٤٣٢)

وهى الكلمات التى تجمع بين البطلين (هيراكليس وفيلوكتيتس) والقوس نفسه الذى قاد كليهما إلى الخلود والألوهية.

ومن المهم أن نلاحظ النصيحة المهمة التى حرص هيراكليس على توجيهها إلى كل من فيلوكتيتس ونيوبتوليموس قبل توجههما إلى طروادة:

ولكن عليكما تذكر هذه النصيحة:

عندما تدمران هذه المدينة تمسكا بتقوى الآلهة

فإن كل الأشياء الأخرى تأتى فى المرتبة الثانية

بالنسبة إلى أبينا زيوس. إن التقوى لا تموت.

وسواء أكان البشر أحياء أم أمواتًا، فإن التقوى لا تموت.

(سطور ١٤٤١ – ١٤٤٤)

فالتقوى هى كلمة السر التى تحقق للمرء السعادة، سواء فى الحياة أو بعد الموت، وهى مفتاح الخلود لمن تختبرهم الآلهة بالمعاناة والألم فيصبرون ويتحملون أقدارهم بنفس راضية.

التاجر

عندما يدخل أوديسيوس ونيوبتوليموس فى بداية المسرحية يكون بصحبتهما أحد البحارة، والذى يقف صامتًا معهما، فى حين يتبادل الاثنان الحوار حول المهمة التى حضرا إلى جزيرة ليمنوس لأدائها. وقبل أن يغادر أوديسيوس المسرح يشير إلى هذا البحار الصامت وهو يقول:

سوف آخذ هذا الرجل معى إلى السفينة أيضًا،

وسوف أبعث به إلى هنا مرة أخرى،

إذا شعرت أنك قد تأخرت

وقتًا أطول من اللازم، وذلك بعد أن يتنكر

فى هيئة تاجر حتى لا يتمكن من التعرف إليه.

وعندئذ، عندما يقص عليك – يا بنى – قصة
جيدة الحبكة، حاول الاستفادة مما يقول، وافهم مغزى كلامه.
(سطور ١٢٥ – ١٣٠)

فما القصة الجيدة الحبكة التى يجب على نيوبتوليموس أن يفهم مغزاها ويستفيد منها؟

يدخل البحار الذى أرسله أوديسيوس بعد تنكره فى زى أحد التجار فى لحظة حاسمة. فقد اتفق فيلوكتيتس ونيوبتوليموس على الرحيل من الجزيـرة وفى ذهن كل منهما وجهة مختلفة: فيلوكتيتس يتصور أنه ذاهب إلى وطنه أو حتى أقرب مكان إليه، فى حين يخطط نيوبتوليموس لأخذه إلـى طـروادة. يدخل البحار متنكرًا فى زى أحد تجار الخمور، وهى المهنة التى سمحت له بالوجود وسط الإغريق المرابضين أمام أسوار طروادة المنيعة، وأتاحت لـه سماع أحاديثهم، ومن ثم فكر فى استغلال المعلومات التى سـمعها لكسـب المال، فهو يخبره أن الإغريق أرسلوا بعثة مكونة من فوينكس العجوز واثنين من أبناء ثيسيوس (لم يذكر اسميهما لعدم أهميتهما، وربما لأن القصة كلهـا مختلقة). وحينما يسأله نيوبتوليموس لماذا لم يبحر أوديسـيوس لأداء هـذه المهمة بنفسه، يجيبه بأنه أبحر بالفعل سعيًا وراء رجل آخر (لم يذكر من هو على الفور لأهميته). ثم يتوقف التاجر عن الحديث فجأة وكأن عينيه تقعـان على فيلوكتيتس هذه اللحظة فقط، فيسـأله عمـن يكـون، وعنـدما يجيبـه نيوبتوليموس بأنه فيلوكتيتس الشهير، لا يعقب ولا يسترسل فـى الحـديث، ولكنه يطلب منه أن يغادر الجزيرة بأقصى سرعة. وبعد مناورات محسـوبة وتردد مرسوم بدقة يتحدث التاجر ويخبر فيلوكتيتس ونيوبتوليموس بالقصـة الجيدة الحبكة التى سبق أن تحدث عنها أوديسيوس.

وأعتقد أن أحد جوانب عبقرية سوفوكليس أنه جعل شخصـية ثانويـة تسهم فى تطور الحدث الدرامى وتلعب دورًا أساسيًا فى الحبكة المسـرحية.

فعلى لسان التاجر نسمع لأول مرة أن وجود فيلوكتيتس شخصيًا مع الجيش الإغريقى الذى سيهاجم طروادة ضرورى لإحراز النصر وسقوط المدينة، بعد أن اقتصرت إشارة أوديسيوس فى بداية المسرحية على أهمية وجود القوس معهم فقط، حيث يقول لنيوبتوليموس:

إنك إذا لم تحصل على قوس هذا الرجل

فلن يكون فى استطاعتك تدمير أرض دردانوس (طروادة).

(سطور ٦٨ – ٦٩)

ويؤكد ذلك مرة أخرى أيضًا بقوله:

إن طروادة لن تسقط بسوى أسلحته.

(سطر ١١٣)

فالحديث منصب حتى الآن على ضرورة وجود الأسلحة مع الجيش الإغريقى ومع نيوبتوليموس كشرط لتدمير طروادة. ثم تتكشف الحقيقة تدريجيًا على لسان التاجر الذى يعلن لهما للمرة الأولى عن نبوءة هيلينوس ابن الملك الطروادى برياموس الذى وقع فى الأسر بفضل دهاء أوديسيوس وخداعه، وتنبأ لهم أن أوان سقوط طروادة قد حان، ولكنها لن تسقط بدون وجود فيلوكتيتس (وأسلحته معه بالطبع)، حيث قال للإغريق:

إنهم لن يتمكنوا أبدًا من تدميرها (طروادة) ما لم يكن معهم هذا الرجل (فيلوكتيتس).

(سطر ٦١٢)

وهو ما يدفع فيلوكتيتس إلى حث نيوبتوليموس إلى الرحيل. فيوافق الأخير دون تحديد الوجهة التى سيتجهان إليها صراحة (فالبطل الجريح يظن أنه متجه إلى وطنه، والشاب المتحمس يخطط للذهاب إلى طروادة)، لولا

إصابة فيلوكتيتس بنوبة ألم مفاجئة ينام بعدها نومًا عميقًا. ومع أن قوس هيراكليس يكون بين يدى نيوبتوليموس فى أثناء نوم فيلوكتيتس، فإنه يرفض استغلال الفرصة والإبحار بسرعة إلى طروادة متعللاً بأن وجود الرجل نفسه ضرورى لسقوط المدينة المنيعة كما أعلنت نبوءة هيلينوس التى نسمعها مرة أخرى على لسان الإله هيراكليس، الذى يجمع فى حديثه بين الأطراف الثلاثة السابقة، ويؤكد ضرورة وجودها معًا لسقوط طروادة: نيوبتوليموس، وفيلوكتيتس، والقوس.

وتنتهى المسرحية نهاية سعيدة، حيث يعد الإله هيراكليس البطل الجريح بالشفاء والمجد الذى يعد به أيضًا نيوبتوليموس بن أخيليوس.

الكورس

خالف سوفوكليس كلاً من أيسخولوس ويوربيديس فى معالجتيهما لأسطورة فيلوكتيتس فى المسرحية التى تحمل أيضًا عنوان فيلوكتيتس. فقد جعل كل منهما الكورس يتكون من سكان الجزيرة، وهو الأمر الذى أوقعهما فى ورطة: فمن المفروض أن فيلوكتيتس يعيش وحيدًا دون أنيس أو جليس حتى يزداد شعوره بالغضب والكراهية لقادة الإغريق الذين تركوه هكذا وهو عاجز، ومع وجود سكان فى الجزيرة اضطر يوربيديس إلى جعل الكورس يعتذر لفيلوكتيتس عن إهماله وعدم زيارته لفترة طويلة، فى حين فضل أيسخولوس تجاهل الأمر، ولم يقدم له تفسيرًا.

تؤكد أولى كلمات الكورس ولاءه التام لسيده نيوبتوليموس، وإيمانه بقدراته ومهاراته التى تفوقهم كثيرًا، حيث إنها هبة من الآلهة للملوك والحكام فقط:

ماذا، ماذا عساى أقول – يا سيدى – وأنا غريب
فى أرض غريبة، لرجل كثير الشك، وماذا أخفى عنه؟
فلتخبرنى، فإن المهارة
التى تفوق مهارات الآخرين
والرأى السديد هو منحة من
زيوس المبجل يحظى بها من يحمل الصولجان ويحكم.
لقد ورثت – يا بنى – كل
قوة أسلافك. فلتخبرنى
كيف يمكننى أن أخدمك.

(سطور ١٣٥ – ١٤٣)

فالشاعر يحدد منذ البداية أن مهمة الكورس الأساسية وسبب وجوده هو مساعدة سيده نيوبتوليموس فى إنجاز المهمة التى أتى إلى هذه الجزيرة النائية من أجلها، مع تأكيد واضح على ولائه التام لسيده الذى يجعله يفعل أى شىء وكل شىء من أجله، مدفوعًا بحبه الشديد له، كما يتضح فى قوله:

لقد كنتُ حريصًا دومًا على سلامتك
وكانت عيناى ترعاك دومًا يا مولاى

(سطور ١٥٠ – ١٥١)

فمصلحة نيوبتوليموس هى الشغل الشاغل لطاقم بحارته الذى يتكـون منهم الكورس، وإن كان هذا لا يمنعهم من الشعور بالشفقة على فيلـوكتيتس والتعاطف معه بصدق. ومع ذلك يظل نجاح نيوبتوليموس فى المهمة التـى

أتى من أجلها فى مقدمة اهتماماتهم، وأعتقد أن غياب هذه الحقيقة عن أذهان بعض الدارسين هو الذى جعلهم يهاجمون ما وصفوه بانتهازية الكورس الشديدة أو تحولهم من الرقة الشديدة وهم يبتهلون إلى إله النوم أن يأتى إلى عيون فيلوكتيتس ويبقيه نائمًا أطول فترة ممكنة، وبعد ذلك مباشرة يستحثون نيوبتوليموس أن ينتهز فرصة نوم البطل الجريح للإبحار إلى طروادة ومعه قوس هيراكليس.

ومع أن مشاركة الكورس فى المسرحية من الناحية الكمية ليست كبيرة (حيث يضع الشاعر على لسان الكورس نحو ٢١٠ سطور فقط من سطور المسرحية البالغ عددها ١٤٧١ سطرًا) فإن مشاركته فى الأحداث وقيمة ما يُقال على لسانه يفوق فى أهميته عدد السطور التى تُقال بواسطته.

فرغم تعاطفه مع فيلوكتيتس، فإن الكورس يتسم بقدر من الموضوعية يمكنه من إعلان رأيه، حتى لو كان صادمًا لفيلوكتيتس (سطور ١٠٩٥ – ١١٠١، ١١١٦ – ١١٢١)، بل إنه يدافع عن أوديسيوس على اعتبار أنه مجرد فرد كلفه الجيش بمهمة محددة هدفها مصلحة الإغريق جميعًا (سطور ١١٤٠ – ١١٤٥)، ويحاول أن يثنى فيلوكتيتس عن عناده وينصحه بالذهاب معهم إلى طروادة (سطور ١١٦١ – ١١٦٩).

وفى ختام المسرحية، وبعد موافقة فيلوكتيتس على الذهاب إلى طروادة بصحبة نيوبتوليموس وبحارته، يتغنى الكورس بالكلمات الختامية فى المسرحية، معلنين عن رغبتهم أن يعودوا جميعًا إلى الوطن سالمين. وإذا كانت أنشودة الكورس الختامية التى ينشدها فى أثناء خروجه من المسرح لا تتضمن أية أحكام أخلاقية، وتعلن عن رأى الكورس فيما حدث، ومن كان المصيب ومن المخطئ من وجهة نظره، فمن الممكن أن نعتبرها موافقة ضمنية على تصرفات كل شخصية من شخصيات المسرحية ومواقفها، فقد كانت كل الأدوار مرسومة بدقة بيد الآلهة، وعلى رأسها الإله العظيم زيوس

الذى دبر كل هذا على حد تعبير فيلوكتيتس مباشرة قبل أنشودة الكورس الختامية. وهو ما يُعتبر تتويجًا لما سبق أن قيل على لسان نيوبتوليموس فى بداية المسرحية من أن ما حدث لفيلوكتيتس كان من تدبير القدر ومن تخطيط الآلهة حتى لا يوجه سلاحه قبل الأوان ضد طروادة، وقبل أن يحين الموعد الذى حددته الآلهة لسقوط المدينة (سطور ١٩١ – ٢٠٠). وهكذا يشبه فيلوكتيتس أوديب حيث إن كلاً منهما قدرت له الآلهة خطوات حياته وقضت عليه بالمعاناة دون جريمة ارتكبها، وبعدها تكافئه الآلهة على معاناته وتعوضه عن آلامه بالخلود. وقد أشار الكورس نفسه فى فترة مبكرة إلى مصير فيلوكتيتس وخلوده عندما تحدث بالتفصيل (سطور ٦٧٦ – ٧٢٩) وبكل تعاطف مع معاناته وربط بينها وبين عودته بعد ذلك إلى جبل أويتا الذى شهد من قبل تحول هيراكليس إلى إله بعد حرقه فوق قمته ومشاركة فيلوكتيتس فى هذا الحدث، حيث كان هو الذى أشعل النار فى جسد هيراكليس (أو والده فى روايات أخرى)، ولذلك حصل على القوس الشهير الذى كان رفيقه فى حياته القاسية على جزيرة ليمنوس ووسيلته الوحيدة للإبقاء على حياته، ثم بعد ذلك أداته لنيل المجد والخلود بعد تدمير طروادة.

ومن الناحية الفنية نجد أن مسرحية فيلوكتيتس تتكون من الأجزاء التالية:

برولوج من سطر ١ إلى ١٣٤.

بارودوس من سطر ١٣٥ إلى ٢١٨.

الفصل الأول من سطر ٢١٩ إلى ٦٧٥.

أغنية الكورس الأولى من سطر ٦٧٦ إلى ٧٢٩.

الفصل الثانى من سطر ٧٣٠ إلى ٨٢٦.

أغنية الكورس الثانية من سطر ٨٢٧ إلى ٨٦٤.
الفصل الثالث من سطر ٨٦٥ إلى ١٠٨٠
أغنية الكورس الثالثة من سطر ١٠٨١ إلى ١٢١٧.
الفصل الرابع والخروج من سطر ١٢١٨ إلى ١٤٧١.

ومن اللافت للنظر أننا نجد مقتطفات من أسطورة فيلوكتيتس مصورة على الرسوم الموجودة سواء على الأوانى الفخارية أو الحوائط، أو حتى على الأحجار الكريمة طوال الفترة الزمنية الممتدة من القرن الخامس ق.م. حتى القرن الثانى أو الثالث الميلادى.

وأشهر هذه اللوحات لوحة موجودة حاليًا فى متحف اللوفر، ومن المرجح أنها رسمت نحو عام ٤٠٠ ق.م.، وهى تصور منظر تقديم القرابين فى جزيرة خريسى للربة خريسى، حيث لدغ الثعبان السام قدم فيلوكتيتس. وتصور اللوحة فيلوكتيتس ممددًا على الأرض وهو يصرخ ويتأوه كما يوحى بذلك فمه المفتوح. وقد التف حوله فى ساحة المعبد المكشوفة مجموعة من الإغريق، ويحاول أقربهم إليه أن يرفعه من على الأرض، وكما توحى سنه الصغيرة فمن المحتمل أن يكون بلاميديس.

وتؤكد أكاليل الغار الموضوعة على رءوس الجميع أنهم كانوا يقدمون القرابين لتمثال الربة الذى يظهر فى أقصى يسار الرسم وأسفله الثعبان الذى لدغ فيلوكتيتس وهو يحاول الهرب، فى حين يحاول أجاممنون أن يضربه بالصولجان الذى يمسكه فى يده. وبجوار أجاممنون يقف شاب بدون لحية ممسكًا بقطعة مشوية من اللحم مثبتة فى أحد الأسياخ لتقديمها قربانًا للربة ويرتدى رداء يغطى نصفه السفلى فقط. ومن المحتمل أن هذا الشاب هو أخيليوس، والذى يقف على مقربة منه ديوميديس ملفوفًا فى عباءته. وفى أقصى اليسار يقف شخص آخر ربما كان مينيلاوس. واللوحة كلها تنطق بالرعب من الكارثة التى حدثت.

ومن المؤكد أن ظهور مقتطفات من أسطورة فيلوكتيتس فى الرسوم واللوحات على مدى فترة زمنية طويلة يعكس مدى انتشار الأسطورة فى المصادر القديمة.

وقد لقيت مسرحية سوفوكليس عن أسطورة فيلوكتيتس القدر نفسه من الاهتمام فى العصر الحديث، فقد تُرْجِمت أكثر من مرة إلى اللغة العربية، نذكر منها:

ترجمة طه حسين التى نُشرت ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، ثم ترجمة أمين سلامة الصادرة عن الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٦، وكذلك ترجمة د. على حافظ التى صدرت فى الكويت ضمن سلسلة المسرح العالمى عام ١٩٧١.

وأخيرًا – وليس آخرًا – هذه الترجمة مع النص الأصلى باللغة اليونانية، وذلك ضمن سلسلة لترجمة النصوص المسرحية الكلاسيكية على يد متخصصين، بتشجيع من المركز القومى للترجمة.

الحاشية

---

١ – لا تشير ملحمة الإلياذة إلى وقوع هيلينوس، ابن الملك الطروادى برياموس، أسيرًا بين أيدى الإغريق بفضل مكر أوديسيوس، كما يقول سوفوكليس فى هذه المسرحية، ولكنه كان موجودًا حتى نهاية الملحمة فى طروادة (الكتاب ٢٤، ٢٤٨ – ٢٦٣).

٢ – تشير بعض المصادر القديمة إلى عودة فيلوكتيتس سالمًا إلى وطنه. لمزيد من التفصيل انظر:

Guerber, H.A: The Myths of Greece and Rome, London, 1981, p. 231.

٣ – د. أحمد عتمان: الأدب الإغريقى. تراثًا إنسانيًا عالميًا، الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٠.

٤ – لمزيد من التفصيل انظر:

Shuckburgh. E.: The Philoctetes of Sophocles, Cambridge, 1906, p. VIII.

٥ – د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، الجزء الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٣٧٩.

٦ – لم يذكر هوكيروس فى الإلياذة اسم الجزيرة التى ترك فيها الإغريق فيلوكتيتس. انظر الإلياذة، الكتاب ٢، ٧١٦ – ٧٢٨.

٧ – فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين ظهر بعض الخطباء والفلاسفة الذين نالوا شهرة عظيمة واحتشد الناس حولهم لسماع خطبهم الممتعة حول الأساطير والتاريخ. عُرفت حركتهم باسم السوفسطائية الثانية، وكان من ضمن هؤلاء فلافيوس فيلوستراتوس الذى نال تعليمه فى مدينتى أثينا وروما، ثم ما لبث أن استقر فى أثينا وتزوج فيها، وصار يلقى دروسه فيها. من أهم أعماله " سير السوفسطائين " و "البطل " و " عن الألعاب الرياضية ".

ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن أهميته وأهم مؤلفاته انظر:

Barnes. T.D: Philostratus and Gordian, Latomus 27, 1968, pp. 581 – 597, Bowersock, G.W: Greek Sophists in the Roman Empire. Oxford. 1969.

٨ – ديوخريسو ستوموس: كان ديو واحدًا من أهم فلاسفة السوفسطائية الجديدة، وكان فيلسوفًا أخلاقيًا، وسياسيًا بارزًا، وخطيبًا مفوهًا. كان أفلاطون أهم من أثر فى أفكار ديو، كرس ديو بعض مقالاته أو محاوراته للفلسفة ولمناقشة بعض الموضوعات المهمة من الحرية، العبودية، والجمال.

لمزيد من المعلومات عن أهم مؤلفاته انظر:

Berry. E: Dio Chrysostom the moral philosopher" G&R 30, 1983, pp. 70 – 80, Jones, C.P: The Roman world of Dio Chryststom, Harvard. 1978.

٩ – سطور هذه الشذرة موجودة فى كتاب:

Shuckburgh, E.S: The Philoctetes of Sophocles, Cambridge, 1906, pp XII – XIII.

١٠ - كان من المعتاد أن نجد نقدًا من شعراء التراجيديا والكوميديا الإغريقية لسابقيهم فـي ثنايـا مسرحياتهم. وقد ظهر هذا النقد جليًا عندما يتناول شعراء التراجيديا الثلاثة أسطورة واحـدة.
لمزيد من التفصيل انظر:
د. عبد المعطى شعراوى: النقد الأدبى عند الإغريق والرومان، مكتبـة الأنجلـو المصـرية، ١٩٩٩، ص ٤٠ - ٤٣.

١١ - كان بالاميديس (Palamedes) أحد أبطال الإغريق الذين شاركوا فى الحملة ضد طـروادة ولكن نشب بينه وبين أجاممنون وباقى الملوك الإغريق خلاف حاد. وتقول إحدى الروايات إن أوديسيوس اتهمه بالخيانة، مما جعل الإغريق يحكمون عليه بالموت رجمًا بالحجارة. حـزن والده ناوبليوس عليه حزنا شديدًا وقرر الانتقام له. ونجح بالفعل فى إغواء زوجات قادة الحملة على الفسق والفساد وشجعهن على الزنا. وكانت أكثرهن اسـتعدادًا للاقتنـاع بفكرتـه هـى كليتمنسترا زوج أجاممنون نفسه، والتى اتخذت لنفسها عشيقًا، وهـو الـذى سـاعدها علـى التخلص من أجاممنون بقتله بعد عودته إلى وطنه.
لمزيد من التفصيل انظر:
د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، مكتبة الأنجلو المصرية جـ١، ٢٠٠٣، ص ٣٠٥ - ٣١٢، د. منيرة كروان: تأملات فى الأدب الإغريقى، ص ٤٧ وما يليها.

١٢ - هذا تقييم شكبيرج لمسرحية أتيوس. انظر:
Shuckburgh, E.S: The Philoctetes of Sophocles, p. XXV.

١٣ - كان فرانسوا فينيلون أشهر كتاب عصر النهضة، كما كان رجل ديـن، ورجـل سياسـة، ومفكرًا له نظريات مهمة فى عصره. يعتبر البعض عمله المسمى " تليمـاك " (١٦٩٩) نقـدًا لسياسة لويس الرابع عشر.
لمزيد من التفصيل انظر:
Little, K.D: Francois de Fenelon: A Study of a Pessonality (1951), Raymond, M: Fenelon (1967).

١٤ - من المعروف أن السياسى الأثينى الشهير الكيبياديس عندما شـعر أن أعـداءه السياسـيين يخططون للقضاء عليه هرب وقرر اللجوء إلى إسبرطة، عدو وطنه أثينا اللدود. بل لقد ساعد إسبرطة كثيرًا فى حربها ضد وطنه. فما كان من أثينا إلا أن أصدرت قـرارًا بـالعفو عـن الكيبياديس واستقبلوه استقبال الفاتحين، وتولى القيادة مرة أخرى فى مايو ٤٠٧ ق.م.
د. سيد أحمد الناصرى: الإغريق، تاريخهم وحضارتهم، دار النهضـة العربيـة ١٩٧٦، ص ٣٤١ - ٣٥٣.

١٥ - د. أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٤٨.
لمزيد من التفصيل عن عزلة البطل السوفوكلى انظر:
Taplin, O. P.:" Significant actions in Sophocles Philoctetes" GRBS 12, 1971, pp. 25 – 44, Stanford, W.B: Greek Tragedy and the Emotions, London, 1983.

١٦ – اختلفت الروايات الأسطورية حول الشخص الذى حصل على قوس هيراكليس: هـل هـو فيلوكتيتس أو والده بوياس.

لمزيد من التفصيل حول الروايات الأسطورية المختلفة انظر:

Rose, H.J: A Handbook of Greek Mythology, 3rd ed. London, 1945, p. 215; Guerber, H.A: The Myths of Greece and Rome, London, 1981, p. 134.

١٧ – يرى بعض النقاد أن الكورس هنا يجسد النزعة العملية التى تسعى إلى تحقيـق المصـلحة بغض النظر عن أى شىء. لمزيد من المناقشة انظر:

Robinson, D.B: "Topics in Sophocles Philoctetes" C Q 19, 1969, pp. 34 – 56, Segal, C.p:"Philoctetes and the imperishable piety" Hermes 105,1977, pp.133–58.

١٨ – من ضمن هؤلاء النقاد انظر:

Adams, S.M.: Sophocles, The Playwright. Toronto, 1957, p. 153, Podlecki, A.T: "The power of the word in Sophocles philoctetes" GRBS 7, 1966, pp. 233 – 50, Knox, B.M.W.: Heroic temper, studies in sophoclean tragedy, California, 1964, p. 13.

١٩ – تقول الأسـطورة إن الربة هيرا تعهدت بالرعاية المسخ أو الأفعوان البحرى هيدرا حتـى تهدد به هيراكليس. كلف يوروسثيوس هيراكليس بالقضاء على هذا الأفعوان الرهيب الذى كان له جسم كلب ورءوس تشبه رءوس الأفاعى. قيل إن عددها كان تسعة، وقيل خمسين أو مائة رأس. بل قالت بعض الروايات إن له عشرة آلاف رأس، كل رأس ملىء بالسـم الزعـاف، وكذلك دمه. عندما نجح هيراكليس فى قتل الأفعوان غمس سهامه فى دمائه المتدفقة، وهكـذا أصبحت سهامه قاتلة.

د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، جـ١، ص ٤٠٩.

٢٠ – د.ماهر شفيق فريد: مدخل نفسى إلى مسـرحية سـوفوكليس فيلـوكتيتس، مجلـة أوراق كلاسيكية، العدد ٧، عام ٢٠٠٧، ص ١٣٥ – ١٤١.

٢١ – إدموند ويلسون واحد من أشهر النقاد الأمريكيين المعاصرين. كما كتب كثيرًا من القصص والمسرحيات، بالإضافة إلى مئات من المقالات الصحفية فى شتى منـاحى الحيـاة الأدبيـة والسياسية والاقتصادية.

لمزيد من التفصيل عن مكانته وأهم أعماله انظر:

Sherman, P.: Edmund Wilson: A study of Literary vocation in our Time (1955), Warner,B.: Edmund Wilson (1968).

٢٢ – سوفوكليس: بنات تراخيس، ترجمة وتقديم د. أحمد عتمان، مراجعـة د. محمـد حمـدى إبراهيم. الكويت ١٩٩٠، ص ٨٣.

Linforth, I.M.: Philoctetes, the play and the ,an UCPCP 15, 1956, pp. 95 – 156.

٢٣ - بنات تراخيس، سطر ١٢١١ وما يليه.
٢٤ - لمزيد من التفصيل انظر:
Winnington – Ingram: Sophocles: An Interpretation , Cambridge, 1980, p. 283.
٢٥ - المرجع السابق، ص ٢٨٤.
٢٦ - يقول أوديسيوس فى أحاديثه فى مواضع مختلفة في المسرحية إن ما يهمه هو سلامة الإغريق والمكسب. وإذا كان الخلاص أو إنقاذ الإغريق وسلامتهم (To Sothenai) مصطلح واضح ولا يحتاج إلى تعريف أو تعليق فإن مصطلح مكسب (Kerdos) ليس كذلك؛ لأنه مصطلح يوحى فى الغالب بالطرائق غير المشروعة لتحقيقه.
لمزيد من التفصيل حول هذه الجزئية انظر:
King, K.C: Achilles: Paradigms of the war Hero from Homer to the Middle Ages, Berkely, 1987, Nussbaum, M.: "Consequences and characters in Sophocles" Philoctetes" phil&Lit.1, 1976 – 7, pp. 25 – 53.
٢٧ - د.منيرة كروان: الصمت ووظيفته الدرامية فى التراجيديا الإغريقية: تأملات فى الأدب الإغريقى، ص ١٤٣، وانظر أيضًا:
Blundell.M.W.: "The Phusis of Neoptolemus in Sophocles" GR. 1988.
28- Winnington – Ingram: Op.Cit. p. 285.
29 - Kirkwood, G.M: A Study of Sophoclean drama, Ithaca, 1958, p. 159.
٣٠ - يلاحظ تابلن Taplin أن نيوبتوليموس لا يفرط فى قوس فيلوكتيتس ولا يسلمه إلى يد أوديسيوس أبدًا، مع أنه صاحب الخطة الرامية للاستيلاء على القوس، ولكنه يظل ممسكا به حتى يعيده مرة أخرى إلى صاحبه. لمزيد من التفصيل انظر:
Taplin, O.: "Significant actions in Sophocles' Philoctetes" GRBS 12, 1971, pp. 25 – 44.
٣١ - لمزيد من المعلومات حول تحديد زمن التراجيديا بدورة شمس واحدة، انظر: د. عبد المعطى شعراوى: النقد الأدبى عند الإغريق والرومان، ص ١٥٩ ؛ موسوعة كمبريدج فى النقد الأدبى، الجزء الأول، مراجعة وإشراف د. أحمد عتمان، المشروع القومى للترجمة، ٢٠٠٥، ص ٢٩٢.
٣٢ - من أنصار هذا الرأى:
Rose, P.W.: Sophocles' Philoctetes and the teachings of the Sophists" HSCP 80, 1976, pp. 49-105, Winnington – Ingram: Op.Cit., p. 289.
٣٣ - يعتقد إنجرام أن الطريقة التى وصف بها الشاعر محتويات كهف فيلوكتيتس مناسبة أكثر للقصة القصيرة وليس لتراجيديا إغريقية.
Winnington – Ingram: Op.Cit., p. 290.

٣٤ – من بين هؤلاء النقاد لينفورث. انظر:

Linforth, I.M.: "Philoctets: The Play and the man" CP 15, 1956, pp. 95-156.

٣٥ – د. ماهر شفيق: المرجع السابق، ص ١٣٧.

36 - Winnington – Ingram: Op.Cit., p. 283.

انظر أيضًا:

Blundell, M.W: " The moral character of Odysseus in philoctetes" GRBS 28, 1987, pp. 307-29.

٣٧ – انظر على سبيل المثال الإلياذة (الكتاب٣، ٢٠٠، الكتاب ٨، ٩٣، ٦٢٤، الكتاب ١٠، ١٤٥، الكتاب ١٩، ١٨٥، الكتاب ٢٣، ٧٢٣).

٣٨ – د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، جـ١، ص ٢٥١، د. سيد صادق: إمكانية وراثة الطبائع فى شخصية أوديسيوس، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد ٧، ٢٠٠٧، ص ٤٠٩.

٣٩ – د. أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٣٣٨. وقد ظهرت لمسرحية أياس ترجمة صادرة عن المركز القومى للترجمة مع مقدمة وتعليق.

40 - Shuckburg, E.S: The Philoctetes of Sophocles, P. XXIII.

٤١ – ترى مارى بلندل أن المصطلحات التى يستخدمها أوديسيوس تساعدنا على فهم طبيعة شخصيته، وأنه يسعى إلى ما فيه مصلحته ومصلحة الإغريق، بغض النظر عن الناحية الأخلاقية.

Blundell, M.W.: Helping Friends and Harming Enemies Astudy in Sophocles and Greek Ethics, Cambridge 1991.pp. 187 – 8.

٤٢ – تقول بعض الروايات الأسطورية إن أوديسيوس حاول عدم الاشتراك فى الحرب الطروادية وتظاهر بالجنون حتى لا يذهب إلى طروادة. لقد تظاهر أوديسيوس بالجنون مدعيًا أنه ثور يجر محراثًا لحرث الأرض. ولكن بالاميديس اكتشف خدعة أوديسيوس، فقد وضع طفل أوديسيوس الرضيع أمام المحراث، فخاف أوديسيوس على ابنه وانكشفت لعبته وظهر خداعه، واضطر إلى الذهاب مع قادة الإغريق إلى طروادة.

٤٣ – الشاعر ستيسيخوروس هو أول من جعل هيراكليس يرتدى جلد الأسد ويتسلح بالهراوة بدلاً من الأسلحة التقليدية، وهو الشكل الذى كان يظهر به هيراكليس فى الرسوم.

د. أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ١٩٧.

٤٤ – ظهرت ترجمة حديثة لهذه المسرحية قام بها د. أحمد عتمان. وصدرت عن المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠١.

٤٥ – د. أحمد عتمان: بنات تراخيس، ص ٨٢.

وكان أكبر العوامل التى أدت إلى سوء الأحوال فى مصر هو ذلك الخلاف المذهبى، واهتمام الإمبراطور هرقل بتطبيق مذهبه الجديد، ولو بالقوة، فى الوقت الذى أصر المصريون على التمسك بمذهبهم الدينى، وكانت النتيجة أن فشلت سياسة هرقل الدينية فشلاً ذريعًا، وتسببت فى إحداث هذا الخلل الشديد(١)، الذى سهل نجاح ما تلا ذلك من أحداث.

ويبدو أن عمرو بن العاص كان على اطلاع واسع ودراية تامة بأحوال مصر فى ذلك الوقت، وأن تحمسه لفتحها كان يستند إلى فهمٍ واعٍ وإدراك عميق لظروفها(٢)

كانت مدينة العريش هى أول المدن المصرية التى وصلتها قوات عمرو بن العاص، حيث فتحها دون عناء فى ذى الحجة ١٨ هـ / ٦٣٩م(٣) ومنها انطلق إلى مدينة الفرما، حيث أخذ محاصرتها، واستمر الحصار شهرًا لمنعتها، ثم ما لبثت أن سقطت فى محرم سنة ١٩ هـ / ينـاير ٦٤٠م(٤). وبدأت هنا دلالات الترحيب المصرى بقدوم العرب، حيث أعلن الأسقف المطارد بنيامين ترحيبه بالعرب، وطلب من القبط بذل المساعدة لهم(٥). وبالاستيلاء على الفرما اطمأن عمرو بن العاص إلى اتخاذها قاعدة عسكرية لتقدمه، وملجأ فى حالة تعرض جنوده لأى معوقات.

---

(١) Vasiliev, Op. Cit., Vol.I, p. 223، وأرشيبالد لويس، القوى البحرية، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 98

(٣) ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص ٨٣.

(٤) السيوطى: حسن المحاضرة، مصدر سابق، ص ٦٤، والفرما هى مدينة بلوزيم القديمة Pelusimum على ساحل البحر المتوسط شرقى مدينة بور سعيد الحالية، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٢٦.

(٥) ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص ٨٦. وينفى بتلر (فتح العرب لمصر، ص ٢١٨) حدوث هذه المساعدة فى هذا الوقت، وإنما يعيدها إلى ما بعد فتح العرب للفيوم أو حصن بابليون.

ومنها تقدم إلى بلبيس، حيث التقى هناك بالأرطبون - قائد البيزنطيين - الذى فر إلى مصر أثناء فتح بيت المقدس، والذى هاجم المعسكر الإسلامى، ولكن الهزيمة ما لبثت أن حلت بجنوده فسقطت المدينة بعد حصار استمر شهرًا كاملاً[1].

ومنها انطلق إلى ام دنين التى تشرف على حصن بابليون[2]، حيث كانت أهم معاركه، وأكثرها ضراوة، فقد تحصن به البيزنطيون وحشدوا قواتهم بشكل لم يسبق له مثيل، وكانت أعداد البيزنطيين تفوق أعداد المسلمين مما اضطر عمرو بن العاص إلى طلب المدد من الخليفة، الذى أمده بجيش كبير، كان على رأسه أربعة من كبار الصحابة هم: الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، والمقداد بن الأسود، ومسلمة بن مخلد[3]. واستدعى ثيودور قائد الجيوش البيزنطية فى مصر، كافة الجنود البيزنطيين الموجودين فى أرجاء مصر، ليعزز حماية الحصن، وانضم إليه تاودسيوس حاكم الفيوم، وانسطاسيوس حاكم الإسكندرية، والمقوقس، لينظموا أمر الدفاع عن الحصن[4].

---

(١) ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ٨٧، وبلبيس كانت تسمى قديمًا فليس أو فلايس وهى مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام، ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ٢، ص ٦٢.
وتذكر بعض المصادر الإسلامية مثل الواقدى وابن عبد الحكم رواية مفادها أنه كان فى بلبيس عند سقوطها فى يد المسلمين أرمانوسة بنت المقوقس، وكانت فى طريقها إلى خطيبها قسطنطين بن هرقل، وهناك علمت بهزيمته فى قيسارية ومغادرته إلى القسطنطينية، فلبثت فى بلبيس ووقعت أسيرة فى يد المسلمين هى وجواريها وأموالها، فأعادها عمرو بن العاص إلى أبيها، وهو ما يذكره أيضًا بتشر فى كتابه: تاريخ الأمة القبطية، ترجمة إسكندر تادرس، القاهرة ١٩٠١م، جـ٢، ص ١٢٩.
وهناك من يذكر أن الأسيرة كانت زوجة المقوقس وليست ابنته. وبطبيعة الحال فكل ذلك خطأوهم، فقد كان المقوقس بطريركًا، ولم يكن مسموحًا للبطاركة بالزواج.

(٢) أم دنين تقع إلى الشمال من حصن بابليون وكانت تسمى تندونياس Tendonias، وحصن بابليون هو الحصن الذى بناه الإمبراطور الرومانى تراجان (٩٨ - ١١٧م) وسماه العرب قصر الشمع أو القصر أو الحصن، انظر موسوعة تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢٦.

(٣) امتدح الخليفة عمر بن الخطاب هؤلاء القادة بأن كل واحد منهم بألف، وهناك خلاف حول الرابع فبعضهم يذكر اسم خارجة بن حذافة مكان مسلمة بن مخلد. انظر: ابن الحكم، مصدر سابق، ص ٩٠، البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٢٥١.

(٤) بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٢١٩.

استمر حصار الحصن عدة شهور، تخللتها المناوشات كما تخللها تبادل السفراء[١] ووضع عمرو بن العاص خطته على إغراء البيزنطيين بالخروج من الحصن وسرعان ما استجاب ثيودور لهذا الإغراء، مدفوعًا بقوته أو بضغوط الإمبراطور هرقل الذى أرسل إليه يأمره بمهاجمة العرب بدلاً من الاكتفاء بالتحصن للدفاع[٢].

. واستطاع عمرو أن يعد كمينًا لثيودور عند مدينة عين شمس (هليوبوليس)، حيث هزمه هزيمة فادحة وهرب بمن بقى معه إلى الإسكندرية، وعاد بعض الجنود إلى حصن بابليون[٣].

بدأ عمرو بن العاص يشدد الحصار على الحصن ويضربه بالمنجنيق، وخرج المقوقس من الحصن إلى جزيرة الروضة طالبًا مباحثات مع عمرو بن العاص[٤].

وتشكل وفد المفاوضات الإسلامى برئاسة عبادة بن الصامت، الذى حمل عرضًا يحمل الشروط الإسلامية المعروفة وهى الإسلام أو الجزية أو القتال، وفشلت المفاوضات وعاد كل فريق معسكره، وعاود المسلمون ضرب الحصن بالمنجنيق بشكل أشد، مما جعل البيزنطيين يشعرون بضعفهم وقوة المسلمين وعدم قدرتهم على صدهم[٥] وبالتالى عادوا مرة أخرى للمفاوضات، حيث تقرر عقد صلح تفرض الجزية بمقتضاه على النصارى فى الديار المصرية، وكان عقد هذا

---

(١) موسوعة مصر الإسلامية، ص ٢٧.

(٢) ليلى عبد الجواد، مرجع سابق، ص ٤٠٤.

(٣) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٢٣١.

(٤) ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص ١٠٠. وجزيرة الروضة بالقرب من الفسطاط وسميت جزيرة لأن النيل إذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين الفسطاط وبها أسواق وبساتين وهى من منتزهات مصر، الحموى، جـ ٢، ص ١٣٩.

(٥) المصدر السابق، ص ١٠٢.

الصلح سنة ٢٠ هـ / ٦٤١م[١] ولكنه كان صلحًا مشروطًا حيث اشترط المقوقس أن تترك للروم فى مصر حرية الاختيار بين قبول شروط الصلح أو الخروج من أرض مصر، وأن تبقى الكلمة الأخيرة فى قبول الصلح أو رفضه للإمبراطور هرقل، فإذا رفضه عادوا إلى القتال[٢]، ومعنى ذلك أن أمر المصريين فى الصلح أصبح محسومًا، وإذا كان هناك مساومات فسوف تكون حول مصير الحامية البيزنطية، أو الوجود البيزنطى فى مصر.

وعاد المقوقس إلى الإسكندرية ليبعث تقريرًا إلى الإمبراطور هرقل، عما تم الاتفاق عليه ويطلب منه إقرار هذا الصلح، وحاول تبرير إقدامه على عقده شارحًا أوضاع مصر، وأوضاع المقاتلين المسلمين، وهى أوضاع ولا شك – على الجانبين – ساهمت فى إنجاح المرحلة الأولى من الفتح الإسلامى والتى تمثلت حتى الآن فى الاستيلاء على كل هذه الأراضى، وبلغت ذروتها بالاستحواذ على حصن بابليون بالأهمية الدفاعية التى شكلها والموقع الجغرافى الذى كان يحتله.

كما هو متوقع رفض الإمبراطور إقرار اتفاقية الصلح، وطالب باستمرار النضال للتصدى للمسلمين ووعد بمزيد من الدعم، وبدأت الحاميات البيزنطية تتجمع فى الإسكندرية[٣]، وذهب الإمبراطور إلى أكثر من ذلك فقد استدعى المقوقس (قيرس) إلى القسطنطينية، وعندما حضر إليه أخذ يوبخه بعد أن أساء

---

(١) أورد المؤرخ الطبرى نصوص هذه الاتفاقية كاملة، جـ٤، ص ٢٢٩، وتتركز أهمية هذه المعاهدة أو الاتفاقية فى أنها أكدت سقوط مصر، فقد كانت بابليون بمثابة حاضرتها وقلبها، حتى وإن كانت الإسكندرية هى العاصمة الرسمية لمصر فى هذه الفترة، وهى قد حددت مركز المصريين وأنهم أهل ذمة يؤدون الجزية للعرب وأقر عمر بن الخطاب هذه الاتفاقية، موسوعة مصر الإسلامية، ص ٢٨.

(٢) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٤، بتلر: مرجع سابق، ص ٢٦٥، ويسميه بتلر عقدًا حربيًا، لا عقد سياسيًا.

(٣) محمد مرسى الشيخ: تاريخ مصر البيزنطية، مرجع سابق، ص ٢٩٦، محمود الحويرى، مصر فى العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ٦٢، موسوعة مصر الإسلامية، ص ٢٨.

استقباله، ووجه إليه تهمة الخيانة وأنه سلم مصر وثرواتها للعرب، وسلمه لوالى القسطنطينية ليسئ معاملته [١]

وبعد أن استخلص عمرو بن العاص حصن بابليون تقدم بقواته لفتح الإسكندرية وبعد حصار شديد استطاع عمرو فتحها مستغلاً الظروف الجديدة التى أضحت عليها الإمبراطورية حيث توفى الإمبراطور قبيل حصار الإسكندرية ودخول الإمبراطورية فى أزمة وراثة العرش، وكان ذلك سنة ٢٠ هـ / ٦٤١م[٢]. وبسقوط الإسكندرية، وتوقيع معاهدة الاستسلام التى تقرر فيها أن يجلوا الجنود البيزنطيون من المدينة حاملين أمتعتهم وأموالهم، وأن لا يعودوا إلى الإسكندرية[٣]، استكمل فتح مصر.

---

(١) Theophanis, Op. Cit., P. 470، المنبجى، (مصدر سابق، ص ٤٨) ويذكر ثيوفانيس أن المقوقس فى سبيل إقناع الإمبراطور بإقرار الصلح اقترح عليه أن يزوج ابنته "أوداكيا" إلى عمرو بن العاص فيتنصر، ويتغلب على المسلمين، مما زاد فى غضب الإمبراطور، ويستنكر بتلر هذه الرواية، إذ كيف يمكن للمقوقس وهو الذى خبر المسلمين أن يفترض قيام قائدهم عمرو بن العاص بالانقلاب على دينه وقومه والتنصر من أجل الزواج من ابنة الإمبراطور، ويشن حملة على ارتباك وتناقض معلومات المصادر البيزنطية حول هذه الأحداث بصفة عامة، والواقع أن المصادر البيزنطية تبدو مرتبكة ومتناقضة، وتكثر من الشتائم والأساطير وهى تورد أخبار الفتوح الإسلامية فى الشام ومصر، انظر بتلر: مرجع سابق، ص ٢٥٦.

(٢) بتلر: فتح العرب لمصر، مرجع سابق، ص ٢٨٤، وهناك خلاف فى اليوم الذى توفى فيه الإمبراطور هرقل حيث يذكر بتلر أن ذلك فى الحادى عشر من فبراير ٦٤١م، فى حين يذكر المنبجى أن ذلك فى الأحد ٩ فبراير، ويبدو أن التاريخ الأول هو الأصح لأن يوم ٩ فبراير يوافق يوم جمعة، بينما هناك إجماع على أن وفاته كانت يوم أحد. كذلك هناك خلاف على مدة حكمه فبعضهم يذكر أنها إحدى وثلاثين سنة وآخرون يذكرون أنها ثلاثون سنة، وكان سنه عند وفاته ستة وستون عماً. انظر: المنبجى، مصدر سابق، ص٥٣.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه، تحقيق د. أكرم ضياء العمرى، ط الثانية (دار طيبة، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ١٥٠، ويذكر أن الفتح تم سنة ٢١ هـ.

وقد مثل فتح مصر أهمية كبيرة، بالإضافة إلى ما تملكه من الأراضى الغنية بالقمح فإنها كانت تتمتع بمركز عظيم الأهمية تجاريًا، كما كانت مركز تهديد لبلاد الشام التى أصبحت إسلامية، وكانت قاعدة بحرية دائمة لكل ما تشنه بيزنطة من هجمات مضادة، وكانت الإسكندرية هى المركز الرئيسى لبناء السفن على البحر المتوسط(١).

ولا يوجد وصف للكارثة التى حلت بالإمبراطورية البيزنطية من سقوط مصر، أكثر من أنها كانت من الأسباب التى أدت إلى تدهور صحة الإمبراطور هرقل ووفاته.

بعد أن أدرك صعوبة ذلك وأثره على انحسار نفوذ الإمبراطورية ومكانتها وإمكانياتها(٢).

لقد لعبت عوامل كثيرة فى تحقيق هذه الهزيمة الكبيرة التى منيت بها الإمبراطورية البيزنطية، لعل منها أن المسلمين أطبقوا على البيزنطيين، ولم يتركوا لهم فرصة لالتقاط أنفاسهم، فلم يكد يخرج البيزنطيون من بلاد الشام، حتى توالت الجيوش الإسلامية على مصر، ويبدو أن الإمبراطور هرقل وهو يودع سوريا أصيب بخيبة أمل، أعقبتها تلك العزلة التى فرضها على نفسه فى مدينة

---

(١) موس، ميلاد العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ٢٥٠ وعن أهمية الإسكندرية البحرية والإستراتيجية انظر: د سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط الثانية (دار المجمع العلمى، جدة ١٣٩٩ه) ص ٥٢. ويذكر فيليب حتى أن الإسكندرية كانت عاصمة مصر، وعمرها ٩٠٠ سنة، وكانت أمنع مدينة تحصينًا فى الإمبراطورية بعد القسطنطينية فقد اشتهرت أسوارها أن العدو لا يستطيع النفاذ منها إلى المدينة، وكانت حاميتها تعد خمسين ألف مقاتل، وكان ميناءها أسطول قوى لحراستها من جهة البحر، ولم تكن هناك مدينة تضاهيها من حيث أبنيتها العظيمة القيمة، التى تعود عبر البيزنطيين فالرومان فالبطالمة إلى العهد الفرعونى، فيليب حتى (موجز تاريخ الشرق الأوسط) ترجمة د. أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٥م، ص ١٥٠.

(٢) وسام فرج: دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، مرجع سابق، ص ١٥٩.

خلقيدونية[١]، حيث توالت عليه الأمراض، وعجز عجزًا شديدًا عن إدارة أمور الدولة، فضلاً عن مدها بالقوات والإمدادات التى تستطيع الدفاع عن مصر، وإنما اعتمد على الحاميات المحلية التى كانت متواجدة فيها، وهذه كانت فى حقيقتها جيشًا أو (مليشيا) من ملاك الأراضى، وهم قوم لا خبرة لهم فى شؤون الحرب، على حين كان يشترك فى القيادة خمسة قواد أنداد، وهو وضع من اليسير تصور ما ينجم عنه من عواقب[٢].

وتزامن مع خطورة الموقف العسكرى، خطر أعظم ألا وهو السخط بين السكان، ولو أن الدولة البيزنطية حزمت أمرها واتبعت سياسة اكتساب رضا الناس وخفت عنهم أعباء الضرائب، واتبعت سبل التسامح الدينى، لربما تغيرت صورة الموقف فى مصر[٣] ووصلت حدة السخط على سياسة الإمبراطورية فى مصر. أن رجال الدين كانوا يعتقدون أن ما حصل من طرد البيزنطيين من مصر، إنما جلبه الظلم والطغيان الذى أنزله هرقل ونائبه فى مصر (المقوقس) بأصحاب العقيدة الحقة (الأقباط) واعتبروا ذلك آية على الانتقام السماوى من "هراطقة خلقيدونية"[٤].

فى الوقت الذى استطاع المسلمون أن يقتربوا من هؤلاء السكان حين أعلنوا مبدأ التسامح الدينى والضرائب المخفضة[٥]، فلقوا تعاونًا من السكان المحليين، أو على الأقل تحييدًا لهم فى عدم دعم البيزنطيين[٦].

---

(١) بتلر: فتح العرب لمصر، مرجع سابق، ص ٢٨٣، ونتج عن هذه العزلة ظهور المؤمرات على العرش، وكانت إحدي تلك المؤامرات مؤامرة ابنه "أتالا ريخوس Atala Richus" وابن أخيه ثيودور، وكان جزاؤهما بتر أنفيهما وأيديهما ونفيهما إلى خارج العاصمة، وقتل عدد آخر من المتآمرين، ليلى عبد الجواد: مرجع سابق، ص ٤١٦، نقلاً عن: Niecphorus Breviarium in C. S. H. B. P. 28

(٢) موس: ميلاد العصور الوسطى، ص ٢٤٨ وأيضًا Vasiliev, Op. Cit., Vol. I, p. 229

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(٤) محمد مرسى الشيخ: مصر البيزنطية، مرجع سابق، ص ٣١٦، وأسد رستم، الروم، ج ١، ص ٢٥٢.

(٥) داهموس: سبع معارك فى العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٦) فيليب حتى، مرجع سابق، ص ١٥١، ويلخص الموقف بقوله "وما ترحم أهل مصر على أسيادهم الروم، وما بكوا حسرة على فراقهم، وهكذا فعل أهل سوريا من قبلهم، وللأسباب ذاتها، فقد كان الأمر لا يتعدى استبدال حاكم ظالم مستبد بحاكم جديد يرجى منه بعض الخير".

ولا حاجة بنا إلى تكرار الأوضاع التى أضحت عليها الإمبراطورية البيزنطية عند بزوغ حركة الفتح الإسلامى، قد ذكرناها عند الحديث عن فتح بلاد الشام، ولكن نؤكد هنا، أن قوى الإمبراطورية البيزنطية العسكرية والاقتصادية قد استنفدت فى الحرب مع فارس ثم إن هذه الحرب – وإن انتهت بانتصار البيزنطيين – قد ترتب عليها عدة متطلبات ساهمت فى خلق هذه الأوضاع، فإن الإمبراطور هرقل اضطر إلى تسريح أعداد كبيرة من الجنود الذين صنعوا انتصاره على فارس، لمواجهة الأعباء الاقتصادية التى اضطرته إليها قيامه بتسديد الديون التى كانت مترتبة للكنيسة عليه، حيث أصر رجالها أن يقطفوا أول ثمار النصر، وهى الحصول على قروضهم، وتبع ذلك اضطرار الإمبراطور إلى فرض ضرائب جديدة وجدت معارضة شديدة من سكان الولايات الشرقية الذين كانوا أكثر سكان الإمبراطورية تأثرًا بهذه الضرائب(١).

كما أن هذه الأوضاع المرتبكة، والخلاف الدينى الذى كان مسيطرًا، والكراهية المتبادلة وانعدام الثقة، ترتب عليها سوء الإدارة وفساد جهازها العامل فى الولايات، وتضاؤل الجيوش وضعفها، وصور فاسيليف الوضع وما آل إليه بأنه لا يعدو سقوط بناء تعفن داخله(٢).

ولا شك أن هذه الهزائم التى منيت بها الإمبراطورية البيزنطية أمام المسلمين، والأراضى الهامة التى فقدتها، قد عملت على تغيير أوضاع الإمبراطورية، وتقليص مساحتها، والتأثير على إمكانياتها، وحرمانها من مكاسبها التى حققتها فى انتصارها على الفرس.

ولا شك أن الإمبراطور هرقل كان واحدًا من أعظم أباطرة الإمبراطورية البيزنطية وأسوأهم حظًا فى الوقت نفسه، فقد أنقذ الإمبراطورية من الدمار وبدأ يرتب لإعادة تنظيمها وإحيائها(٣) وكان قائدًا بارعًا فى ميدان القتال وأظهر بسالة

(١) أرشيبالد لويس، مرجع سابق، ص ٨٨.
(٢) Vasiliev, Op. Cit., Vol.I, p. 210
(٣) نورمان كانتور: مرجع سابق، ص ٢٢٦.

وإقداما فى قتاله ضد الفرس، وكان ذا كفاءة إدارية، واستلم إمبراطورية منهـارة، وإدارة متهالكة، واستطاع أن يعيد إليها التماسك والانتصار، ولكنه ما لبث أن ترك إمبراطورية مهزومة، انسلخت عنها أهم أقاليمها، ودولة تعصف بهـا الـصراعات والأزمات وهى أزمات متعددة، كان أهمها أزمة وراثة العرش التـى ورط فيهـا هرقل الإمبراطورية قبيل وفاته وذلك حين أوصى بالعرش لاثنين من أبنائه ومعها زوجته مارتينا وذلك هو محور الفصل الثانى من هذا البحث.

الفصل الثانى

وراثة العرش فى أعقاب وفاة

الإمبراطور هرقل

- نظام وراثة العرش فى الإمبراطورية البيزنطية.
- التغييرات التى أحدثها الإمبراطور هرقل.
- مارتينا ومشاركتها فى الحكم وأثر ذلك.
- الثورة ضد مارتينا وابنها هرقليوناس.
- انفراد قنسطانز الثانى بالعرش البيزنطى.

نظام وراثة العرش فى الإمبراطورية البيزنطية:

يعود نظام وراثة العرش في الإمبراطورية البيزنطية إلى فترة مبكرة من تاريخها، ففى أعقاب انهيار نظام الحكم الرباعى الذى جاء به الإمبراطور دقلديانوس Diocletian (٢٨٤ – ٣٠٥م)[١] – وكان من أهدافه القضاء على ثورات الجند، وإبعاد الجيش عن السياسة، وكذلك منع توارث العرش فى أسرة واحدة[٢] – انفرد الإمبراطور قسطنطين الأول Constantine I (٣٠٦ – ٣٣٧م)[٣] بالحكم، وعندما حانت ساعة وفاته، قام بتوريث العرش لأبنائه الثلاثة، عن طريق تقسيم الإمبراطورية بينهم[٤].

---

(١) يعرف الإمبراطور دقلديانوس بمرمم الإمبراطورية، فهو الذى استطاع وقف الفوضى التى سادت الإمبراطورية فى القرن الثالث الميلادى، وأول من فكر فى نقل العاصمة من الغرب إلى الشرق، واتخذ عاصمته فى نيقوميديا بآسيا الصغرى، وكان من أسبابه فى ذلك الاقتراب من الأخطار التى كانت تحيط بالإمبراطورية، وحتى يستطيع التصدى لها، وكان أهمها الخطر الفارسى، وخطر البرابرة الذين تركزوا فى هذه الفترة فى حوض نهر الدانوب، وهو صاحب فكرة نظام الحكم الرباعى والتى تتلخص فى وجود إمبراطورين أحدهما فى الغرب والآخر فى الشرق ويساعدهما قيصران، وحددت مدة حكم الإمبراطورين بعشرين عامًا، ثم يتنازلان عن الحكم ويرفع القيصران مكانهما، وقد تم مراعاة هذا النظام طوال فترة حكم دقلديانوس والتى استمرت عشرين عامًا، ثم تنازل عن الحكم هو وزميله إمبراطور الغرب ليحل القيصران مكانهما. لمزيد من التفاصيل عن هذه الفترة الهامة من تاريخ الإمبراطورية: انظر: Vasiliev, Op. Cit., Vol. I, P. 60 .
وأيضًا الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٢٩

(٢) Camb. Med. Hist. Vol. I.P. 29

(٣) قسطنطين الأول (٣٠٦–٣٣٧م) هو المؤسس الحقيقى للإمبراطورية فى الشرق، وهو الذى اتخذ مدينة بيزنطة عاصمة للإمبراطورية، وسميت بالقسطنطينية أو روما الجديدة، واعترف بالنصرانية، ووضع أساس الدولة فى الشرق وبه بدأت دولة بيزنطة، وقضى على منافسيه من الأباطرة والقياصرة الذين جاء بهم نظام الحكم الرباعى، وبعد حروب استمرت أكثر من ١٧ عامًا استطاع أن ينفرد بحكم الإمبراطورية.
انظر: هسى: العالم البيزنطى، ص ٩٢، الناصرى: الروم، ص ٩

(٤) Vasiliev, Op. Cit., Vol. I, P. 70

ويعتبر هذا بداية توريث العرش فى الإمبراطورية عن طريق تقسيمها بين الأبناء، وقد هدف الإمبراطور قسطنطين من خلاله أن يقضى على الصراعات بين أبنائه، ولكن الذى حدث كان العكس إذ استمر الصراع بينهم حتى انفرد أحدهم "قسطانطيوس الثانى Constantine II" بالعرش[1] وأعاد توحيد الإمبراطورية.

لقد أثبت هذا النظام للتوريث – عن طريق التقسيم – فشله فى الحفاظ على وحدة وقوة الإمبراطورية. ولكنه نجح فى جعل فكرة توريث العرش قائمة، وماثلة فى الإمبراطورية الجديدة، ومحل اهتمام وعناية الأباطرة البيزنطيين.

وكادت هذه الفكرة أن تختفى عندما قام جوليان Julian (٣٦٠ – ٣٦١م) بالاستيلاء على العرش، بعد أن نادى به الجنود وفقًا للنظام الرومانى القديم إمبراطورًا، ولكن وفاة الإمبراطور قسطانطيوس، وعدم وجود وريث شرعى له، منعت الصراع وسهلت وصول ابن عمه جوليان إلى العرش[2].

وحقيقة فإنه حتى هذه الفترة لم يكن هناك تقنين لعملية وراثة العرش[3]، حتى أن الأباطرة الذين تلوا جوليان وهم: جوفيان Jovian (٣٦٣ –٣٦٤م)[4]، وفالنتيان Walantian مشاركة مع أخيه فالينس Valens (٣٦٤ – ٣٧٨م)[5]، وثيودسيوس

---

(١) الناصرى: الروم، ص ٥٣.

(٢) أسد رستم: الروم، ج ١، ص ٧٤

(٣) الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ١٣٢.

(٤) بعد وفاة جوليان – والذى يسمى المرتد لأنه حاول إعادة الوثنية إلى الدولة والتضييق على النصارى – فى آخر حروبه مع الفرس، نادى الجند بأحد ضباطهم وهو جوفيان إمبراطورًا، وقام بتوقيع معاهدة مع الفرس تاركًا لهم عدة مدن هامة، ولكنه لم يعمر سوى ٦ أشهر ثم ما لبث أن توفى، Bury. Op. Cit., I,P. 96

(٥) بعد موت جوفيان هتف الجند بقائدهم فالنتيام إمبراطورًا، وكان محاربًا قديمًا من إقليم بانونيا شمال غرب البلقان، وتحت إلحاح الضباط بوجوب اختيار شريك له في الحكم، إختار أخاه الأصغر فالنس إمبراطورًا مشاركًا، واستقر فالنتيان فى الغرب وكانت عاصمته ميلان، بينما استقر فالنس فى الشرق وعاصمته بيزنطة، وبدأ كلا منهما يعالج المشكلات التى تحيط بالجزء الذى يحكمه، وكانت أهم مشكلات الجزئين هى غزوات الجرمان، وقد قتل فالنس فى موقعه أدرنة (٣٧٨م) حين كان يتصدى للقوط. Ostrogorosky, Op. Cit., P. 48.

الأول Theodosius I (٣٧٨ – ٣٩٥)[١] جاءوا عن طريق التكتلات العسكرية، ومناداة الجنود بهم لأن يكونوا أباطرة.

ثم بوفاة الإمبراطور ثيودسيوس الأول عادت عملية توريث العرش، عن طريق تقسيم الإمبراطورية بين ولديه: أركاديوس Arcadius (إمبراطورًا على الشرق)، وهونوريوس Honorius (إمبراطورًا على الغرب)[٢].

وبدأ الجزء الشرقى من الإمبراطورية – وهو الذى يهمنا باعتبار أنه يمثل الإمبراطورية البيزنطية – يبلور نظامه الخاص لوراثة العرش، حيث أعقب أركاديوس ابنه ثيودسيوس الثانى[٣]، ولأنه لم يخلف وريثًا فقد اختير للعرش أحد رجالات الجيش وهو مرقيان Marcian بعد أن تزوج شقيقة الإمبراطور بولكيريا Pulcheria[٤] حيث دفعت به هذه المصاهرة إلى العرش، ولأنه هو أيضًا لم يعقب

---

(١) ثيودسيوس الأول، كان ابن قائد كبير من قواد الجزء الغربى للإمبراطورية واسمه أيضًا "ثيودسيوس" وتعنى "هبة الله "وكان جراتيانوس بن فالنتيان قد أمر بإعدامه بعد أن اتهم بالخيانة العظمى، وعندما قتل فالنس قبل أن تصله نجدة جراتيانوس من الغرب، ووصل جراتياتوس إلى بيزنطة، وجد العرش خاويا فاستدعى ثيودسيوس من إسبانيا حيث كان معتكفا احتجاجًا على مقتل والده، وولاه حكم الجزء الشرقى من الإمبراطورية، واستطاع أن يعالج مشكلات الإمبراطورية مع القوط، حيث استطاع تهدئتهم والاستفادة منهم فى جيش الإمبراطورية واحتوائهم. انظر: الناصرى: الروم، ص ٦١

(٢) رانسيمان: الحضارة البيزنطية، مرجع سابق، ص ٢٨. وكانا صغيرين فى السن فعند توليتهما كان هونوريوس يبلغ إحدى عشر عامًا، وأركاديوس ثمانية عشر عامًا، وإبّان حكمهما وقعت الإمبراطورية تحت قبضة قادتهما ووزرائهما من القوط.

(٣) تولى ثيودسيوس الثانى العرش وهو في الثامنة من عمره، وكان أطول من تولى الإمبراطورية عمرًا، إذ حكمها اثنان وأربعين عامًا (٤٠٨–٤٥٠م). الباز العريني: الدولة البيزنطية ص ٤٥. وشهدت الإمبراطورية فى عهده توجهًا علميا وثقافيا. وتم الاهتمام بالمسائل القانونية، وخرجت أول مجموعة قانونية، وشهدت فترته خلافًا دينيا ومجمعًا. انظر: Vasiliev, Op. Cit., P. 97 .

(٤) يذكر سيد أحمد الناصرى فى مؤلفه "الروم" أن بولكيريا كانت عمة الإمبراطور ثيودسيوس الثانى وليست شقيقته (ص ٦٨)، وهذا خطأ والصحيح أنها كانت شقيقته الكبرى ولم تكن عمته، وقد تزوجت من مرقيانوس أحد قادة الجيش بعدأن اشترطت أن يكون الزواج اسميا فقط، وأن تبقى عذراء، وأن تقتصر زيجتها على المشاركة فى إدارة الإمبراطورية، وكانت مسيطرة عليها أثناء فترة حكم أخيها ثيودسيوس الثانى، واستمرت سيطرتها بعد زواجها من مرقيانوس، ويبدو أن الذى ألجأها إلى ذلك أن انفراد امرأة بالحكم فى بيزنطة، وفى الغرب الأوروبى لم يكن معروفا حتى هذا الوقت، فكان لابد لها أن تتخذ لها زوجًا يحكم باسمها. انظر أسد رستم: الروم، ج ١ ص ١٣٠. وأيضًا: Ostrogorosky, Op. Cit., P. 53, Vasiliev, Op. Cit., P. 102، ورانسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٩

وريثًا – لأن زواجه من بولكيريا كان شكليا فقط – فقد آل العرش بعد وفاته إلى ليو الأول Leo I (٤٥٧ – ٤٧٤م) وكان ضابطًا من ضباط الجيش الأقوياء(١). وقام ليو الأول بتزويج ابنته الكبرى أريادين Ariadene على زينون Zenon زعيم قبائل الايسوريين من آسيا الصغرى، بهدف ضرب القوط الشرقيين وقائدهم أسبار Aspar الذين كانوا يسيطرون على دفة الحكم فى بيزنطة(٢). ثم قام ليو الأول بإعلان حفيدة ليو الثانى من ابنته أريادين شريكًا له فى الحكم ووريثًا له فى العرش، وكانت هذه أول مرة يتخذ فيها الإمبراطور شريكًا أو قسيمًا فى العرش أثناء حياته، ويرثه بعد مماته(٣).

وعندما توفى الإمبراطور ليو الأول سنة ٤٧٤م، تولى الحكم حفيده ليو الثانى(٤)، ولكنه ما لبث أن توفى بعد بضعة شهور، وتسلم أبو " زينون" الحكم، ولعلها أول مرة فى التاريخ يرث الأب ابنه فى العرش!

وكان زينون خلال فترة حكمه يشرك معه أخاه لونجينوسLongenus ، وكان يهدف إلى توريثه العرش، ولكنه وجد معارضة من زوجته أرديان، وعندما توفى

---

(١) Vasiliev, Op. Cit., P. 105، رانسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٩، والمعروف أن ليو الأول كان أول إمبراطور بيزنطى يتلقى التتويج بالعرش من بطريرك القسطنطينية، لا من الجيش أو السناتو أو الشعب، كما جرت العادة سابقًا، وهذا التتويج الدينى إشارة إلى ما أصبحت تتمتع به كنيسة بيزنطة من نفوذ ومكانة، وأصبحت حفلة التتويج فى الكنيسة أهم مراسم تتويج الأباطرة، لمزيد من التفاصيل عن هذه المراسم انظر. Ostrogorosky, Op. Cit., P. 57 .

(٢) ويزج الدكتور الناصرى هنا أيضًا باسم مارقيان على أساس إنه هو والد أرديان، وأنه هو الذى زوج ابنته لزينون، وهذا خطأ، فإن مارقيان، كان قد توفى قبل هذه الفترة، وهو لم يعقب ولم تكن لديه ابنة صغرى أو كبرى، حيث يذكر ابنة أخرى لمارقيان، ولعله خطأ مطبعى فهو يقصد بالتأكيد ليو الأول بهذه الأحداث، كما تذكر المراجع الأخرى. انظر: الناصرى، الروم، ص ٧٢

(٣) Browning, R.: The Byzantine Empire. charles seribner's, New York, 1980, P. 22.

(٤) رانسيمان: الحضارة البيزنطية، ص ٢٩، وكان عمر ليو الثانى عندما تسلم الحكم ست سنوات وكان والده زينون هو الحاكم الحقيقى للإمبراطورية.

زينون اختارت "إرديان" أنستاسيوس Anastasius، وسلمته عرش الإمبراطورية[١]، ورغم طول فترة حكم الإمبراطور أنستاسيوس (٤٩١-٥١٨م) إلا أنه لم يخلف وريثًا، خاصة وأنه تسلم الإمبراطورية وقد تجاوز العقد السادس، وعندما حانت وفاته، سادت الفوضى إلى أن آل العرش إلى جستين الأول Justin I قائد الحرس الإمبراطورى[٢].

والملاحظ هنا أنه رغم مرور فترة طويلة تتجاوز القرنين على بداية ظهور نظام التوريث فى عرش الإمبراطورية، ووصول أكثر من أسرة إلى الحكم، إلا أنه حتى هذا الوقت لم يتبلور نظام واضح ومحدد لوراثة العرش، على أنه كان هناك بوادر لتشكل نظام محدد، تتمثل فى توريث بعض الأبناء، أو أعضاء من الأسرة الحاكمة، أو اقتسام العرش معهم.

على أية حال استطاع جستين الأول Justin I[٣] الحصول على العرش، ومنذ أيامه الأولى أعلن أن قسيمه ومساعده فى الحكم هو ابن أخته[٤] جستنيان

---

(١) أسد رستم: الروم، ج ١، ص ١٣٥، وكان يعمل فى القصر مسئولاً عن التشريفات، وكان يبلغ عند اختياره ليكون إمبراطورًا الحادية والستين من عمره. ويذكر الدكتور الناصرى إنه كان قائدًا عسكريا، وأنها اختارته إمبراطورًا وزوجًا أيضًا (الروم، ص ٧٤)، فيما يذكر رانسيمان أنه كان نبيلاً ثريا وذا ميل فطرى إلى الاقتصاد (الحضارة البيزنطية، ص ٢٩)، ويذكر الباز العرينى أنه كان أحد كبار موظفى البلاط (الدولة البيزنطية، ص ٥٨)، وهو ما يذكره فاسيليف (Vasiliev, Op. Cit., P. 109).

(٢) Oman, C.W., The Byzantine Empire, T. Fisher Unwin, London 1892, P. 73.

(٣) كان جستين أحد ضباط الجيش، وقد أبلى بلاءً حسنًا فى الحروب مع الفرس، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولكن مهارته العسكرية دفعت به إلى منصب قائد الحرس الإمبراطورى، ليحصل على عضوية مجلس الشيوخ، وعلى لقب بطريق، انظر لمزيد من التفصيل عن شخصيته: د. محمد فتحى الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس، عصر جستنيان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٥٩

(٤) هناك خلاف كبير بين المؤرخين حول قرابة جستنيان لجستين، فهل كان عمه أم خاله، أى ابن شقيق جستين أم ابن شقيقته، فمثلاً يذكر أسد رستم، ج ١ ص ١٦٧، وسعيد عاشور: (أوروبا العصور الوسطى، ج ١ ص ٩٥)، ومحمد مرسى الشيخ (الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤٠)، وفتحى الشاعر (عصر جستنيان، ص ٦١)، وهربرت فيشر (تاريخ أوروبا - العصور الوسطى، ج ١، ص ٤٦)، وغيرهم، أن جستنيان كان ابن أخت جستين، إلا أن هناك مؤرخين آخرين يذكرون أن جستنيان كان ابن شقيق جستين، أى أنه كان عمه ولم يكن خاله، ومن هؤلاء: جيبون (The Decline and Fall=

Justinian، وكانت دوافعه فى هذا الإجراء أنه تولى العرش وقد ناهز السادسة والستين من عمره، ولم ينجب من زوجته إيوفيميا Euphemia ولخوفه من أقارب الإمبراطور السابق انستاسيوس الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير، ويطمعون فى العرش، فقد أخذ يعد ابن أخته جستنيان ليكون وريثًا له(١)، ولما مرض جستين مرضًا أقعده عن المشى، إذ كان مصابًا فى قدمه نتيجة لجرح قديم، وكان قد بلغ السابعة والسبعين، أعطى موافقته لمجلس الشيوخ بأن تتم مراسيم تتويج جستنيان كشريك له فى الحكم، حيث وضع البطريرك إيبفانيوس Epiphanius (٥٢٠ – ٥٣٥م) بطريرك القسطنطينية التاج على رأس جستنيان، ولما توفى الإمبراطور جستين بعد هذا التتويج بأربعة أشهر، تسلم جستنيان العرش بشكل طبيعى(٢).

وبعد ثمانية وثلاثين عامًا قضاها جستنيان فى الحكم (٥٢٧–٥٦٥م) دون أن يختار قسيمًا أو شريكًا، توفى ولم يترك وريثًا، يرث العرش من بعده، وكان ابن أخته(٣) جستين (الثانى) محل ثقته ومستشاره فى أمور الدولة، ولمس أعضاء مجلس الشيوخ هذه الثقة وأحبوا جستين، وقرروا انتخابه لتولى العرش(٤).

=of the Roman, Empire, Vol. II, P. 475) ورانسيمان (الحضارة البيزنطية، ص ٣٢)، وسيد الناصرى (الروم، ص ٨٠) والباز العرينى (الدولة البيزنطية، ص ٦٥) وجوزيف نسيم يوسف (الدولة البيزنطية، ص ٦٩)، فهؤلاء يذكرون أنه كان عمه. ولكن يبدو أن الرأى الأول هو الأصح، خاصة وأن بيورى وهو المتخصص يؤكد ذلك نقلاً عن Procpoius وLebeau المعاصرين انظر: .Bury, Op. Cit., Vol. II, P. 19 وينص على أن جستين عندما أصبح ذا مكانة رفيعة فى القسطنطينية استدعى شقيقته الوحيدة ومعها صغيرها بطرس ساباتيوسPetrus Sabatlus وابنتها فيجيلانتيا Vigilantia، وتبنى ابن اخته والذى حمل اسما جديدًا هو جستنيان، ويبدو أن سبب الخلط يعود إلى ترجمة كلمة (Uncle) عن الإنجليزية والتى تأتى بمعنى عم وخال.

(١) Gibbon, Op. Cit., Vol. II, P. 477

(٢) Bury, Op. Cit., Vol. II. P. 25

(٣) هناك من المؤرخين من يذكر أنه كان ابن أخيه وليس ابن أخته، وهذا خطأ، فجستنيان لم يكن له أخ وإنما أخت رافقته عند وصوله وأمه إلى القسطنطينية وسبق أن أشرنا إليها.

(٤) Gibbon, Op. Cit., II, P. 479، وأسد رستم: الروم، ج ١، ص ١٩٥

وأثناء فترة حكمه التى امتدت من (٥٦٥-٥٧٨م) أصيب سنة ٥٧٣م بلوثة أفقدته عقله، نتيجة للجهد المضنى الذى بذله للتصدى للفرس، ولهجمات اللمبارد فى إيطاليا، فقامت زوجته صوفيا[١] Sophia باختيار القائد تيبريوس Tiberius ليقوم بإدارة أمور الدولة خلال مرض زوجها الإمبراطور[٢] واستمر أربع سنوات يقوم بتصريف الأمور، ومرّت لحظة قصيرة صفا فيها عقل الإمبراطور فقام بتبنى تيبريوس وعينه قيصرًا ومشاركا فى الحكم، وعندما توفى الإمبراطور بعد ثمانية أيام، كان سهلاً على تيبريوس أن يحصل على العرش ويصبح الإمبراطور الفعلى[٣].

واتخذ تيبريوس وريثًا له من خلال تزويجه لابنته قسطنطينة لموريس Moris، الذى تدرج فى الجهاز الإدارى للدولة، حتى وصل إلى منصب قائد الحرس الإمبراطورى، ثم ما لبث أن رفعه الإمبراطور إلى مرتبة القيصر، ليصبح إمبراطورًا عند وفاة تيبريوس سنة ٥٨٢م[٤].

ورغم الإصلاحات الكثيرة التى أدخلها الإمبراطور موريس والانتصارات التى حققها على الجبهتين الشرقية والغربية، وآماله الكبيرة لتوريث العرش لابنيه

---

(١) وصوفيا هى شقيقة ثيودورا زوجة الإمبراطور جستنيان، الذى كان لها دور كبير فى فترة حكم زوجها وكذلك لعبت صوفيا دورًا لا يقل أهمية فى فترة حكم زوجها جستين الثانى.

(٢) Ostrogorosky, Op. Cit., P. 71.

(٣) Gibbon, Op. Cit., Vol. II, P. 477.

(٤) Bury. Op. Cit., Vol. II, P. 25، وكان موريس خبيرًا فى الشئون الإدارية والعسكرية، واستطاع إنقاذ الإمبراطورية، ودخل حروبا مع الفرس انتهت بتوقيع معاهدة سلام، وكان قد أعان كسرى الثانى (ابرويز) وأمده بجيش ساعده على استرداد عرشه فى أعقاب الثورة التى قامت عليه وهروبه من المدائن، مما كان دافعًا إلى تحسين العلاقات بين الدولتين وتوطيدها حيث وصلت إلى درجة المصاهرة حين قام بتزويج ابنته ماريا على ملك الفرس كسرى الثانى.

وبهدوء الجبهة مع الفرس قام بالتصدى للآفار. كما استطاع إصلاح مالية الدولة، ولكن هذا أدى إلى الاقتصاد فى نفقات الجند مما أسخطهم عليه.

وكان موريس يفكر فى توريث العرش لابنيه حيث يقيم ابنه الأكبر فى القسطنطينية لأهميتها، ويقيم ابنه الثانى فى روما، ولكن الثورة التى تعرض لها، أنهت هذا المشروع لاقتسام العرش من بعده.

انظر: هسى: العالم البيزنطى، مرجع سابق، ص ١٢١ وأيضا: Camb. Med. Hist. Vol. II, P. 280 .

بحيث يحكم سيطرته على الجزأين الغربى والشرقى، إلا أن أعماله وآماله سرعان ما تحطمت عندما تعرض لثورة عارمة سنة ٦٠٢م، قام بها الجند الساخطون على الإمبراطور بسبب سياسته التقشفية حيالهم وبسبب إصراره على بقاء جنوده وراء الدانوب طوال فصل الشتاء للتصدى للآفار والصقالبة[١]، ورأس تمردهم القائد فوكاس Phocas، حيث قاد الجند إلى القسطنطينية، وقضى على المقاومة التى حاول موريس الاحتماء بها، وسرعان ما هُزم الإمبراطور وترك العاصمة، فأرسل فوكاس خلفه من قتله وقتل أفرادًا عديدين من أسرته واستولى على العرش، حيث أعلن إمبراطورًا[٢].

وخلال السنوات الثمانى التى حكم فيها الإمبراطور فوكاس، دخلت الدولة فى أزمة طاحنة، حيث توالت عليها هجمات الفرس من الشرق، والآفار من الغرب، وتفاقمت الأزمة الداخلية، وعمت الفوضى لتبلغ ذروتها حيث استدعى هرقل من شمال أفريقيا لإنقاذ الإمبراطورية، حيث قضى على فوكاس وأعلن إمبراطورًا سنة ٦١٠م، كما سبق وذكرنا.

وهكذا تابعنا قضية وراثة العرش فى الإمبراطورية، منذ ظهورها على يد قنسطنطين الأول، حتى وصول هرقل إلى الحكم، وكيف تعاملت معها الأسر الحاكمة فى بيزنطة.

وعلى أية حال فرغم أن هذا التوجه – توريث العرش – قد تواجد من قبل فى بعض فترات الإمبراطورية الرومانية والتى تعتبر الإمبراطورية البيزنطية امتدادًا لها، إلا أنه شهد بعض التغيرات منذ أن انتقلت عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية، فقد جرى فى العهد البيزنطى تقسيم الإمبراطورية بين ثلاثة من الإخوة (كما حصل فى عهد قنسطنطين الأول)، وتتويج ثلاثة أباطرة، أو تقسيمها بين وريثين (كما حصل فى عهد ثيودسيوس الأول) كما جرى توريثها إلى وريث

---

(١) Ostrogorosky, Op. Cit., P. 76.

(٢) Stephenson (C.). Mediaeval History, New York, P. 116.

واحد (كما حصل فى عهد ليو الأول)، ولما كان غير مستساغ توريث العرش للإناث من بنات الأباطرة أو شقيقاتهم، فإن أولئك الإناث كن يتخذن أزواجًا ويتوجوهم فيتمكنّ من الحكم من خلفهم (كما حدث مع مورقيان وموريس).

على أنه من الملاحظ فى حالة عدم وجود وريث للعرش من الأسرة، أو صعوبة تدبير وراثة عن طريق التزاوج، يعود الجنود إلى النظام الرومانى القديم حيث يهتفون بأحد قادتهم ويوصلونه إلى العرش (كما حدث فى حالة جوليان وجوفيان وفالنتيان).

وكان التوريث يبدأ عادة بالاشتراك فى الحكم، الذى أصبح له أهمية خاصة فى نظام الوراثة، لأن نظام وراثة الحكم لم يكن يجرى وفق قانون معين، فقد لجأ الأباطرة إلى أن يتخذوا من الإجراءات ما يكفل لهم تعيين من يرغبون فى أن يتولى الحكم من بعدهم، بأن يجعلوا هذا المرشح قسيمًا لهم أو شريكًا فى الحكم أثناء حياتهم(١).

كما يلاحظ أن هناك وظيفتين هامتين لعبتا دورًا كبيرًا فى التمكين من الوصول إلى العرش هما وظيفة القيصر، الذى هو بمثابة النائب والمساعد للإمبراطور(٢)، ووظيفة قائد الحرس الإمبراطورى، وهو صاحب أكبر نفوذ وسيطرة فى بلاط الإمبراطور، وكانتا مدخلاً للكثيرين للوصول إلى منصب الإمبراطور(٣).

وكان لهذا القسيم أو الشريك ما للإمبراطور من شارات، فله أن يتخذ التاج واللقب، وأن ينقش اسمه على العملة، وأن يرد اسمه فى المراسيم الإمبراطورية(٤).

---

(١) Ostrogorosky, Op. Cit., P. 96.

(٢) Bury, Op. Cit., I, 320.، ورانسيمان: مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) وحدث ذلك فى عدة حالات مثل حالة جستين الأول، وموريس قبل أن يرفع إلى درجة القيصر (انظر الصفحات السابقة)

(٤) الباز العرينى: الدولة البيزنطية، مرجع سابق، ص ١٣٢

لقد اجتهد أباطرة بيزنطة فى نقل العرش لخلفائهم من بعدهم، وتأمين التعاقب على العرش، وذلك بتعيين الواحد منهم إمبراطورًا مشاركًا له خلال حياته، ورغم ذلك لم تنجح أية أسرة حاكمة فى الاحتفاظ بالعرش لفترة طويلة[1]، فقد جاءت أسر وتوارثت العرش، ومن ثم فقدته إما بسبب عدم وجود الوريث أو لقيام شخص دخيل من خارجها ينجح فى اعتلاء العرش، وقد تتاح له الظروف لتأسيس أسرة حاكمة جديدة.

وعندما تولى الإمبراطور هرقل عرش الإمبراطورية سنة ٦١٠م، وعمل على إنقاذها من الأزمة التى كانت تلم بها - كما مر بنا - قام جاهدًا بتأسيس أسرة حاكمة تتوارث العرش من بعده، ومنذ السنة الأولى لحكمه كان الإمبراطور هرقل واضحًا فى هذا التوجه، ومتخذًا كل الوسائل الكفيلة بتحقيقه.

---

(١) د. وسام عبد العزيز فرج: الأتباع والسادة، دراسة فى ظاهرة التبعية الشخصية فى العصر البيزنطى الأوسط، بحث منشور ضمن عدة بحوث تحت عنوان: دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥ م، ص ٢٣٥.

التغييرات التى أحدثها الإمبراطور هرقل:

وكان أول ما قام به الإمبراطور هرقل بعد أن استحوذ على العرش، وقضى على الفوضى، وأحكم سيطرته على الأمور، أن احتفل عشية إعلانه إمبراطورًا بزواجه من خطيبته أفذوكيه[1] (إيدوسيا أو داكيا Eudocia) وقد أنجبت له سنة ٦١١م ابنته إيبفانيا Epiphania وبعدها بعام أنجبت له ابنه الأول قنسطنطين الصغير – والذى سمى أيضا هرقل الصغير – وقد احتفى به الإمبراطور، وحمله على ذراعيه وألبسه الملابس الإمبراطورية، ووضع التاج على رأسه وأعلنه إمبراطورا منذ ميلاده وشريكًا له فى الحكم[2].

وعندما بلغ قنسطنطين التاسعة عشرة من عمره ولتأكيد هذه الشراكة وذلك التوريث فى العرش، أعلن هرقل تعيين ابنه قنسطنطين قنصلا عامًا، وذلك فى أول يناير عام ٦٣٢م[3]، وكان لهذا الإعلان وهذا التعيين أهمية دستورية، إذ أصبح من حق الإمبراطور الشريك ممارسة الواجبات والالتزامات الإمبراطورية، كما نقش اسمه على العملة، وبدأ يشارك فى الأعمال الإمبراطورية.

فالإمبراطور هرقل، وكخطوة من خطوات إصلاح أحوال الدولة، وحرصًا على بقاء العرش فى أسرته سارع مبكرًا إلى إعلان ابنه – منذ ولادته– إمبراطورًا شريكًا، وأكد هذا الإعلان عندما كبر هذا الابن، وهو بهذا لم يبتكر جديدًا، وإنما عاد إلى الترتيب الذى كان معروفًا فى بيزنطة من نظام الاشتراك فى الحكم، حيث

---

(١) كانت تسمى قبل الزواج من هرقل فافيا Favia، وكانت هى وزوجة هرقل الأب – أرخون أفريقيا – وتسمى إيبفانيا Epiphamia، تتواجدان بالصدفة فى القسطنطينية وعندما كان هرقل يحاصر القسطنطينية، علم فوكاس بوجودهما فى العاصمة فاجتهد فى البحث عنهما، حتى وجدهما وأمر بالقاء القبض عليهما، ووضعهما فى أحد الأديرة تحت الحراسة، وكان هدفه أن يتخذ منهما رهينتين لمساومة هرقل. انظر: .Theoponis, Op. Cit., P. 783 وأيضا: أسد رستم: الروم، ج١، ص ٢١١

(٢) Stratos, Op. Cit., P. 264. and Gibbon, Op. Cit., Vol. II, p. 783.

(٣) Ostrogorosky, Op. Cit., P. 100.

يختار الإمبراطور من يرشحه للحكم من بعده، ويجعله شريكًا لـه أو قسيمًا فـي الحكم أثناء حياته، ولكن الجديد، الذى جاء به الإمبراطور هرقل هو فيما حدث بعد ذلك، وجر على الدولة الكثير من الأزمات والمشاكل فى أعقاب وفاته.

فالإمبراطور هرقل عندما توفيت زوجته أوداكيا بعد بضعة شهور من ولادة ابنه (قسطنطين سنة ٦١٢م)[١]، تزوج مارتينا Martina ابنـة شـقيقته ماريـا[٢]، وقوبل هذا الزواج بمعارضة شديدة من الكنيسة ومن أهالى القـسطنطينية، ورغـم اجتهاد البطريرك سرجيوس فى توضيح الخطأ فى هذا الزواج، بـل ومعارضـته، وكذلك معارضة أهل القسطنطينية له، ونقمتهم علـى الإمبراطـور بـسببه، إلا أن هرقل كان مصرًّا على إتمام مراسم الزواج[٣].

ورغم أن الإمبراطور هرقل - كما سبق وأوضـحنا - اسـتطاع أن يكـبح جماح الأحزاب السياسية فى العاصمة، إلا أن هذه الأحزاب لـم تـستطع إخفـاء معارضتها لهذه الزيجة، وحدث ما يشبه الاتحاد بين هذه الأحزاب فى معارضـتها وإنكارها، حتى أن حزب الخضر - الذين كانوا قـد أيـدوا الإمبراطـور هرقـل وناصروه - راحوا يسخرون منه عندما كان يظهر فى ملعب الهيبدروم وبـصحبته زوجته الجديدة مارتينا، ويوجهون له نداءات بذيئة[٤].

ورغم معارضة البطريرك سرجيوس واحتجاجه، إلا أنه لم يجد مفـرًّا مـن إتمام مراسم الزواج، حيث قام بمباركته ووضع التاج على رأس مارتينا بـنفسه، بل وذهب إلى أبعد من ذلك حين قام بتعميد أبناء مارتينا وغسلهم بالماء، كما جرت عادة النصارى[٥].

---

(١) Bury. Op. Cit., Vol. II, P. 280.

(٢) يذكر الدكتور الناصرى: (الروم، ص ٢٢٥) خطأ أن مارتينا كانت ابنة شقيقه، ولكن الأصح أنها ابنـة شقيقته وكانت بارعة الجمال، انظر: Vasiliev, Op. Cit., Vol. I,P.193, Ostrogorosky, Op. Cit., P.112

(٣) Alexander, Heraclius, Byzantin Imperal Idology. in speculum. 1977. P. 230

(٤) Srators. Op. Cit.. P. 95

(٥) Ostrogorosky. Op. Cit.. P. 112

ويرى بعض المؤرخين فى ذلك تأكيدًا على سلطة الإمبراطور على الكنيسة، وأنها كانت مطلقة[١]، إلا أننا نرى أنه إضافة إلى ذلك فإن الأوضاع السيئة التى كانت تحيط بالإمبراطورية، والهزائم التى كانت تمر بها فى الشرق والغرب، واحتياجها إلى جهود الإمبراطور هرقل للتصدى لهذه الأخطار التى تحدق بها، خاصة وأن الإمبراطور وقد بدأ يعلن عن مشروعه لمقاومة الفرس، كل ذلك جعل الكنيسة وأهالى القسطنطينية يرضخون لرغبة الإمبراطور ويسكتون على مضض حيال هذا الزواج غير الشرعى، إذ ما تلبث أن تظهر معارضتهم - التى كانت كامنة في النفوس - فى أعقاب موت الإمبراطور وبروز مارتينا وابنها للسيطرة على العرش، كما سنرى.

لقد ظل هذا الزواج مثار ازدراء الناس والكنيسة، ونظر إليه دائما على أنه مخالف للقانون الكنسى وقانون الدولة، لذلك فإن كراهية أهل القسطنطينية لمارتينا كانت فى ازدياد، غير أن الإمبراطور هرقل لم يحفل برأى الناس، وغمر مارتينا بكل مظاهر الحب[٢]، ويبدو أن الإمبراطور هرقل كان يشعر بازدراء الناس لمارتينا ولزواجها منه، وخوفًا عليها من أى انتقام يمكن أن تتعرض له أثناء غيابه فى حروبه مع فارس، والتى استمرت سنوات، نجد أن الإمبراطور يصطحبها معه، رغم قسوة هذه الرحلة وأهوالها[٣]، كذلك اصطحبها معه إلى بيت المقدس عندما أراد إرجاع صليب الصلبوت إلى كنيسة القيامة فى محاولة لجلب تعاطف القساوسة والرهبان الذين كانوا يعارضون هذا الزواج[٤].

---

(١) Gibbon, Op. Cit.. Vol. II,P. 408 & Alexander, Op.Cit., P. 231

(٢) الباز العرينى: الدولة البيزنطية، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٣) Vasiliev, Op. Cit.. Vol. I, P. 194

(٤) Alexander, Op. Cit., P. 225

ولعل مما زاد فى سوء موقف المواطنين ورجال الدين من مارتينا وهرقل بسبب هذا الزواج، هو شعورهم أن الله غير راض عن هذا الزواج فمن بين التسعة أبناء الذين خلفتهم للإمبراطور مات منهم أربعة أثناء الولادة، وعاش اثنان منهم بعاهات وإعاقات جسمية شديدة(١).

لقد سيطرت مارتينا على الإمبراطور هرقل سيطرة تامة، حتى أنها كانت تحاول أن تجعل وراثة العرش فى سلالتها، لا فى ابن هرقل من زوجته الأولى، ففى عام ٦٢٦م أنجب الإمبراطور هرقل من مارتينا طفلاً سماه هرقليوناس Heracleonas(٢)، وسرعان ما جعله – تحت ضغط مارتينا – وريثًا وخليفة له، إذ أشركه معه فى الحكم إلى جانب أخيه الأكبر قنسطنطين من أوداكيا، ولعل ما دفعه إلى ذلك – إضافة إلى ضغط مارتينا – رغبته أن يرفع من منزلة هرقليوناس حتى يصبح له الحق فى وراثة العرش بعد أخيه الأكبر، خاصة وأنه كان يُنظر إليه على أنه ابن غير شرعى(٣). ولتحقيق ذلك قام هرقل فى يناير ٦٣٢ م، بترفيع هرقليوناس إلى مرتبة القيصر وهو ابن ست سنوات، متمتعا بكل مميزات المنصب الجديد والتى كان منها أن يجلس بجانب الإمبراطور على مقعد أسفل مقعد الإمبراطور، وأن يجلس على المائدة الإمبراطورية، وأن يعيش فى القصر الإمبراطورى، وأن يتمتع بحرس خاص(٤).

ولمزيد من التأكيد على رغبة الإمبراطور فى دعم هرقليوناس منحه عام ٦٣٨م لقب «أغسطس» وفى العام التالى حمل ابن الثالثة عشرة شارات القنصلية شأنه شأن أخيه الأكبر قنسطنطين(٥).

---

(١) Ostrogorosky, Op. Cit., P. 112

(٢) Bury, Op. Cit., Vol. II, P. 282

(٣) Camb. Med. His. Vol. II, P. 391.

(٤) رانسيمان: الحضارة البيزنطية، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٥) Stratos, Op. Cit., P. 124 ولقب (أغسطس) يجعله يلى الإمبراطور فى المكانة ويكون بمثابة ولى عهده.

ولهذه الألقاب والمناصب دلالتها فى هذه الفترة الهامة من تاريخ الإمبراطورية، حيث إنها تضع إطارًا أو قاعدة قانونية لتطور نظام وراثة العرش بعد ذلك فى الإمبراطورية البيزنطية.

فالإمبراطور[1] الذى يأتى على رأس نظام الحكم فى الإمبراطورية البيزنطية وكان يمثله فى هذه الفترة الإمبراطور هرقل، أحدث تغييرا فى مسماه إذ كان هرقل أول إمبراطور بيزنطى يحمل اللقب اليونانى باسيلوس Basileus وذلك انطلاقا من التوجهات اليونانية التى سادت الإمبراطورية البيزنطية فى أواخر أيام هرقل، وكان اللقب سابقا هو Imperator caesar Augusta، وكان الأباطرة قبل هرقل يستعملون لقب باسيلوس بصفة غير رسمية مسايرة منهم لعرف محلى كان سائدًا[2]، وقبل اتخاذ هرقل للقبه الجديد كان يوصف بأنه الملك المتفانى فى الإخلاص للسيد المسيح (Postos en chriso Basileus)، أو تذكر هذه الصفة مختصرة بدون كلمة (Basileus)، وكان هذا إيذانا بتغيير له دلالته فى النظرة إلى الإمبراطور داخليًا وخارجيًا [3].

ولأن هرقل كان حريصًا على أن يؤسس أسرة حاكمة يستمر فيها أبناؤه فى الحكم من بعده، فإنه كان يعمل جاهدًا على تثبيت ذلك متخذًا من الوسائل والأفعال ما يضمن له تحقيقه، لذلك ظهرت فكرة الشريك أو القسيم فى الحكم، فهو يرشح هذا القسيم ليكون شريكًا له فى الحكم أثناء حياته، وإمبراطورًا بعد مماته، ولكن هرقل ذهب بعيدًا فى هذا النظام فلم يكتف بقسيم أو شريك واحد، وإنما ترك قسيمين أو شريكين بنفس المناصب والصلاحيات، لمزيد من تأكيد بقاء الحكم فى الأسرة.

---

(١) كلمة إمبراطور هى ترجمة لاتينية للكلمة اليونانية Autokratator. لمزيد من التفصيل عن المناصب البيزنطية انظر: W. Ensslin, The Govermment and the Administration of the Byaantin Empire. Camb. Med. Hist. Vol. IV, Part. II, P.2.

(٢) Ensslin, Op. Cit., P. 3

(٣) عائشة أبو الجدايل: مرجع سابق، ص ٢١٩.

وحقيقة أن الانتصار الذى حققه الإمبراطور هرقل فى حروبه مع الفرس، قد أتاح له مكانة كبيرة، وسيطرة واسعة داخل الإمبراطورية، مكنته من تحقيق الكثير من أهدافه وأفكاره التى كان يسعى إليها، ومنها حل مشكلة وراثة العرش بالشكل الذى يشاء، هذا إضافة إلى المكانة التى حققها خارج الإمبراطورية(١).

لذلك لم يكن مفاجئا أن يقوم الإمبراطور هرقل بتتويج ابنه قسطنطين عند ولادته – كما ذكرنا – إمبراطورًا شريكًا، ثم قام بنفس الإجراء مع ابنه الثانى من مارتينا (هرقليوناس)، بعد أن تدرج به فى المناصب، ثم أكد كل ذلك فى حفل التتويج الكبير الذى دعا إليه فى ٧ يوليو عام ٦٣٨ م، بحضور سرجيوس بطريرك القسطنطينية، ومجلس الشيوخ بكامل أعضائه(٢)، ولمزيد من إرضاء مارتينا قام بتعيين ابنها الآخر داوود David قيصرًا(٣).

ولتأكيد هذا التتويج شعبيا، تم الاحتفال به مرة ثانية فى نفس العام، حيث برز الإمبراطور مع أبنائه الثلاثة فى ميدان Augustaeum المواجه لمدخل القصر الرئيسى، ويوجد به كنيسة أيا صوفيا ومبنى مجلس الشيوخ ومبان أخرى، ودخل إلى الميدان من هم فى مرتبة البطارقة، الذين يحملون لقب بطريق Patricus، وجاء بعدهم الموظفون ابتداءً من القناصل Hypates وحتى أولئك الذين من مرتبة Illustrii من أعضاء مجلس الشيوخ وحيوا الإمبراطور وولديه اللذين توجا حديثا والقيصر الجديد، وتتابع الموظفون العاملون فى الخدمة المدنية، والحرس الإمبراطورى Scholae، والأحزاب Demes (حزب الخضر والزرق)، واشترك الجميع فى الهتاف للأسرة الإمبراطورية، ثم دخل هرقل مع أولاده إلى كنيسة أيا صوفيا حيث أنشدت الأناشيد، وتلقى الجميع تبريكات البطريرك(٤).

---

(١) Theopanes, Op. Cit., P. 459.

(٢) Ostrogorosky, Op. Cit., P. 112.

(٣) Charles Diehl, History of the Byzantne Bmpire, transe by, George B. Ives, A.m.s. press, New York 1946, p. 47.

(٤) د. عائشة أبو الجدايل: مرجع سابق، ص ٢٢٢، نقلا عن: Nikephoros, P. 127

ولتخليد هذه المناسبة، سُكت عملة جديدة على وجهها الأول صورة هرقل مع ابنه قنسطنطين على يمينه وابنه الآخر هرقليوناس على يساره، وعلى رؤوسهم التيجان، وعلى ظهر العملة نقش Victoria Augs (ربة القصر تتوج الأباطرة والصليب في الوسط) وتحمل العملة النقش القديم:(Deus Adjuta Romanis) ليكن الرب في عون الرومان(١).

لقد بلغت سيطرة مارتينا على الإمبراطور هرقل حدا كبيرًا، والعجب أنه كلما زاد سخط الناس والكنيسة على مارتينا وسيطرتها، قابل الإمبراطور ذلك بإعطائها مزيدا من السلطات والمكانة، التي وصلت إلى هذا الحد من إشراك ابنها في وراثة العرش وجعل ابنها الآخر قيصرا(٢).

والواقع أنه في أواخر أيام هرقل وعندما بدأت الشيخوخة والأمراض تداهمه، وبدأ يعتزل الناس، ولا يخرج إليهم، قابعًا في قصر هيريا Hieria – الذي يقع خارج القسطنطينية – كانت مارتينا هي صاحبة السيطرة والسلطان، مما أوجد لها حاسدين معارضين من داخل أسرة هرقل نفسها، ووصلت هذه المعارضة إلى حد تدبير مؤامرة لانتزاع العرش من الإمبراطور هرقل، وينفرد المؤرخ نيقفوريوس Neicphorus بخبر هذه المؤامرة. إذ يذكر أنه بلغ الإمبراطور هرقل أن ابنه اتالاريخوس Atalarichus(٣) وابن أخيه القائد ثيودور Theodorus يتآمران

---

(١) Warne. T. Greadgold. the Byzantine state Finaces in the eight and ninth Centuries, London, 1982, p. 25.

(٢) Norman H. Baynes, Byzantine state and other essoys, Grenwood press, London, 1924, p. 85.

(٣) الواقع أن هناك خلافا بين المؤرخين حول أسماء أبناء الإمبراطور هرقل، والذين بقوا على قيد الحياة. فإذا كان هناك اتفاق على اسمى ابنه وابنته من زوجته الأولى أوداكيا، فهناك خلاف حول أبنائه من مارتينا، والذين بلغوا تسعة، وهذا الاسم الذى ذكره نيقفوريوس لم يرد فى القوائم الأخرى، مثل القائمة التى ذكرها جيبون أو تلك التى ذكرت فى موسوعة كمبردج للعصور الوسطى، وإذا افترضنا أن هذين المرجعين ذكرا فقط الأسماء التى كان أصحابها على قيد الحياة عشية موت الإمبراطور هرقل، فإن هناك خلافا حول اسمين فى القائمتين. ويبدو أن هذا الاسم الذى يذكره نيقفوريوس وأنه كان يتآمر على الإمبراطور ومارتينا، كان ابنا بالتبنى، إذ لا يعقل أن يكون أحد أبناء مارتينا ويتآمر عليها.

للاستيلاء على العرش، ولذلك فقد أمر بجدع أنفيهما وقطع أيديهما، ثم نفى ابنه أتالاريخوس إلى جزيرة الأمراء، ونفى ثيودور إلى جزيرة Gaudomeleten وأمر حاكم الجزيرة بقطع رجليه عند وصوله ونفذ حكم الإعدام على باقى المتآمرين معهما(١).

على أية حال إذا كان هناك أية دلالة لهذه الرواية فإنها تدل على مقدار السخط والغضب الذى كان يشعر به المواطنون والقادة العسكريون لتسلط مارتينا وسيطرتها على الإمبراطور.

من جانبها فإن مارتينا كانت تستغل كل الظروف التى تحيط بالإمبراطورية فى التمكين لنفسها ولأبنائها لاكتساب مزيد من السلطة، فعندما توالت الهزائم على جيوش الإمبراطورية فى الشام ومصر، وعاد كثير من القادة البيزنطيين منهزمين من ميادين المعارك، اتهمتهم بالتقصير والعجز وأطاحت بالكبار منهم(٢)، حتى يسهل الطريق أمامها للانفراد بالسلطة، واكتساب مزيد من السيطرة.

والواضح أنه كلما ازدادت أمراض هرقل، وانصرافه عن الحكم ازدادت سلطة مارتينا وسيطرتها، ورغبتها فى توسيع هذه السلطة والسيطرة، وزاد سخط الناس ورجال السناتو والكنيسة، لينفجر الموقف بعد وفاة الإمبراطور هرقل(٣)، وقبل أن يتوفى الإمبراطور هرقل فى الحادى عشر من شهر فبراير ٦٤١م(٤)،

---

(١) Nicephorus, Breviarium, in C.S. H. B., PP. 28-29 انظر الدكتورة ليلى عبد الجواد: مرجع سابق، ص ٤١٦.

(٢) د. إبراهيم العدوى: الأمويون والبيزنطيون، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٣) Charles Diehl, Op. Cit., P. 42.

(٤) ألفرد بتلر: مرجع سابق، ص ٣٨٤، وهو يقدم ردًّ مفصلا على التواريخ الأخرى التى حددت لوفاة الإمبراطور فى مصادر أخرى، ويتبعها بعدة حجج، ويحدد المنبجى وفاة هرقل كالتالى: يوم الأحد لتسع خلون من شباط (فبراير) سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لذى القرنين، وهى سنة تسعة عشر للعرب (هجرية) وسنة سبع لعمر (أى حكم عمر بن الخطاب) والخطأ الوحيد هنا أن يوم ٩ فبراير يوافق يوم الجمعة بينما وفاته كان يوم أحد، إذن يكون يوم ١١ فبراير هو الأصح، المنبجى: مصدر سابق، ص ٥٣.

حصلت مارتينا على وصية من الإمبراطور، رسمت مستقبل الإمبراطورية، وخطة الإمبراطور هرقل لوراثة العرش من بعده، وكان إعلان هذه الوصية عشية وفاة الإمبراطور سببًا فى اندلاع أزمة كبيرة فى البلاط البيزنطى وفى الدولة، أعطت مؤشرًا واضحًا على موقف الشعب والكنيسة ومجلس السناتو من زواج هرقل بمارتينا وسيطرتها ومحاولاتها الانفراد بالسلطة، وهو موقف استطاع الإمبراطور هرقل أن يحد من خطورته ومعارضته أثناء حياته(١).

(١) Vasiliev, Op. Cit., p. 194

σὺ δή, τέκνον, ποίαν μ᾽ ἀνάστασιν δοκεῖς
αὐτῶν βεβώτων ἐξ ὕπνου στῆναι τότε;
ποῖ᾽ ἐκδακρῦσαι, ποῖ᾽ ἀποιμῶξαι κακά;
ὁρῶντα μὲν ναῦς, ἃς ἔχων ἐναυστόλουν,
πάσας βεβώσας, ἄνδρα δ᾽ οὐδέν᾽ ἔντοπον,
οὐχ ὅστις ἀρκέσειεν οὐδ᾽ ὅστις νόσου
κάμνοντι συλλάβοιτο· πάντα δὲ σκοπῶν
ηὕρισκον οὐδὲν πλὴν ἀνιᾶσθαι παρόν,
τούτου δὲ πολλὴν εὐμάρειαν, ὦ τέκνον.
ὁ μὲν χρόνος δὴ διὰ χρόνου προύβαινέ μοι,
κἄδει τι βαιᾷ τῇδ᾽ ὑπὸ στέγῃ μόνον
διακονεῖσθαι. γαστρὶ μὲν τὰ σύμφορα
τόξον τόδ᾽ ἐξηύρισκε, τὰς ὑποπτέρους
βάλλον πελείας· πρὸς δὲ τοῦθ᾽, ὅ μοι βάλοι
νευροσπαδὴς ἄτρακτος, αὐτὸς ἂν τάλας
εἰλυόμην, δύστηνον ἐξέλκων πόδα,
πρὸς τοῦτ᾽ ἄν· εἴ τ᾽ ἔδει τι καὶ ποτὸν λαβεῖν,
καί που πάγου χυθέντος, οἷα χείματι,
ξύλον τι θραῦσαι, ταῦτ᾽ ἂν ἐξέρπων τάλας
ἐμηχανώμην· εἶτα πῦρ ἂν οὐ παρῆν,
ἀλλ᾽ ἐν πέτροισι πέτρον ἐκτρίβων μόλις
ἔφην᾽ ἄφαντον φῶς, ὃ καὶ σῴζει μ᾽ ἀεί.
οἰκουμένη γὰρ οὖν στέγη πυρὸς μέτα
πάντ᾽ ἐκπορίζει πλὴν τὸ μὴ νοσεῖν ἐμέ.

والآن، دعنى – يا بنى – أطلعك على الوضع فى هذه الجزيرة
التى لا يقترب منها بحار برغبته،
فليس بها ميناء، ولا مكان يستطيع المرء
أن يبيع فيه بضاعته ويحصل على المكسب، أو مكان للمتعة.
إن البشر الأذكياء الذين يحسنون التفكير لا يأتون هنا أبدًا.
ولكن، فى بعض الأحيان قد يأتى أحدهم برغبته. فإن
هذا قد يحدث أحيانًا لبعض البشر.
وعندما يأتون – يا بنى – فإنهم يشعرون بالشفقة علىَّ،
أو هكذا يقولون، وبسبب شفقتهم، يقدمون
لى بعض الطعام وقليلاً من الملابس.
ولكن ما من أحد منهم لبى طلبى، هذا إذا جرؤت على الطلب،
ووافق على أخذى إلى وطنى. وهكذا قضيت – أنا المسكين –
الأعوام التى وصل عددها إلى عشرة أعوام، وأنا أعانى
من ألم جرحى، الذى لا علاج له، ومن الجوع.
هذا ما فعله بى ولدا أتريوس وأوديسيوس
القاسى. ليت آلهة الأوليمبوس
تجعلهم يعانون فى مقابل ما جعلونى أعانيه.

الكورس

إننى أشعر بالشفقة عليك
مثل غيرى من الغرباء الذين زاروك.

نيوبتوليموس

إننى أشهد على صحة كلامك؛
لأننى أعرف أنك تنطق بالحقيقة، فقد سبق

φέρ᾽, ὦ τέκνον, νῦν καὶ τὸ τῆς νήσου μάθῃς.
ταύτῃ πελάζει ναυβάτης οὐδεὶς ἑκών·
οὐ γάρ τις ὅρμος ἔστιν οὐδ᾽ ὅποι πλέων
ἐξεμπολήσει κέρδος ἢ ξενώσεται.
οὐκ ἐνθάδ᾽ οἱ πλοῖ τοῖσι σώφροσιν βροτῶν.
τάχ᾽ οὖν τις ἄκων ἔσχε· πολλὰ γὰρ τάδε
ἐν τῷ μακρῷ γένοιτ᾽ ἂν ἀνθρώπων χρόνῳ·
οὗτοί μ᾽, ὅταν μόλωσιν, ὦ τέκνον, λόγοις
ἐλεοῦσι μέν, καί πού τι καὶ βορᾶς μέρος
προσέδοσαν οἰκτίραντες ἤ τινα στολήν·
ἐκεῖνο δ᾽ οὐδείς, ἡνίκ᾽ ἂν μνησθῶ, θέλει,
σῶσαί μ᾽ ἐς οἴκους, ἀλλ᾽ ἀπόλλυμαι τάλας
ἔτος τόδ᾽ ἤδη δέκατον ἐν λιμῷ τε καὶ
κακοῖσι βόσκων τὴν ἀδηφάγον νόσον.
τοιαῦτ᾽ Ἀτρεῖδαί μ᾽ ἥ τ᾽ Ὀδυσσέως βία,
ὦ παῖ, δεδράκασ᾽, οἷ᾽ Ὀλύμπιοι θεοὶ
δοῖέν ποτ᾽ αὐτοῖς ἀντίποιν᾽ ἐμοῦ παθεῖν.

Χορός

ἔοικα κἀγὼ τοῖς ἀφιγμένοις ἴσα
ξένοις ἐποικτίρειν σε, Ποίαντος τέκνον.

Νεοπτόλεμος

ἐγὼ δὲ καὐτὸς τοῖσδε μάρτυς ἐν λόγοις,
ὡς εἴσ᾽ ἀληθεῖς οἶδα, συντυχὼν κακῶν

أن تعاملت مع ولدى أتريوس ووجـدتهما شـريرين، ومـع
أوديسيوس الجبار.

فيلوكتيتس

هل عانيت أنت أيضًا ظلم
ولدى أتريوس، وتشعر بالغضب بعدما عانيته منهما؟

نيوبتوليموس

كم أتمنى أن تحظى يدىً بفرصة لإطفاء نيران غضبى
حتى تعرف مدينتا موكيناى وإسبرطة
أن مدينة سكيروس قد أنجبت رجالاً بواسل.

فيلوكتيتس

نعم الحديث – يا بنى – ولكن لماذا قصدتنى
وصدرك يغلى بهذا الغضب الشديد منهم؟

نيوبتوليموس

سوف أخبرك – يا بن بوياس – مع أنه
يؤلم روحى أن أتحدث عن إساءة هؤلاء إلىَّ بعد وصولى (إلى طروادة)،
بعد أن قضى القدر القاسى على أخيليوس بالموت.

فيلوكتيتس

وا مصيبتاه. لا تقل المزيد قبل أن أعى
جيدًا ما قلته أولاً. هل مات ابن بيليوس؟

نيوبتوليموس

نعم، لقد مات بالفعل، ولكن ليس على يد أحد البشر
ولكن على يد الإله فويبوس، رامى السهام، كما يقولون.

فيلوكتيتس

إن القاتل والقتيل كليهما كريم الأصل.

ἀνδρῶν Ἀτρειδῶν τῆς τ᾽ Ὀδυσσέως βίας.

Φιλοκτήτης

ἦ γάρ τι καὶ σὺ τοῖς πανωλέθροις ἔχεις
ἔγκλημ᾽ Ἀτρείδαις, ὥστε θυμοῦσθαι παθών;

Νεοπτόλεμος

θυμὸν γένοιτο χειρὶ πληρῶσαί ποτε,
ἵν᾽ αἱ Μυκῆναι γνοῖεν ἡ Σπάρτη θ᾽ ὅτι
χἠ Σκῦρος ἀνδρῶν ἀλκίμων μήτηρ ἔφυ.

Φιλοκτήτης

εὖ γ᾽, ὦ τέκνον· τίνος γὰρ ὧδε τὸν μέγαν
χόλον κατ᾽ αὐτῶν ἐγκαλῶν ἐλήλυθας;

Νεοπτόλεμος

ὦ παῖ Ποίαντος, ἐξερῶ, μόλις δ᾽ ἐρῶ,
ἅγωγ᾽ ὑπ᾽ αὐτῶν ἐξελωβήθην μολών.
ἐπεὶ γὰρ ἔσχε μοῖρ᾽ Ἀχιλλέα θανεῖν,

Φιλοκτήτης

οἴμοι· φράσῃς μοι μὴ πέρα, πρὶν ἂν μάθω
πρῶτον τόδ᾽, ἦ τέθνηχ᾽ ὁ Πηλέως γόνος;

Νεοπτόλεμος

τέθνηκεν, ἀνδρὸς οὐδενός, θεοῦ δ᾽ ὕπο,
τοξευτός, ὡς λέγουσιν, ἐκ Φοίβου δαμείς.

Φιλοκτήτης

ἀλλ᾽ εὐγενὴς μὲν ὁ κτανών τε χὠ θανών·

ولدى، إن الحيرة تشل تفكيرى ولا أدرى ماذا أفعل:
هل أسمع باقى قصتك المؤلمة أولاً أو أبكى على أبيك؟

نيوبتوليموس

أيها المسكين، أعتقد أن ما أنت فيه من آلام يكفيك،
ولست بحاجة إلى مزيد من البكاء على مصائب الآخرين.

فيلوكتيتس

نعم، لقد صدقت. ولكن أخبرنى
مرة أخرى قصتك وكيف أساءوا إليك.

نيوبتوليموس

لقد جاءوا إلىَّ على متن سفينة فخمة،
أوديسيوس المبجل، والرجل الذى ربى والدى،
وأخبرونى – صدقًا أو كذبًا – أنه
من المقدر لى، أنا فقط ولا أحد سواى، أن أكون
من سيدمر طروادة، حيث إن أبى قد مات بالفعل.
وبعد قولهم هذا – يا سيدى – وهو الأمر
الذى لم يستغرق زمنًا طويلاً لقوله، أبحرت معهم بسرعة،
خاصة أننى كنت متشوقًا إلى رؤية جثمان أبى
قبل أن يدفنوه، حيث لم تسبق لى رؤيته وهو على قيد الحياة[15].
وعندما استمعت إلى حديثهم وجدت أنه يلقى هوى فى نفسى
وراقتنى فكرة الذهاب إلى طروادة وتدميرها.
وبالفعل أبحرت فى اليوم التالى مباشرة
ووصلت سريعًا إلى شواطئ سيجيوم القاسية[16]
بفضل سرعة مجدفينا. وبمجرد نزولى من السفينة

ἀμηχανῶ δὲ πότερον, ὦ τέκνον, τὸ σὸν
πάθημ᾽ ἐλέγχω πρῶτον ἢ κεῖνον στένω.

Νεοπτόλεμος

οἶμαι μὲν ἀρκεῖν σοί γε καὶ τὰ σ᾽, ὦ τάλας,
ἀλγήμαθ᾽, ὥστε μὴ τὰ τῶν πέλας στένειν.

Φιλοκτήτης

ὀρθῶς ἔλεξας· τοιγαροῦν τὸ σὸν φράσον
αὖθις πάλιν μοι πρᾶγμ᾽, ὅτῳ σ᾽ ἐνύβρισαν.

Νεοπτόλεμος

ἦλθόν με νηὶ ποικιλοστόλῳ μέτα
δῖός τ᾽ Ὀδυσσεὺς χὠ τροφεὺς τοὐμοῦ πατρός,
λέγοντες, εἴτ᾽ ἀληθὲς εἴτ᾽ ἄρ᾽ οὖν μάτην,
ὡς οὐ θέμις γίγνοιτ᾽, ἐπεὶ κατέφθιτο
πατὴρ ἐμός, τὰ πέργαμ᾽ ἄλλον ἤ μ᾽ ἑλεῖν.
ταῦτ᾽, ὦ ξέν᾽, οὕτως ἐννέποντες οὐ πολὺν
χρόνον μ᾽ ἐπέσχον μή με ναυστολεῖν ταχύ,
μάλιστα μὲν δὴ τοῦ θανόντος ἱμέρῳ,
ὅπως ἴδοιμ᾽ ἄθαπτον· οὐ γὰρ εἰδόμην·
ἔπειτα μέντοι χὡ λόγος καλὸς προσῆν,
εἰ τἀπὶ Τροίᾳ πέργαμ᾽ αἱρήσοιμ᾽ ἰών.
ἦν δ᾽ ἦμαρ ἤδη δεύτερον πλέοντί μοι,
κἀγὼ πικρὸν Σίγειον οὐρίῳ πλάτῃ
κατηγόμην· καί μ᾽ εὐθὺς ἐν κύκλῳ στρατὸς

التف أفراد الجيش حولى فى الحال ورحبوا بى بحرارة،
وأقسموا كأنهم يرون أخيليوس حيًا مرة أخرى،
أخيليوس الذى مات ولم يعد بينهم. وانفجرت – أنا المسكين –
فى البكاء حزنًا على أبى. وبعد وقت قصير
جاء ولدا أتريوس، والود يبدو على محياهما.
وعندما طلبت تسليمى أسلحة والدى وباقى متعلقاته
قالا ما أتصور أنه أكثر الأحاديث صفاقة:
" من حقك، يا بن أخيليوس، أن تأخذ
كل متعلقات والدك، باستثناء أسلحته
فإن شخصًا آخر يملكها الآن هو ابن لائرتيس ".
وفى الحال غادرت المكان والدموع تنهال من عينى
والغضب الشديد يغلى داخل صدرى وأنا أصيح:
" أيها الأوغاد، كيف تجرءون على منح هذه
الأسلحة التى تخصنى إلى شخص آخر دون علمى؟ ".
عندئذ قال أوديسيوس الذى كان موجودًا على مقربة:
" نعم، يا بنى، لقد أعطوا الأسلحة لمن يستحقها.
فأنا من أنقذ هذه الأسلحة وأنقذ صاحبها أيضًا".
وفور سماعى كلماته زاد غضبى وأطلقت اللعنات
على الجميع، ولم أترك نوعًا من السباب لم أوجهه إليهم
إذا لم يُعد ذلك الشخص أسلحتى إلىَّ.
ورغم شدة غضبى فإنه لم ينفعل
ولم يدخل فى شجار معى، ولكنه رد على إهاناتى بقوله:
" إنك لم تكن موجودًا حيث كنا؛ بل كنت بعيدًا عن الخطر.

ἐκβάντα πᾶς ἠσπάζετ᾽, ὀμνύντες βλέπειν
τὸν οὐκέτ᾽ ὄντα ζῶντ᾽ Ἀχιλλέα πάλιν.
κεῖνος μὲν οὖν ἔκειτ᾽· ἐγὼ δ᾽ ὁ δύσμορος
ἐπεὶ ᾽δάκρυσα κεῖνον, οὐ μακρῷ χρόνῳ
ἐλθὼν Ἀτρείδας πρὸς φίλους, ὡς εἰκὸς ἦν,
τά θ᾽ ὅπλ᾽ ἀπῄτουν τοῦ πατρὸς τά τ᾽ ἄλλ᾽ ὅσ᾽ ἦν.
οἱ δ᾽ εἶπον, οἴμοι, τλημονέστατον λόγον·
ὦ σπέρμ᾽ Ἀχιλλέως, τἄλλα μὲν πάρεστί σοι
πατρῷ᾽ ἑλέσθαι, τῶν δ᾽ ὅπλων κείνων ἀνὴρ
ἄλλος κρατύνει νῦν, ὁ Λαέρτου γόνος.
κἀγὼ δακρύσας εὐθὺς ἐξανίσταμαι
ὀργῇ βαρείᾳ, καὶ καταλγήσας λέγω·
ὦ σχέτλι᾽, ἦ ᾽τολμήσατ᾽ ἀντ᾽ ἐμοῦ τινι
δοῦναι τὰ τεύχη τἀμά, πρὶν μαθεῖν ἐμοῦ;
ὁ δ᾽ εἶπ᾽ Ὀδυσσεύς, πλησίον γὰρ ὢν κυρεῖ,
ναί, παῖ, δεδώκασ᾽ ἐνδίκως οὗτοι τάδε·
ἐγὼ γὰρ αὔτ᾽ ἔσωσα κἀκεῖνον παρών.
κἀγὼ χολωθεὶς εὐθὺς ἤρασσον κακοῖς
τοῖς πᾶσιν, οὐδὲν ἐνδεὲς ποιούμενος,
εἰ τἀμὰ κεῖνος ὅπλ᾽ ἀφαιρήσοιτό με.
ὁ δ᾽ ἐνθάδ᾽ ἥκων, καίπερ οὐ δύσοργος ὤν,
δηχθεὶς πρὸς ἁξήκουσεν ὧδ᾽ ἠμείψατο·
οὐκ ἦσθ᾽ ἵν᾽ ἡμεῖς, ἀλλ᾽ ἀπῆσθ᾽ ἵν᾽ οὔ σ᾽ ἔδει·

وما دمت تنطق بكلمات جريئة، فإن هذه الأسلحة
لم تكن فى حوزتك أصلاً لكى تعود بها إلى وطنك سكيروس".
وبعد أن تبادل السباب والاتهامات
أبحرت عائدًا إلى وطنى بعد أن حُرمت مما كان يخصنى
بسبب أوديسيوس، ذلك الحقير ابن الحقراء.
ولكننى لا ألومه على ذلك مثلما ألوم ولدى أتريوس
فإن المدينة كلها، وطوائف الجيش كافةً
تخضع لمن يملك السلطة. إن البشر الذين
ينشرون الفوضى ولا ينصاعون للقواعد أصبحوا كذلك بسبب من يقودونهم.
هذه هى القصة كلها. فليت من يكره ولدى أتريوس
تحبه الآلهة بقدر ما سوف أحبه أنا شخصيًا.

الكورس

إننى أبتهل إليك (يا كيبيلى)، يا أكثر ربات الأرض مهابة
يا أم زيوس نفسه، يا من تسكنين نهر باكتولوس الكبير[١٧]، المليء بالذهب،
كما سبق أن ابتهلت إليك هناك (فى طروادة)
يوم وصلت وقاحة ولدى أتريوس إلى حد لا يُحتمل
عندما أعطوا أسلحة والده[١٨]،
تلك الأسلحة التى تعتبر أعجوبة بحق،
إلى ابن لائريس، أبتهل إليكِ
أيتها الربة المبجلة، يا من تسيرين بصحبة الأسود[١٩] قاتلة الثيران.

فيلوكتيتس

أيا السادة يبدو أنكم قد أتيتم
هنا والحزن والألم يملآن صدوركم.

καὶ ταῦτ᾽, ἐπειδὴ καὶ λέγεις θρασυστομῶν,
οὐ μήποτ᾽ ἐς τὴν Σκῦρον ἐκπλεύσῃς ἔχων.
τοιαῦτ᾽ ἀκούσας κἀξονειδισθεὶς κακὰ
πλέω πρὸς οἴκους, τῶν ἐμῶν τητώμενος
πρὸς τοῦ κακίστου κἀκ κακῶν Ὀδυσσέως.
κοὐκ αἰτιῶμαι κεῖνον ὡς τοὺς ἐν τέλει·
πόλις γάρ ἐστι πᾶσα τῶν ἡγουμένων
στρατός τε σύμπας· οἱ δ᾽ ἀκοσμοῦντες βροτῶν
διδασκάλων λόγοισι γίγνονται κακοί.
λόγος λέλεκται πᾶς· ὁ δ᾽ Ἀτρείδας στυγῶν
ἐμοί θ᾽ ὁμοίως καὶ θεοῖς εἴη φίλος.

Χορός

ὀρεστέρα παμβῶτι Γᾶ, μᾶτερ αὐτοῦ Διός,
ἃ τὸν μέγαν Πακτωλὸν εὔχρυσον νέμεις,
σὲ κἀκεῖ, μᾶτερ πότνι᾽, ἐπηυδώμαν,
ὅτ᾽ ἐς τόνδ᾽ Ἀτρειδᾶν ὕβρις πᾶσ᾽ ἐχώρει,
ὅτε τὰ πάτρια τεύχεα παρεδίδοσαν,
ἰὼ μάκαιρα ταυροκτόνων
λεόντων ἔφεδρε, τῷ Λαρτίου
σέβας ὑπέρτατον.

Φιλοκτήτης

ἔχοντες, ὡς ἔοικε, σύμβολον σαφὲς
λύπης πρὸς ἡμᾶς, ὦ ξένοι, πεπλεύκατε,

إن حزنكم يشبه حزنى، وإننى أعرف تمامًا
أفعال ولدى أتريوس وتصرفات أوديسيوس
كما أعرف تمامًا أنه يجيد استخدام حديثه
بمكر شديد، ويطلق لسانه بالهجوم
حتى يبدو ما يفعله عادلاً فى النهاية.
إن هذا كله لا يدهشنى، ولكن كيف يكون
أياس الكبير[٢٠] موجودًا ويرى هذا ويوافق عليه؟

نيوبتوليموس

سيدى، إنه لم يعد على قيد الحياة. ولو كان
حيًا ما سُلبت هذه الأسلحة قط.

فيلوكتيتس

ماذا قلت؟ هل رحل ومات هو أيضًا؟

نيوبتوليموس

نعم، لقد مات وانتهى.

فيلوكتيتس

وا أسفاه. يا لى من مسكين!! ولكنَّ كلاً من ابن تيديوس
وابن سيزيفوس، الذى نُسب زورًا إلى لائرتيس[٢١]،
ما زالا على قيد الحياة، مع أنه كان يجب أن يكونا بين الموتى.

نيوبتوليموس

نعم، وكلى ثقة أنهم جميعًا ما زالوا
يجلسون على قمة جيش الأرجيين.

فيلوكتيتس

ولكن ماذا عن صديقى العجوز الفاضل،

καί μοι προσᾴδεθ᾽ ὥστε γιγνώσκειν ὅτι
ταῦτ᾽ ἐξ Ἀτρειδῶν ἔργα κἀξ Ὀδυσσέως.
ἔξοιδα γάρ νιν παντὸς ἂν λόγου κακοῦ
γλώσσῃ θιγόντα καὶ πανουργίας, ἀφ᾽ ἧς
μηδὲν δίκαιον ἐς τέλος μέλλοι ποεῖν.
ἀλλ᾽ οὔ τι τοῦτο θαῦμ᾽ ἔμοιγ᾽, ἀλλ᾽ εἰ παρὼν
Αἴας ὁ μείζων ταῦθ᾽ ὁρῶν ἠνείχετο.

Νεοπτόλεμος

οὐκ ἦν ἔτι ζῶν, ὦ ξέν᾽· οὐ γὰρ ἄν ποτε
ζῶντός γ᾽ ἐκείνου ταῦτ᾽ ἐσυλήθην ἐγώ.

Φιλοκτήτης

πῶς εἶπας; ἀλλ᾽ ἦ χοὖτος οἴχεται θανών;

Νεοπτόλεμος

ὡς μηκέτ᾽ ὄντα κεῖνον ἐν φάει νόει.

Φιλοκτήτης

οἴμοι τάλας. ἀλλ᾽ οὐχ ὁ Τυδέως γόνος
οὐδ᾽ οὑμπολητὸς Σισύφου Λαερτίῳ,
οὐ μὴ θάνωσι· τούσδε γὰρ μὴ ζῆν ἔδει.

Νεοπτόλεμος

οὐ δῆτ᾽· ἐπίστω τοῦτό γ᾽· ἀλλὰ καὶ μέγα
θάλλοντές εἰσι νῦν ἐν Ἀργείων στρατῷ.

Φιλοκτήτης

τί δ᾽; οὐ παλαιὸς κἀγαθὸς φίλος τ᾽ ἐμός,

نستور من بيلوس. هل ما زال موجودًا؟ لقد كان دومًا
يكبح جماح تصرفاتهم الخسيسة بنصائحه الحكيمة.

نيوبتوليموس

لقد ساءت أحواله كثيرًا منذ موت
ولده أنتيلوخوس[٢٢] الذى كان يلازمه دومًا.

فيلوكتيتس

وا حسرتاه. لقد سمعت فى كلماتك القليلة
نبأ موت أكثر رجلين يؤلمنى موتهما.
آه ثم آه. ماذا أنتظر عندما يموت
هذان الرجلان الفاضلان، فى حين أن أوديسيوس ما زال حيًا،
وهو الذى كان يجب أن يكون جثة هامدة بدلاً منهما؟

نيوبتوليموس

إنه محارب ماكر. ولكن تأكد يا فيلوكتيتس
أنه حتى من يتصفون بالمكر تزل قدمهم ويسقطون أحيانًا.

فيلوكتيتس

فلتخبرنى – بحق الآلهة – أين يوجد
باتروكلوس، الذى كان والدك يحبه كل الحب؟

نيوبتوليموس

لقد مات هو أيضًا. وباختصار
أقول: إن الموت لا يأخذ أبدًا
رجلاً شريرًا، ولكنه ينتقى الأفضل دائمًا.

فيلوكتيتس

أتفق معك تمامًا. ولذلك سوف

Νέστωρ ὁ Πύλιος, ἔστιν; οὗτος γὰρ τά γε
κείνων κάκ᾽ ἐξήρυκε, βουλεύων σοφά.

Νεοπτόλεμος

κεῖνός γε πράσσει νῦν κακῶς, ἐπεὶ θανὼν
Ἀντίλοχος αὐτῷ φροῦδος, ὃς παρῆν, γόνος.

Φιλοκτήτης

οἴμοι, δύ᾽ αὖ τώδ᾽ ἄνδρ᾽ ἔλεξας, οἷν ἐγὼ
ἥκιστ᾽ ἂν ἠθέλησ᾽ ὀλωλότοιν κλύειν.
φεῦ φεῦ· τί δῆτα δεῖ σκοπεῖν, ὅθ᾽ οἵδε μὲν
τεθνᾶσ᾽, Ὀδυσσεὺς δ᾽ ἔστιν αὖ κἀνταῦθ᾽ ἵνα
χρῆν ἀντὶ τούτων αὐτὸν αὐδᾶσθαι νεκρόν;

Νεοπτόλεμος

σοφὸς παλαιστὴς κεῖνος· ἀλλὰ χαὶ σοφαὶ
γνῶμαι, Φιλοκτῆτ᾽, ἐμποδίζονται θαμά.

Φιλοκτήτης

φέρ᾽ εἰπὲ πρὸς θεῶν, ποῦ γὰρ ἦν ἐνταῦθά σοι
Πάτροκλος, ὃς σοῦ πατρὸς ἦν τὰ φίλτατα;

Νεοπτόλεμος

χοὗτος τεθνηκὼς ἦν· λόγῳ δέ σ᾽ ἐν βραχεῖ
τοῦτ᾽ ἐκδιδάξω· πόλεμος οὐδέν᾽ ἄνδρ᾽ ἑκὼν
αἱρεῖ πονηρόν, ἀλλὰ τοὺς χρηστοὺς ἀεί.

Φιλοκτήτης

ξυμμαρτυρῶ σοι· καὶ κατ᾽ αὐτὸ τοῦτό γε

أسألك عن رجل حقير لا وزن له،
ولكنه يملك لسانًا بارعًا، كيف هو الآن؟

نيوبتوليموس

من عساه يكون هذا الشخص غير أوديسيوس؟

فيلوكتيتس

لا، لا أقصد أوديسيوس، ولكننى أقصد شخصًا يُدعى ثيرسيتيس[٢٣]
كان من غير المعتاد أن يتحدث، وكان لا يُسمح
له بالحديث، سوى مرة واحدة. هل تعرفه؟ هل ما زال حيًا؟

نيوبتوليموس

لا، إننى لا أعرفه، ولكننى سمعت أنه ما زال على قيد الحياة.

فيلوكتيتس

بالطبع. فإن الأشرار لا يموتون،
ولكن الآلهة ترعى هؤلاء جيدًا،
حيث إنها تجد متعة فى إنقاذ مثل هؤلاء السفلة
الغشاشين من الموت، ولكنها ترسل إلى
هاديس دائمًا العادلين الأفاضل.
كيف أفهم مغزى تصرفات الآلهة؟ وكيف يمكننى أن أمدحها،
حيث إننى كلما أردت مدحها وجدتها ترتكب الشرور؟

نيوبتوليموس

يا بن الأب الذى عاش بجانب جبل أويتا
إننى شخصيًا سوف آخذ حذرى، ومن الآن
سوف أنظر من بعيد إلى مدينة طروادة وإلى ولدى أتريوس،
وأؤكد لك أننى لن أرضى بالعيش بين

ἀναξίου μὲν φωτὸς ἐξερήσομαι,
γλώσσῃ δὲ δεινοῦ καὶ σοφοῦ, τί νῦν κυρεῖ.

Νεοπτόλεμος

ποίου δὲ τούτου πλήν γ᾽ Ὀδυσσέως ἐρεῖς;

Φιλοκτήτης

οὐ τοῦτον εἶπον, ἀλλὰ Θερσίτης τις ἦν,
ὃς οὐκ ἂν εἵλετ᾽ εἰσάπαξ εἰπεῖν, ὅπου
μηδεὶς ἐῴη· τοῦτον οἶσθ᾽ εἰ ζῶν κυρεῖ;

Νεοπτόλεμος

οὐκ εἶδον αὐτόν, ᾐσθόμην δ᾽ ἔτ᾽ ὄντα νιν.

Φιλοκτήτης

ἔμελλ᾽· ἐπεὶ οὐδέν πω κακόν γ᾽ ἀπώλετο,
ἀλλ᾽ εὖ περιστέλλουσιν αὐτὰ δαίμονες,
καί πως τὰ μὲν πανοῦργα καὶ παλιντριβῆ
χαίρουσ᾽ ἀναστρέφοντες ἐξ Ἅιδου, τὰ δὲ
δίκαια καὶ τὰ χρήστ᾽ ἀποστέλλουσ᾽ ἀεί.
ποῦ χρὴ τίθεσθαι ταῦτα, ποῦ δ᾽ αἰνεῖν, ὅταν
τὰ θεῖ᾽ ἐπαινῶν τοὺς θεοὺς εὕρω κακούς;

Νεοπτόλεμος

ἐγὼ μέν, ὦ γένεθλον Οἰταίου πατρός,
τὸ λοιπὸν ἤδη τηλόθεν τό τ᾽ Ἴλιον
καὶ τοὺς Ἀτρείδας εἰσορῶν φυλάξομαι·
ὅπου δ᾽ ὁ χείρων τἀγαθοῦ μεῖζον σθένει

أناس يكون الطالح أكثر قوة بينهم من الصالح،
وحيث تتضاءل أهمية الشخص الفاضل، فى حين يزداد الماكر قوة وجبروتًا.
ولكننى سوف أقضى بقية حياتى
فى جزيرة سكيروس الصخرية، حيث أسعد بالإقامة فى وطنى.
سوف أتجه الآن إلى سفينتى. وإننى
أوجه إليك – يا بن بوياس – آخر تحية، وليت الآلهة
تشفيك من مرضك كما تتمنى.
(للكورس) هيا بنا. فعندما يمنحنا الإله
الريح المواتية يجب أن نبحر على الفور.

فيلوكتيتس

هل سترحلون، يا ولدى؟

نيوبتوليموس

نعم. فإن حالة الجو
تسمح لنا بالإبحار فورًا.

فيلوكتيتس

ولدى، أتوسل إليك
باسم أبيك وأمك،
وباسم كل عزيز لديك فى وطنك،
لا تتركنى هنا هكذا
أعيش وحدى وسط تلك المصاعب التى تراها
بنفسك، والتى سمعتنى أحكى لك عنها.
اهتم بأمرى ولو قليلاً. إننى أدرك
حجم معاناتك وكم المشكلات التى تفكر فيها،

κἀποφθίνει τὰ χρηστὰ χὠ δειλὸς κρατεῖ,
τούτους ἐγὼ τοὺς ἄνδρας οὐ στέρξω ποτέ·
ἀλλ᾽ ἡ πετραία Σκῦρος ἐξαρκοῦσά μοι
ἔσται τὸ λοιπόν, ὥστε τέρπεσθαι δόμῳ.
νῦν δ᾽ εἶμι πρὸς ναῦν· καὶ σύ, Ποίαντος τέκνον,
χαῖρ᾽ ὡς μέγιστα, χαῖρε· καί σε δαίμονες
νόσου μεταστήσειαν, ὡς αὐτὸς θέλεις.
ἡμεῖς δ᾽ ἴωμεν, ὡς ὁπηνίκ᾽ ἂν θεὸς
πλοῦν ἡμὶν εἴκῃ, τηνικαῦθ᾽ ὁρμώμεθα.

Φιλοκτήτης

ἤδη, τέκνον, στέλλεσθε;

Νεοπτόλεμος

--καιρὸς γὰρ καλεῖ
πλοῦν μὴ ᾽ξ ἀπόπτου μᾶλλον ἢ ᾽γγύθεν σκοπεῖν.

Φιλοκτήτης

πρός νύν σε πατρὸς πρός τε μητρός, ὦ τέκνον,
πρός τ᾽ εἴ τί σοι κατ᾽ οἶκόν ἐστι προσφιλές,
ἱκέτης ἱκνοῦμαι, μὴ λίπῃς μ᾽ οὕτω μόνον,
ἔρημον ἐν κακοῖσι τοῖσδ᾽ οἵοις ὁρᾷς
ὅσοισί τ᾽ ἐξήκουσας ἐνναίοντά με·
ἀλλ᾽ ἐν παρέργῳ θοῦ με. δυσχέρεια μέν,
ἔξοιδα, πολλὴ τοῦδε τοῦ φορήματος·

ولكننى أتوسل إليك أن تصبر وتتحملنى. فبالنسبة إلى أصلك
الطيب يكون التصرف القبيح مكروهًا والتصرف المحترم نبيلاً.
فإذا تركتنى هنا فسوف يكون ذلك تصرفًا مذمومًا،
ولكن إذا أخذتنى فسوف تكون جائزتك مزيدًا من السمعة الطيبة
إذا قُدر لى أن أعيش وأصل حيًا إلى أرض أجدادى.
يا بنى، إننى لن أكبدك العناء سوى يوم واحد،
فلتتحمل وجودى، ولتضعنى فى أى مكان تراه،
سواء فى مخزن الأمتعة، أو فى مقدمة السفينة، أو فى مؤخرتها،
حيث سأكون بعيدًا عن بحارتك ولا أضايقهم فى سـوى أضـيق الحدود.
بحق زيوس، الإله الذى يجيب دعوة المضطر[٢٤]، هيا بنا نبحر.
وقل إنك موافق. إننى أتوسل إليك وأنا جاثٍ
عند ركبتيك، رغم عجزى وعرجى، ألا تتركنى
وحيدًا هكذا دون رفيق أو أنيس.
أنقذنى وخذنى إلى وطنى
أو إلى مدينة خالكيدون فى منطقة يوبيويا،
ومن هناك لن تكون المسافة طويلة حتى أصل إلى أويتا،
أو إلى سلسلة جبال تراخيس، أو إلى نهر
سبيرخيوس، السريع الجريان، عل أبى الحبيب
يتمكن من رؤيتى وأنا على قيد الحياة، فمنذ زمن
بعيد كنت أحمل هم ألا يتمكن من رؤيتى وأنا ما زلت حيًا.
فقد أرسلت إليه مع من جاءوا إلى الجزيرة متوسلاً
كى يأتى إلىَّ لينقذنى ويعود بى إلى الوطن.
ولكن، إما أنه قد مات بالفعل وإما كما أتصور

ὅμως δὲ τλῆθι· τοῖσι γενναίοισί τοι
τό τ᾽ αἰσχρὸν ἐχθρὸν καὶ τὸ χρηστὸν εὐκλεές.
σοὶ δ᾽ ἐκλιπόντι τοῦτ᾽ ὄνειδος οὐ καλόν,
δράσαντι δ᾽, ὦ παῖ, πλεῖστον εὐκλείας γέρας,
ἐὰν μόλω ᾽γὼ ζῶν πρὸς Οὐταίαν χθόνα.
ἴθ᾽· ἡμέρας τοι μόχθος οὐχ ὅλης μιᾶς.
τόλμησον. ἐμβαλοῦ μ᾽ ὅπῃ θέλεις ἄγων,
εἰς ἀντλίαν, εἰς πρῷραν, εἰς πρύμνην, ὅποι
ἥκιστα μέλλω τοὺς ξυνόντας ἀλγυνεῖν.
νεῦσον, πρὸς αὐτοῦ Ζηνὸς ἱκεσίου, τέκνον,
πείσθητι· προσπίτνω σε γόνασι, καίπερ ὢν
ἀκράτωρ ὁ τλήμων, χωλός. ἀλλὰ μή μ᾽ ἀφῇς
ἔρημον οὕτω χωρὶς ἀνθρώπων στίβου,
ἀλλ᾽ ἢ πρὸς οἶκον τὸν σὸν ἔκσωσόν μ᾽ ἄγων
ἢ πρὸς τὰ Χαλκώδοντος Εὐβοίας σταθμά·
κἀκεῖθεν οὔ μοι μακρὸς εἰς Οἴτην στόλος
Τραχινίαν τε δειράδ᾽ ἠδ᾽ ἐς εὔροον
Σπερχειὸν ἔσται· πατρί μ᾽ ὡς δείξῃς φίλῳ,
ὃν δὴ παλαιὸν ἐξ ὅτου δέδοικ᾽ ἐγὼ
μή μοι βεβήκῃ. πολλὰ γὰρ τοῖς ἱγμένοις
ἔστελλον αὐτὸν ἱκεσίους πέμπων λιτάς,
αὐτόστολον πέμψαντά μ᾽ ἐκσῶσαι δόμους.
ἀλλ᾽ ἢ τέθνηκεν ἢ τὰ τῶν διακόνων,

أن أولئك الذين أرسلتهم إليه
قد قاموا بأقل القليل مما طلبته منهم وأسرعوا بالعودة إلى وطنهم.
والآن، فقد قُدر لى أن أجد فيك الرفيق والمنقذ،
فلتشعر بالشفقة علىَّ ولتنقذنى، ولتتأمل
كيف قدرت الآلهة على البشر أن تتراوح حياتهم بين
الخير والشر، فأحياناً تسير أمورهم سيرًا حسناً وأحياناً العكس[٢٥].
ولذلك، يجب على من يحيا حياة طيبة أن ينظر جيدًا
أين يضع خطواته، وأن يحرص على حياته،
وينتبه لها خشية أن يدمره (القدر) فى غفلة منه.

الكورس

مولاى، فلتأخذك به الشفقة. فقد أخبرنا
عن كثير من آلامه التى يصعب احتمالها،
والتى لا أتمنى لأحد ممن أحب أن يعانيها.
مولاى، إذا كنت تكن الكراهية لولدى أتريوس البغيضين
فإنى أعتبر معاملتهم السيئة لفيلوكتيتس
نقطة فى صالحه، ومن ثم فإننى أرى أن
نحمله معنا فى سفينتنا السريعة الجيدة التجهيز
ونعود به إلى وطنه، حتى
نتجنب غضب الآلهة.

نيوبتوليموس

لاحظ أنك قد توافق الآن ببساطة (على أخذه معنا)،
ولكن عندما تبقى طويلاً على مقربة من جرحه
فربما سوف تسحب ما قلته توًا من كلمات.

ὡς εἰκός, οἶμαι, τοὐμὸν ἐν σμικρῷ μέρος
ποιούμενοι τὸν οἴκαδ᾽ ἤπειγον στόλον.
νῦν δ᾽, εἰς σὲ γὰρ πομπόν τε καὐτὸν ἄγγελον
ἥκω, σὺ σῶσον, σύ μ᾽ ἐλέησον, εἰσορῶν
ὡς πάντα δεινὰ κἀπικινδύνως βροτοῖς
κεῖται παθεῖν μὲν εὖ, παθεῖν δὲ θάτερα.
χρὴ δ᾽ ἐκτὸς ὄντα πημάτων τὰ δείν᾽ ὁρᾶν,
χὤταν τις εὖ ζῇ, τηνικαῦτα τὸν βίον
σκοπεῖν μάλιστα, μὴ διαφθαρεὶς λάθῃ.

Χορός

οἴκτιρ᾽, ἄναξ· πολλῶν ἔλεξεν δυσοίστων πόνων
ἆθλ᾽, οἷα μηδεὶς τῶν ἐμῶν τύχοι φίλων.
εἰ δὲ πικρούς, ἄναξ, ἔχθεις Ἀτρείδας,
ἐγὼ μέν, τὸ κείνων κακὸν τῷδε κέρδος
μετατιθέμενος, ἔνθαπερ ἐπιμέμονεν,
ἐπ᾽ εὐστόλου ταχείας νεὼς
πορεύσαιμ᾽ ἂν ἐς δόμους, τὰν θεῶν
νέμεσιν ἐκφυγών.

Νεοπτόλεμος

ὅρα σὺ μὴ νῦν μέν τις εὐχερὴς παρῇς,
ὅταν δὲ πλησθῇς τῆς νόσου ξυνουσίᾳ,
τότ᾽ οὐκέθ᾽ αὑτὸς τοῖς λόγοις τούτοις φανῇς.

الكورس

لا، بكل تأكيد. لن تتاح لك أبدًا
فرصة أن توجه إلىَّ مثل هذا اللوم.

نيوبتوليموس

سوف يكون من العار أن أكون أقل
رغبة منك فى أداء هذه الخدمة لهذا الرجل.
فإذا كانت هذه رغبتك، دعنا نبحر على وجه السرعة.
إن السفينة لن ترفض أن تحمله على متنها.
فليت الآلهة تمنحنا فرصة الإبحار بعيدًا
عن هذه الأرض حتى نصل إلى حيث نرغب.

فيلوكتيتس

يا أجمل يوم (طلعت عليه الشمس)، ويا أفضل رجل،
أيها البحارة الأعزاء، كيف أظهر لكم أنكم بهذا العمل
قد ربطتمونى وإياكم برباط صداقة وثيق.
ولدى، هيا بنا ندخل سكنى المتواضع
حتى أقدم له تحية الوداع، حتى تعرف كيف
استطعت مواصلة حياتى فى ظل هذه الظروف الصعبة،
فإننى أعتقد أن منظر الكهف كان من الممكن
أن يمنع أى شخص آخر سواى من تحمل العيش داخله.
ولكن الضرورة علمتنى أن أصبر وأحتمل الصعاب.

الكورس

مهلاً، حتى نعرف ما الجديد. فإننى أرى
رجلين: واحدًا من بحارة سفينتك، وآخر غريبًا،

Χορός

ἥκιστα· τοῦτ᾽ οὐκ ἔσθ᾽ ὅπως ποτ᾽ εἰς ἐμὲ
τοὔνειδος ἕξεις ἐνδίκως ὀνειδίσαι.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ αἰσχρὰ μέντοι σοῦ γέ μ᾽ ἐνδεέστερον
ξένῳ φανῆναι πρὸς τὸ καίριον πονεῖν.
ἀλλ᾽ εἰ δοκεῖ, πλέωμεν, ὁρμάσθω ταχύς·
χἠ ναῦς γὰρ ἄξει κοὐκ ἀπαρνηθήσεται.
μόνον θεοὶ σῴζοιεν ἔκ τε τῆσδε γῆς
ἡμᾶς ὅποι τ᾽ ἐνθένδε βουλοίμεσθα πλεῖν.

Φιλοκτήτης

ὦ φίλτατον μὲν ἦμαρ, ἥδιστος δ᾽ ἀνήρ,
φίλοι δὲ ναῦται, πῶς ἂν ὑμὶν ἐμφανὴς
ἔργῳ γενοίμην, ὥς μ᾽ ἔθεσθε προσφιλῆ;
ἴωμεν, ὦ παῖ, προσκύσαντε τὴν ἔσω
ἄοικον εἰσοίκησιν, ὥς με καὶ μάθῃς
ἀφ᾽ ὧν διέζων ὥς τ᾽ ἔφυν εὐκάρδιος.
οἶμαι γὰρ οὐδ᾽ ἂν ὄμμασιν μόνην θέαν
ἄλλον λαβόντα πλὴν ἐμοῦ τλῆναι τάδε·
ἐγὼ δ᾽ ἀνάγκῃ προύμαθον στέργειν κακά.

Χορός

ἐπίσχετον, μάθωμεν· ἄνδρε γὰρ δύο,
ὁ μὲν νεὼς σῆς ναυβάτης, ὁ δ᾽ ἀλλόθρους,

يتقدمان نحونا، فلنسمع ما لديهما ثم نرحل فى الحال.

التاجر

يا بن أخيليوس، لقد طلبت من هذا الرجل،
الذى كان يحرس سفينتك مع رجلين آخرين،
أن يدلنى على المكان الذى يمكننى أن أجدك فيه.
لقد رسوت على هذه الأرض بمحض المصادفة،
ولم تكن لدىَّ نية أن أرسو هنا.
لقد أبحرت بسفينتى ومعى عدد قليل من البحارة
من مدينة طروادة إلى جزيرة بيباريثوس،
موطن النبيذ الجيد، ولكن عندما عرفت أن
هؤلاء بحارتك الذين صاحبوك فى رحلتك،
عندئذٍ قررت ألا أبحر دون أن أتحدث إليك،
وعندها سوف أحصل منك على مكافأة سخية.
إذ يبدو لى أنك لا تعرف شيئًا عن الخطر الذى
ينتظرك وتجهل مخطط الأرجيين الجديد
بخصوصك. إنهم لم يقتصروا على التخطيط؛
بل شرعوا فى العمل بالفعل.

نيوبتوليموس

سيدى، إننى أشعر بالامتنان لاهتمامك،
وسوف أظل كذلك، ما لم أكن ناكرًا للجميل.
فلتخبرنى - بالتفصيل - عما قلته توًا حتى أعرف
مخططات الأرجيين الجديدة ضدى.

χωρεῖτον, ὧν μαθόντες αὖθις εἴσιτον.

Ἔμπορος

Ἀχιλλέως παῖ, τόνδε τὸν ξυνέμπορον,
ὃς ἦν νεὼς σῆς σὺν δυοῖν ἄλλοιν φύλαξ,
ἐκέλευσ᾽ ἐμοί σε ποῦ κυρῶν εἴης φράσαι,
ἐπείπερ ἀντέκυρσα, δοξάζων μὲν οὔ,
τύχῃ δέ πως πρὸς ταὐτὸν ὁρμισθεὶς πέδον.
πλέων γὰρ ὡς ναύκληρος οὐ πολλῷ στόλῳ
ἀπ᾽ Ἰλίου πρὸς οἶκον ἐς τὴν εὔβοτρυν
Πεπάρηθον, ὡς ἤκουσα τοὺς ναύτας ὅτι
σοὶ πάντες εἶεν συννεναυστοληκότες,
ἔδοξέ μοι μὴ σῖγα, πρὶν φράσαιμί σοι,
τὸν πλοῦν ποεῖσθαι, προστυχόντι τῶν ἴσων.
οὐδὲν σύ που κάτοισθα τῶν σαυτοῦ πέρι,
ἃ τοῖσιν Ἀργείοισιν ἀμφὶ σοῦ νέα
βουλεύματ᾽ ἐστί, κοὐ μόνον βουλεύματα,
ἀλλ᾽ ἔργα δρώμεν᾽, οὐκέτ᾽ ἐξαργούμενα.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ ἡ χάρις μὲν τῆς προμηθίας, ξένε,
εἰ μὴ κακὸς πέφυκα, προσφιλὴς μενεῖ·
φράσον δ᾽ ἅπερ, γ᾽ ἔλεξας, ὡς μάθω τί μοι
νεώτερον, βούλευμ᾽ ἀπ᾽ Ἀργείων ἔχεις.

التاجر

لقد بدءوا بالفعل فى تعقبك بسفينة
يقودها فوينكس العجوز واثنان من أبناء ثيسيوس[٢٦].

نيوبتوليموس

وهل ينوون إعادتى إليهم ثانيةً عن طريـق اسـتخدام القـوة أو بالإقناع؟

التاجر

لا أعرف. ولكننى أعلنت لك ما سمعت.

نيوبتوليموس

وهل أبحر فوينكس ومن معه
تنفيذًا لأوامر ولدى أتريوس؟

التاجر

أستطيع أن أوكد لك أنهم أبحروا بالفعل دون تأخير.

نيوبتوليموس

ولكن لمَ لَمْ يبحر أوديسيوس لهذه
المهمة بنفسه؟ هل شعر بالخوف؟

التاجر

عندما شرعت أنا فى رحلتى
كان قد أبحر هو وابن تيديوس وراء رجل آخر.

نيوبتوليموس

أى رجل هذا الذى خرج أوديسيوس بنفسه من أجله؟

التاجر

يوجد رجل.. ولكن أخبرنى أولاً
من هذا الرجل؟ ولا ترفع صوتك.

Ἔμπορος

φροῦδοι διώκοντές σε ναυτικῷ στόλῳ
φοῖνιξ ὁ πρέσβυς οἵ τε Θησέως κόροι.

Νεοπτόλεμος

ὡς ἐκ βίας μ᾽ ἄξοντες ἢ λόγοις πάλιν;

Ἔμπορος

οὐκ οἶδ᾽· ἀκούσας δ᾽ ἄγγελος πάρειμί σοι.

Νεοπτόλεμος

ἦ ταῦτα δὴ Φοῖνίξ τε χοἰ ξυνναυβάται
οὕτω καθ᾽ ὁρμὴν δρῶσιν Ἀτρειδῶν χάριν;

Ἔμπορος

ὡς ταῦτ᾽ ἐπίστω δρώμεν᾽, οὐ μέλλοντ᾽ ἔτι.

Νεοπτόλεμος

πῶς οὖν Ὀδυσσεὺς πρὸς τάδ᾽ οὐκ αὐτάγγελος
πλεῖν ἦν ἕτοιμος; ἢ φόβος τις εἶργέ νιν;

Ἔμπορος

κεῖνός γ᾽ ἐπ᾽ ἄλλον ἄνδρ᾽ ὁ Τυδέως τε παῖς
ἔστελλον, ἡνίκ᾽ ἐξανηγόμην ἐγώ.

Νεοπτόλεμος

πρὸς ποῖον αὖ τόνδ᾽ αὐτὸς Οὐδυσσεὺς ἔπλει;

Ἔμπορος

ἦν δή τις--ἀλλὰ τόνδε μοι πρῶτον φράσον
τίς ἐστίν· ἂν λέγῃς δὲ μὴ φώνει μέγα.

نيوبتوليموس

أيها الغريب، هذا هو فيلوكتيتس الشهير.

التاجر

لا توجه إلىَّ مزيدًا من الأسئلة، ولكن فلتبحر
الآن بأقصى سرعة، ولتغادر هذه الأرض.

فيلوكتيتس

ولدى، ماذا قال لك هذا الرجل
عنى؟ ولماذا يحدثك بصوت خفيض؟

نيوبتوليموس

لا أعرف بعد. ولكن يجب عليه أن يتكلم
ويعلن ما لديه علناً أمامك وأمامى وأمام هؤلاء (البحارة).

التاجر

يا بن أخيليوس، لا تشوه صورتى
أمام هؤلاء البحارة وتظهرنى أمامهم كرجل ثرثار
فقد حصلت منهم على بعض المزايا مقابل خدماتى لهم، مثــل
أى رجل فقير.

نيوبتوليموس

إننى على عداء مع ولدى أتريوس. وإننى أعتبر
هذا الرجل أفضل أصدقائى لأنه يكرههما.
وبما أنك أتيت إلىَّ كصديق، يجب عليك
ألا تخفى عنا شيئاً مما تناهى إلى سمعك.

التاجر

فلتفكر -- يا بنى – فيما تطلبه منى.

نيوبتوليموس

لقد فكرت فيه طويلاً.

Νεοπτόλεμος

ὅδ᾽ ἔσθ᾽ ὁ κλεινός σοι Φιλοκτήτης, ξένε.

Ἔμπορος

μή νύν μ᾽ ἔρῃ τὰ πλείον᾽, ἀλλ᾽ ὅσον τάχος
ἔκπλει σεαυτὸν ξυλλαβὼν ἐκ τῆσδε γῆς.

Φιλοκτήτης

τί φησιν, ὦ παῖ; τί με κατὰ σκότον ποτὲ
διεμπολᾷ λόγοισι πρός σ᾽ ὁ ναυβάτης;

Νεοπτόλεμος

οὐκ οἶδά πω τί φησι· δεῖ δ᾽ αὐτὸν λέγειν
εἰς φῶς ὃ λέξει, πρὸς σὲ κἀμὲ τούσδε τε.

Ἔμπορος

ὦ σπέρμ᾽ Ἀχιλλέως, μή με διαβάλῃς στρατῷ
λέγονθ᾽ ἃ μὴ δεῖ· πόλλ᾽ ἐγὼ κείνων ὕπο
δρῶν ἀντιπάσχω χρηστά θ᾽, οἷ᾽ ἀνὴρ πένης.

Νεοπτόλεμος

ἐγώ εἰμ᾽ Ἀτρείδαις δυσμενής· οὗτος δέ μοι
φίλος μέγιστος, οὕνεκ᾽ Ἀτρείδας στυγεῖ.
δεῖ δή σ᾽ ἔμοιγ᾽ ἐλθόντα προσφιλῆ, λόγων
κρύψαι πρὸς ἡμᾶς μηδέν᾽ ὧν ἀκήκοας.

Ἔμπορος

ὅρα τί ποιεῖς, παῖ.

Νεοπτόλεμος

--σκοπῶ κἀγὼ πάλαι.

التاجر

سوف أعتبرك مسئولاً.

نيوبتوليموس

اعتبرنى كذلك. ولكن تحدث (أمام الجميع).

التاجر

حسنًا. لقد أبحر الرجلان اللذان حدثتك
عنهما، ابن تيديوس وأوديسيوس القوى،
بحثًا عن هذا الرجل (فيلوكتيتس) حتى يعودا به (إلى طروادة)،
وقد أقسما أن يعودا به، سواء بالإقناع أو بالقوة،
وقد سمع الأخيون جميعًا أوديسيوس
وهو يقول ذلك بكل وضوح. لقد كان أكثر
ثقة من رفيقه من نجاحه فى أداء مهمته.

نيوبتوليموس

ما الذى دفع ولدى أتريوس إلى
الاهتمام بهذا الرجل بعد هذا الوقت
الطويل، وبعد أن ألقيا به هنا منذ سنوات؟
هل غلبهما الشوق إليه، أو أن الآلهة القادرة
وربة الانتقام يريدونهم أن يكفروا عن جرائمهم فى حقه؟

التاجر

سوف أشرح لك بالتفصيل كل ما سمعت،
فربما لم تسمع بهذا الأمر بعد: هناك عراف نبيل
كان يُطلق عليه اسم هيلينوس[٢٧]
ابن برياموس. وذات ليلة

Ἔμπορος

σὲ θήσομαι τῶνδ' αἴτιον.

Νεοπτόλεμος

--ποιοῦ λέγων.

Ἔμπορος

λέγω. 'πὶ τοῦτον ἄνδρε τώδ' ὥπερ κλύεις,
ὁ Τυδέως παῖς ἥ τ' Ὀδυσσέως βία,
διώμοτοι πλέουσιν ἦ μὴν ἢ λόγῳ
πείσαντες ἄξειν ἢ πρὸς ἰσχύος κράτος.
καὶ ταῦτ' Ἀχαιοὶ πάντες ἤκουον σαφῶς
Ὀδυσσέως λέγοντος· οὗτος γὰρ πλέον
τὸ θάρσος εἶχε θατέρου δράσειν τάδε.

Νεοπτόλεμος

τίνος δ' Ἀτρεῖδαι τοῦδ' ἄγαν οὕτω χρόνῳ
τοσῷδ' ἐπεστρέφοντο πράγματος χάριν,
ὅν γ' εἶχον ἤδη χρόνιον ἐκβεβληκότες;
τίς ὁ πόθος αὐτοὺς ἵκετ'; ἢ θεῶν βία
καὶ νέμεσις, οἵπερ ἔργ' ἀμύνουσιν κακά;

Ἔμπορος

ἐγώ σε τοῦτ', ἴσως γὰρ οὐκ ἀκήκοας,
πᾶν ἐκδιδάξω. μάντις ἦν τις εὐγενής,
Πριάμου μὲν υἱός, ὄνομα δ' ὠνομάζετο
Ἕλενος, ὃν οὗτος νυκτὸς ἐξελθὼν μόνος,

استطاع أوديسيوس، الذى يوصف بكل الصفات القبيحة،
الإمساك به، وأسره عن طريق الخداع. وعاد فرحًا
بغنيمته، ويا لها من غنيمة، لكى يعرضها أمام الأخيين.
ولقد تنبأ لهم (هيلينوس) بكل شىء،
خاصة ما يتعلق بمدينة طروادة الحصينة وكيف أنهم
لن يتمكنوا أبدًا من تدميرها إذا لم يكــن معهــم هــذا الرجــل (فيلوكتيتس)
بعد إقناعه بمغادرة هذه الجزيزة التى يقيم فيها الآن.
وحينما سمع أوديسيوس العراف ينطق
بهذه الكلمات، وعد الأخيين
بإحضار هذا الرجل أمامهم
قائلاً إنه سوف يحاول إحضاره،
فإذا رفض فسوف يحضره رغمًا عنه، وأضاف قائلاً إنهم
يستطيعون قطع رأسه إذا حنث بوعده.
يا بنى، لقد عرفت كل شىء الآن. ولهذا أنصحك
أن تسرع بالإبحار ومعك كل من تهتم بأمره.

فيلوكتيتس

آه، يا لى من مسكين. هل وعد ذلك الوغد الحقير
أن يمسكنى ويعود بى إلى الأخيين،
متصورًا أننى سوف أقتنع وأعود الضوء
مرة أخرى – بعد موتى – مثل والده؟[٢٨]

التاجر

إننى أجهل عمَّ تتحدث. ولكننى سوف
أتجه مباشرةً إلى سفينتى. ليت الآلهة تشملكم برعايتها.

ὁ πάντ᾽ ἀκούων αἰσχρὰ καὶ λωβήτ᾽ ἔπη
δόλιος Ὀδυσσεὺς εἷλε· δέσμιόν τ᾽ ἄγων
ἔδειξ᾽ Ἀχαιοῖς ἐς μέσον, θήραν καλήν·
ὃς δὴ τά τ᾽ ἄλλ᾽ αὐτοῖσι πάντ᾽ ἐθέσπισεν
καὶ τἀπὶ Τροίᾳ πέργαμ᾽ ὡς οὐ μή ποτε
πέρσοιεν, εἰ μὴ τόνδε πείσαντες λόγῳ
ἄγοιντο νήσου τῆσδ᾽ ἐφ᾽ ἧς ναίει τανῦν.
καὶ ταῦθ᾽ ὅπως ἤκουσ᾽ ὁ Λαέρτου τόκος
τὸν μάντιν εἰπόντ᾽, εὐθέως ὑπέσχετο
τὸν ἄνδρ᾽ Ἀχαιοῖς τόνδε δηλώσειν ἄγων·
οἴοιτο μὲν μάλισθ᾽ ἑκούσιον λαβών,
εἰ μὴ θέλοι δ᾽, ἄκοντα· καὶ τούτων κάρα
τέμνειν ἐφεῖτο τῷ θέλοντι μὴ τυχών.
ἤκουσας, ὦ παῖ, πάντα· τὸ σπεύδειν δέ σοι
καὐτῷ παραινῶ κεἴ τινος κήδει πέρι.

Φιλοκτήτης

οἴμοι τάλας· ἦ κεῖνος, ἡ πᾶσα βλάβη,
ἔμ᾽ εἰς Ἀχαιοὺς ὤμοσεν πείσας στελεῖν;
πεισθήσομαι γὰρ ὧδε κἀξ Ἅιδου θανὼν
πρὸς φῶς ἀνελθεῖν, ὥσπερ οὑκείνου πατήρ.

Ἔμπορος

οὐκ οἶδ᾽ ἐγὼ ταῦτ᾽· ἀλλ᾽ ἐγὼ μὲν εἶμ᾽ ἐπὶ
ναῦν, σφῷν δ᾽ ὅπως ἄριστα συμφέροι θεός.

فيلوكتيتس

ولدى، أليس هذا شيئًا عجيبًا أن يأمل
ابن لائرتيس أن يستميلنى بحديثه
ويقودنى بسفينته إلى حيث يوجد الأرجيون؟
لا، إننى قد أستمع إلى ألد أعدائى،
إلى الحية التى لدغتنى وجعلتنى كسيحًا، وليس إليه.
إنه يستطيع أن ينطق بما يشاء، وأن
يفعل ما يشاء. وأنا أعرف أنه قادم إلى هنا.
فدعنا – يا بنى – نسرع بالرحيل حتى
تفصلنا البحار الواسعة عن سفينة أوديسيوس.
هيا بنا، فإن الشروع فى العمل فى الوقت
المناسب يؤدى إلى الراحة والنجاح.

نيوبتوليموس

عندما تضرب الرياح مقدمة السفينة
سوف نبحر. فإن الرياح ضدنا الآن.

فيلوكتيتس

إن الإبحار يكون جيدًا فى كل الأحوال إذا كان المرء يهرب من المصائب.

نيوبتوليموس

نعم. ولكن الرياح ضدنا أيضًا الآن.

فيلوكتيتس

إن الرياح المعاكسة لا تثنى القراصنة
عن الإبحار عندما تتاح أمامهم الفرصة للسرقة والنهب.

نيوبتوليموس

هيا بنا نبحر، إذا كان هذا رأيك.

Φιλοκτήτης

οὔκουν τάδ᾿, ὦ παῖ, δεινά, τὸν Λαερτίου
ἔμ᾿ ἐλπίσαι ποτ᾿ ἂν λόγοισι μαλθακοῖς
δεῖξαι νεὼς ἄγοντ᾿ ἐν Ἀργείοις μέσοις;
οὔ· θᾶσσον ἂν τῆς πλεῖστον ἐχθίστης ἐμοὶ
κλύοιμ᾿ ἐχίδνης, ἥ μ᾿ ἔθηκεν ὧδ᾿ ἄπουν.
ἀλλ᾿ ἔστ᾿ ἐκείνῳ πάντα λεκτά, πάντα δὲ
τολμητά· καὶ νῦν οἶδ᾿ ὁθούνεχ᾿ ἵξεται.
ἀλλ᾿, ὦ τέκνον, χωρῶμεν, ὡς ἡμᾶς πολὺ
πέλαγος ὁρίζῃ τῆς Ὀδυσσέως νεώς.
ἴωμεν· ἥ τοι καίριος σπουδὴ πόνου
λήξαντος ὕπνον κἀνάπαυλαν ἤγαγεν.

Νεοπτόλεμος

οὐκοῦν ἐπειδὰν πνεῦμα τοὐκ πρῴρας ἀνῇ,
τότε στελοῦμεν· νῦν γὰρ ἀντιοστατεῖ.

Φιλοκτήτης

ἀεὶ καλὸς πλοῦς ἔσθ᾿, ὅταν φεύγῃς κακά.

Νεοπτόλεμος

οὔκ, ἀλλὰ κἀκείνοισι ταῦτ᾿ ἐναντία.

Φιλοκτήτης

οὐκ ἔστι λῃσταῖς πνεῦμ᾿ ἐναντιούμενον,
ὅταν παρῇ κλέψαι τι χἀρπάσαι βίᾳ.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾿ εἰ δοκεῖ, χωρῶμεν, ἔνδοθεν λαβὼν

ولتأخذ من الكهف ما يلزمك وما تهواه نفسك.

فيلوكتيتس

هناك ما أحتاج إليه من الأشياء القليلة التى لدى.

نيوبتوليموس

ما هذا الشىء الذى لن تجده على سفينتى؟

فيلوكتيتس

يوجد لدىَّ عشب يمكنه دائمًا
أن يهدئ من ألمى ويشفى جراحى.

نيوبتوليموس

فلتحضره. ماذا أيضًا تريد أن تأخذه معك؟

فيلوكتيتس

(سوف أبحث) عن أى سهم يمكن أن
يكون قد وقع سهوًا منى، حتى لا يقع فى يد أحد.

نيوبتوليموس

هل ما تمسكه الآن هو قوسك الشهير؟

فيلوكتيتس

نعم إنه ما أمسكه بيدى.

نيوبتوليموس

هل يمكننى أن ألقى عليه نظرة عن كثب،
أو ألمسه وأظهر احترامى له كما لو كان إلهًا؟

فيلوكتيتس

بكل تأكيد – يا بنى – وتستطيع أن ترى أى شىء آخر
أملكه، إذا كان هذا يسعدك.

ὅτου σε χρεία καὶ πόθος μάλιστ᾽ ἔχει.

Φιλοκτήτης

ἀλλ᾽ ἔστιν ὧν δεῖ, καίπερ οὐ πολλῶν ἄπο.

Νεοπτόλεμος

τί τοῦθ᾽ ὃ μὴ νεώς γε τῆς ἐμῆς ἔπι;

Φιλοκτήτης

φύλλον τί μοι πάρεστιν, ᾧ μάλιστ᾽ ἀεὶ
κοιμῶ τόδ᾽ ἕλκος, ὥστε πραΰνειν πάνυ.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ ἔκφερ᾽ αὐτό. τί γὰρ ἔτ᾽ ἄλλ᾽ ἐρᾷς λαβεῖν;

Φιλοκτήτης

εἴ μοί τι τόξων τῶνδ᾽ ἀπημελημένον
παρερρύηκεν, ὡς λίπω μή τῳ λαβεῖν.

Νεοπτόλεμος

ἦ ταῦτα γὰρ τὰ κλεινὰ τόξ᾽ ἃ νῦν ἔχεις;

Φιλοκτήτης

ταῦτ᾽, οὐ γὰρ ἄλλ᾽ ἔστ᾽, ἀλλ᾽ ἃ βαστάζω χεροῖν.

Νεοπτόλεμος

ἆρ᾽ ἔστιν ὥστε κἀγγύθεν θέαν λαβεῖν
καὶ βαστάσαι με προσκύσαι θ᾽ ὥσπερ θεόν;

Φιλοκτήτης

σοί γ᾽, ὦ τέκνον, καὶ τοῦτο κἄλλο τῶν ἐμῶν
ὁποῖον ἄν σοι ξυμφέρῃ γενήσεται.

نيوبتوليموس

إننى أتوق إلى لمسه بالفعل.
ولكن إذا لم يكن هذا من اللائق فلتنس الأمر.

فيلوكتيتس

يا ولدى، إن ما تنطق به حديث يتسم بالوقار.
بكل تأكيد يمكنك لمسه، فأنت من أعطانى طوق الخلاص،
وأنت الوحيد الذى سيجعلنى أرى أرض أويتا،
وأرى والدى العجوز، وأرى أحبابى، وأنت من
أبعدنى عن متناول أعدائى بعد أن كنت تحت رحمتهم.
هيا، فى إمكانك أن تلمس هذا القوس
ثم ترده ثانية إلى من أعطاك إياه.
ولك أن تفخر أنك الوحيد بين البشر الذى لمسه
اعترافًا بجميلك علىَّ، فقد حصلت أنا شخصيًا عليه للسبب نفسه.

نيوبتوليموس

إننى سعيد بالتعرف إليك وأعدُّك صديقًا لى.
فإن الشخص الذى يعرف كيف يقدم المعروف وكيف يتقبله
يكون دائمًا صديقًا أفضل من ثروات الدنيا كلها.
فهيا تقدم إلى داخل الكهف.

فيلوكتيتس

سوف آخذك معى. فإن
مرضى يستدعى أن ترافقنى.

الكورس

لقد سمعت عن ذلك الذى حاول الاقتراب من سرير زيوس،

Νεοπτόλεμος

καὶ μὴν ἐρῶ γε, τὸν δ' ἔρωθ' οὕτως ἔχω·
εἴ μοι θέμις, θέλοιμ' ἄν· εἰ δὲ μή, πάρες.

Φιλοκτήτης

ὅσιά τε φωνεῖς ἔστι τ', ὦ τέκνον, θέμις,
ὅς γ' ἡλίου τόδ' εἰσορᾶν ἐμοὶ φάος
μόνος δέδωκας, ὃς χθόν' Οἰταίαν ἰδεῖν,
ὃς πατέρα πρέσβυν, ὃς φίλους, ὃς τῶν ἐμῶν
ἐχθρῶν μ' ἔνερθεν ὄντ' ἀνέστησας πέρα.
θάρσει, παρέσται ταῦτά σοι καὶ θιγγάνειν
καὶ δόντι δοῦναι κἀξεπεύξασθαι βροτῶν
ἀρετῆς ἕκατι τῶνδ' ἐπιψαῦσαι μόνον·
εὐεργετῶν γὰρ καὐτὸς αὔτ' ἐκτησάμην.

Νεοπτόλεμος

οὐκ ἄχθομαί σ' ἰδών τε καὶ λαβὼν φίλον·
ὅστις γὰρ εὖ δρᾶν εὖ παθὼν ἐπίσταται,
παντὸς γένοιτ' ἂν κτήματος κρείσσων φίλος.
χωροῖς ἂν εἴσω.

Φιλοκτήτης

–καὶ σέ γ' εἰσάξω· τὸ γὰρ
νοσοῦν ποθεῖ σε ξυμπαραστάτην λαβεῖν.

Χορός

λόγῳ μὲν ἐξήκουσ', ὄπωπα δ' οὐ μάλα,

ولكننى لم أره بعينى،
ولقد عرفت أن ابن كرونوس القوى
قد أمسك به وربطه فى العجلة السريعة الدوران[٢٩].
ولكننى لم أر ولم أسمع عن شخص
ناصبه القدر العداء مثل هذا الرجل (فيلوكتيتس)
مع أنه لم يخطئ فى حق أحد، ولم يخدع أحدًا.
ولكنه يعيش فى سلام لا يعتدى على أحد، ولا أحد يعتدى عليه[٣٠].
ولكنه مع ذلك يعانى مصاعب لا تُحتمل.
إننى أشعر بالدهشة حقًا
كيف.. كيف أمكنه تحمل وحدته، وهو لا يسمع سوى
صوت ارتطام الأمواج بالشاطئ، وكيف واصل حياته
التى ليس فيها سوى الدموع.
ولم يكن له جيران، كما لم يملك القوة ليمشى،
ولم يجد أحدًا بقربه وهو يتألم
عله يسمع تأوهاته ويشاركه ألمه عندما
يفترس المرض لحمه ويصفى دمه،
ولم يجد بالقرب منه أحدًا يخفف من حدة النزيف الرهيب
الذى كان يتدفق من قرح قدمه المليئة بالسموم،
وذلك بوضع الأعشاب الطبية عندما يداهمه الألم،
أو يجمعها له من الأرض.
ولكنه كان يزحف هنا وهناك
وهو يتلوى
مثل طفل صغير لا يستطيع السير بثبات دون مساعدة مربيته الحبيبة،

τὸν πελάταν λέκτρων ποτὲ τῶν Διὸς
κατὰ δρομάδ᾽ ἄμπυκα δέσμιον ὡς ἔβαλεν παγκρατὴς Κρόνου παῖς·
ἄλλον δ᾽ οὔτιν᾽ ἔγωγ᾽ οἶδα κλύων οὐδ᾽ ἐσιδὼν μοίρᾳ
τοῦδ᾽ ἐχθίονι συντυχόντα
θνατῶν, ὃς οὔτ᾽ ἔρξας τιν᾽ οὔ τι νοσφίσας,
ἀλλ᾽ ἴσος ὢν ἴσοις ἀνήρ,
ὤλλυθ᾽ ὧδ᾽ ἀναξίως.
τόδε τοι θαῦμά μ᾽ ἔχει,
πῶς ποτε πῶς ποτ᾽ ἀμφιπλάκτων ῥοθίων μόνος κλύων,
πῶς ἄρα πανδάκρυτον οὕτω βιοτὰν κατέσχεν·
ἵν᾽ αὐτὸς ἦν πρόσουρος, οὐκ ἔχων βάσιν,
οὐδέ τιν᾽ ἐγχώρων κακογείτονα,
παρ᾽ ᾧ στόνον ἀντίτυπον βαρυβρῶτ᾽ ἀποκλαύσειεν αἱματηρόν·
ὃς τὰν θερμοτάταν αἱμάδα κηκιομέναν ἑλκέων
ἐνθήρου ποδὸς ἠπίοισι
φύλλοις κατευνάσειεν, εἴ τις ἐμπέσοι,
φορβάδος ἐκ γαίας ἑλών·
εἷρπε γὰρ ἄλλοτ᾽ ἀλλαχᾷ
τότ᾽ ἂν εἰλυόμενος
παῖς ἄτερ ὡς φίλας τιθήνας ὅθεν εὐμάρει᾽ ὑπάρ-

حيث كان من الممكن أن ينعم ببعض الراحة عندما يتوقف ألمـــه
المبرح.
ولم تكن هناك فى أرضه المقدسة بذور منثورة، ولا أى نوع
آخر من أنواع المزروعات التى نستمتع بها،
فقد كان يملأ معدته بالطعام فقط
عندما كان يصوب سهامه السريعة من قوسه القوى.
يا له من شخص مسكين،
فهو لم يستمتع بكأس من الخمر منذ عشر سنوات طوال
لكنه كان يبحث حوله دومًا ليرى مكان
تجمع المياه فى البرك الراكدة.
والآن، ها هو بين يديى ابن أفضل الرجال
وسوف ينهى مشوار حياته العظيمة فى سعادة بعد المعاناة.
لأن (قائدنا) بمهارته المعروفة فى الإبحار
سوف يقوده ويعود به، بعد مرور الشهور الكثيرة، إلى وطنه،
حيث تسكن حوريات ماليس
على ضفاف نهر سبيرخيوس، حيث صعد البطل المتدثر بدرعه
المصنوعة من البرونز، إلى الآلهة،
بعد أن أُحْرِقَ فوق قمة جبل أويتا.

نيوبتوليموس

إذا كانت هذه رغبتك، هيا بنا. لماذا تقف صامتًا
دون أن تنطق كلمة واحدة؟ ماذا بك؟

فيلوكتيتس

آه... آه.. آه.

نيوبتوليموس

ماذا بك؟

χοι πόρου, ἀνίκ᾽ ἐξανείη δακέθυμος ἄτα·
οὐ φορβὰν ἱερᾶς γᾶς σπόρον, οὐκ ἄλλων
αἴρων τῶν νεμόμεσθ᾽ ἀνέρες ἀλφησταί,
πλὴν ἐξ ὠκυβόλων εἴ ποτε τόξων
πτανοῖς ἰοῖς ἀνύσειε γαστρὶ φορβάν.
ὦ μελέα ψυχά,
ὃς μηδ᾽ οἰνοχύτου πώματος ἥσθη δεκέτει χρόνῳ,
λεύσσων δ᾽ ὅπου γνοίη στατὸν εἰς ὕδωρ,
ἀεὶ προσενώμα.
νῦν δ᾽ ἀνδρῶν ἀγαθῶν παιδὸς ὑπαντήσας
εὐδαίμων ἀνύσει καὶ μέγας ἐκ κείνων.
ὅς νιν ποντοπόρῳ δούρατι, πλήθει
πολλῶν μηνῶν, πατρίαν ἄγει πρὸς αὐλὰν
Μαλιάδων νυμφᾶν
Σπερχειοῦ τε παρ᾽ ὄχθας, ἵν᾽ ὁ χάλκασπις ἀνὴρ θεοῖς
πλάθει πατρὸς θείῳ πυρὶ παμφαής,
Οἴτας ὑπὲρ ὄχθων.

Νεοπτόλεμος

ἕρπ᾽, εἰ θέλεις. τί δή ποθ᾽ ὧδ᾽ ἐξ οὐδενὸς
λόγου σιωπᾷς κἀπόπληκτος ὧδ᾽ ἔχει;

Φιλοκτήτης

ἆ, ἆ.

Νεοπτόλεμος

τί δ᾽ ἔστιν;

فيلوكتيتس

لا شيء ذا أهمية. ولكن...

نيوبتوليموس

هل عاودتك آلام مرضك المزمن؟

فيلوكتيتس

لا، لا. يبدو أننى أفضل حالاً
أيتها الآلهة...

نيوبتوليموس

لماذا تنادى الآلهة بصوت حزين؟

فيلوكتيتس

علها تأتى إلىَّ وتنقذنى.
آه.. آه.. آه.

نيوبتوليموس

ماذا بك؟ أخبرنى ولا تُخْفِ عنى شيئًا
بصمتك، فمن الواضح أنك تتألم.

فيلوكتيتس

ولدى، لقد انتهيت. لا أستطيع أن
أخفى ألمى عنك أكثر من هذا. آه.. آه. ها قد أتت.
ها قد أتت. وا مصيبتاه. يا لى من مسكين.
لقد انتهيت، يا بنى. إنها تقضى علىَّ. آه.
آه.. آه.. آه.. آه.
ولدى، بحق الآلهة إذا كان فى يدك
سيف، فاستخدمه، اقطع به طرف قدمى.

Φιλοκτήτης

--οὐδὲν δεινόν· ἀλλ᾽ ἴθ᾽, ὦ τέκνον.

Νεοπτόλεμος

μῶν ἄλγος ἴσχεις τῆς παρεστώσης νόσου;

Φιλοκτήτης

οὐ δῆτ᾽ ἔγωγ᾽, ἀλλ᾽ ἄρτι κουφίζειν δοκῶ.
ὦ θεοί.

Νεοπτόλεμος

τί τοὺς θεοὺς ὧδ᾽ ἀναστένων καλεῖς;

Φιλοκτήτης

σωτῆρας αὐτοὺς ἠπίους θ᾽ ἡμῖν μολεῖν.
ἀᾶ, ἀᾶ.

Νεοπτόλεμος

τί ποτε πέπονθας; οὐκ ἐρεῖς, ἀλλ᾽ ὧδ᾽ ἔσει
σιγηλός; ἐν κακῷ δέ τῳ φαίνει κυρῶν.

Φιλοκτήτης

ἀπόλωλα, τέκνον, κοὐ δυνήσομαι κακὸν
κρύψαι παρ᾽ ὑμῖν, ἀτταταῖ· διέρχεται
διέρχεται. δύστηνος, ὦ τάλας ἐγώ.
ἀπόλωλα, τέκνον· βρύκομαι, τέκνον· παπαῖ,
ἀπαππαπαῖ, παπαππαπαππαπαππαπαῖ.
πρὸς θεῶν, πρόχειρον εἴ τί σοι, τέκνον, πάρα
ξίφος χεροῖν, πάταξον εἰς ἄκρον πόδα·

اقطعه بمنتهى السرعة، ولا تهتم بحياتى.
هيا، أيها الشاب.

نيوبتوليموس

ماذا أصابك فجأةً وجعلك
تتأوه وتصيح بهذه الطريقة؟

فليوكتيتس

إنك تعرف، يا ولدى.

نيوبتوليموس

أعرف ماذا؟

فيلوكتيتس

إنك تعرف، أيها الشاب.

نيوبتوليموس

ماذا بك؟
إننى لا أعرف.

فيلوكتيتس

كيف لا تعرف؟ آه.. آه.. آه.

نيوبتوليموس

إن آلام مرضك رهيبة.

فيلوكتيتس

إنها رهيبة فوق ما تتصور، فارحمنى.

نيوبتوليموس

ماذا يجب علىَّ أن أفعل؟

ἀπάμησον ὡς τάχιστα· μὴ φείσῃ βίου.
ἴθ᾽, ὦ παῖ.

Νεοπτόλεμος

τί δ᾽ ἔστιν οὕτω νεοχμὸν ἐξαίφνης, ὅτου
τοσήνδ᾽ ἰυγὴν καὶ στόνον σαυτοῦ ποεῖ;

Φιλοκτήτης

οἶσθ᾽, ὦ τέκνον;

Νεοπτόλεμος

τί δ᾽ ἔστιν;

Φιλοκτήτης

οἶσθ᾽, ὦ παῖ;

Νεοπτόλεμος

–τί σοί;
οὐκ οἶδα.

Φιλοκτήτης

–πῶς οὐκ οἶσθα; παππαπαππαπαῖ.

Νεοπτόλεμος

δεινόν γε τοὐπίσαγμα τοῦ νοσήματος.

Φιλοκτήτης

δεινὸν γὰρ οὐδὲ ῥητόν· ἀλλ᾽ οἴκτιρέ με.

Νεοπτόλεμος

τί δῆτα δράσω;

فيلوكتيتس

لا تخف منى وتتركنى،
فإن هذه النوبة تصيبنى من فترة إلى أخرى، ربما عندما
تتعب من التجوال فى أماكن أخرى.

نيوبتوليموس

آه، يا لك من مسكين،
إنك مسكين حقًا، حيث تعانى جميع أنواع الألم.
هل أستطيع أن أمسك بك أو أن ألمسك؟

فيلوكتيتس

لا، لا. ولكن فلتمسك بهذه الأسلحة
بدلاً منى، وهو ما كنت تطلب منذ قليل، وذلك حتى
تنتهى نوبة الألم التى أصابتنى لتوى.
احتفظ بها، وحافظ عليها. فإن النوم يغلبنى
عندما تنتهى نوبة الألم هذه وتغادر جسدى.
إن ألمى لن يزول تمامًا قبل هذا، ولذلك فلتتركنى
أَنَمْ فى هدوء. ولكن، إذا جاء هؤلاء (القادة)
فى أثناء فترة نومى، أتوسل إليك، بحق الآلهة،
ألا تسلمهم أسلحتى، سواء بإرادتك أو رغمًا
عنك، ولا تجعل أحدًا منهم يقنعك بأخذها بمعسول
الكلام، حتى لا تقضى علىَّ وعلى نفسك.

نيوبتوليموس

من هذه الناحية فلتطمئن. فإننى لن أسلم (أسلحتك)
سوى ليديك بعد يدى (فأعطنى إياها) وليت الحظ يحالفنا.

Φιλοκτήτης

—μή με ταρβήσας προδῷς·
ἥκει γὰρ αὕτη διὰ χρόνου πλάνοις ἴσως
ὡς ἐξεπλήσθη.

Νεοπτόλεμος

—ἰὼ ἰὼ δύστηνε σύ,
δύστηνε δῆτα διὰ πόνων πάντων φανείς.
βούλει λάβωμαι δῆτα καὶ θίγω τί σου;

Φιλοκτήτης

μὴ δῆτα τοῦτό γ᾿· ἀλλά μοι τὰ τόξ᾿ ἑλὼν
τάδ᾿, ὥσπερ ᾐτοῦ μ᾿ ἀρτίως, ἕως ἀνῇ
τὸ πῆμα τοῦτο τῆς νόσου τὸ νῦν παρόν,
σῷζ᾿ αὐτὰ καὶ φύλασσε. λαμβάνει γὰρ οὖν
ὕπνος μ᾿, ὅταν περ τὸ κακὸν ἐξίῃ τόδε·
κοὐκ ἔστι λῆξαι πρότερον· ἀλλ᾿ ἐᾶν χρεὼν
ἕκηλον εὕδειν. ἢν δὲ τῷδε τῷ χρόνῳ
μόλωσ᾿ ἐκεῖνοι, πρὸς θεῶν ἐφίεμαι
ἑκόντα μηδ᾿ ἄκοντα μηδέ τῳ τέχνῃ
κείνοις μεθεῖναι ταῦτα, μὴ σαυτόν θ᾿ ἅμα
κἄμ᾿, ὄντα σαυτοῦ πρόστροπον, κτείνας γένῃ.

Νεοπτόλεμος

θάρσει προνοίας οὕνεκ᾿· οὐ δοθήσεται
πλὴν σοί τε κἀμοί· ξὺν τύχῃ δὲ πρόσφερε.

فيلوكتيتس

هيا، خذها، يا بنى. ولْتُصَلِّ حتى لا يجعلها
الحسد الإلهى مصدر حزن وأسى لك
مثلما كانت لى ولمن أعطانى إياها أيضًا.

نيوبتوليموس

أيتها الآلهة، حققى هذه الأمنية لنا، وامنحينا
رياحًا مواتية وسريعة، حتى يمكننا
الوصول إلى حيث تريد الآلهة وحيث نجد غايتنا.

فلوكتيتس

ولدى، كم أخشى أن تكون صلاتك غير مستجابة،
فإن الدماء الغزيرة تسيل من جراحى
العميقة، وأعتقد أن شيئًا جديدًا سوف يصيبنى.
آه.. آه.. وا أسفاه.
آه منك، أيتها القدم التى جلبت علىَّ الآلام.
إنها تقترب
إنها تقترب. وا أسفاه، يا لى من تعس.
إن الأسلحة بحوزتك. لا تتركنى أرجوك.
آه.. آه.. آه.
ليتك، أيها القادم من مدينة كيفالينيا، كنت من يتألم،
ليت هذا الألم كان يمزق صدرك. وا أسفاه. آه.
آه ثم آه. أيها القائدان الشقيقان،
أجاممنون ومينيلاوس، ليتكما تعانيان

Φιλοκτήτης

ἰδοὺ δέχου, παῖ· τὸν φθόνον δὲ πρόσκυσον
μή σοι γενέσθαι πολύπον᾽ αὐτὰ μηδ᾽ ὅπως
ἐμοί τε καὶ τῷ πρόσθ᾽ ἐμοῦ κεκτημένῳ.

Νεοπτόλεμος

ὦ θεοί, γένοιτο ταῦτα νῷν· γένοιτο δὲ
πλοῦς οὔριός τε κεὐσταλὴς ὅποι ποτὲ
θεὸς δικαιοῖ χὠ στόλος πορσύνεται.

Φιλοκτήτης

ἀλλ᾽ οὖν δέδοικα μὴ ἀτέλεστ᾽ εὔχῃ, τέκνον.
στάζει γὰρ αὖ μοι φοίνιον τόδ᾽ ἐκ βυθοῦ
κηκῖον αἷμα, καί τι προσδοκῶ νέον.
παπαῖ, φεῦ.
παπαῖ μάλ᾽, ὦ πούς, οἷά μ᾽ ἐργάσει κακά.
προσέρπει,
προσέρχεται τόδ᾽ ἐγγύς. οἴμοι μοι τάλας.
ἔχετε τὸ πρᾶγμα· μὴ φύγητε μηδαμῇ.
ἀτταταῖ.
ὦ ξένε Κεφαλλήν, εἴθε σου διαμπερὲς
στέρνων ἔχοιτ᾽ ἄλγησις ἥδε. φεῦ, παπαῖ,
παπαῖ μάλ᾽ αὖθις. ὦ διπλοῖ στρατηλάται,
Ἀγάμεμνον, ὦ Μενέλαε, πῶς ἂν ἀντ᾽ ἐμοῦ

مرضًا يشبه مرضى فترة تماثل فترة مرضى.
وا أسفاه على حالى.
أيها الموت، أيها الموت[٣١]، كيف أناديك
هكذا طوال الوقت ولكنك لا تأتى أبدًا؟
أتوسل إليك – يا بنى، يا نبيل الأصل – أن تنقلنى،
إلى حيث توجد النار المشهورة باسم نيران ليمنوس
وتلقى بى فى فوهة البركان، أيها الشاب النبيل. لقد التزمت
بمثل هذا الوعد لابن زيوس (هيراكليس)،
ولذلك حصلت على هذه الأسلحة التى تمسك بها الآن.
ماذا تقول أيها الشاب؟
ماذا تقول؟ لماذا تصمت؟ فِيمَ تفكر، يا بنى؟

نيوبتوليموس

إننى أتألم لألمك منذ أمد بعيد.

فيلوكتيتس

لا، يا بنى، تشجع. إن هذه النوبة
تأتى فجأة وتزول بسرعة
ولكننى أتوسل إليك ألا تتركنى وحيدًا.

نيوبتوليموس

اطمئن. سوف نبقى هنا.

فيلوكتيتس

هل ستبقى؟

نيوبتوليموس

بكل تأكيد.

τὸν ἴσον χρόνον τρέφοιτε τήνδε τὴν νόσον;
ἰώ μοι.
ὦ Θάνατε Θάνατε, πῶς ἀεὶ καλούμενος
οὕτω κατ' ἦμαρ, οὐ δύνᾳ μολεῖν ποτε;
ὦ τέκνον ὦ γενναῖον, ἀλλὰ συλλαβὼν
τῷ Λημνίῳ τῷδ' ἀνακαλουμένῳ πυρὶ
ἔμπρησον, ὦ γενναῖε· κἀγώ τοί ποτε
τὸν τοῦ Διὸς παῖδ' ἀντὶ τῶνδε τῶν ὅπλων,
ἃ νῦν σὺ σῴζεις, τοῦτ' ἐπηξίωσα δρᾶν.
τί φής, παῖ;
τί φής; τί σιγᾷς; ποῦ ποτ' ὤν, τέκνον, κυρεῖς;

Νεοπτόλεμος

ἀλγῶ πάλαι δὴ τἀπὶ σοὶ στένων κακά.

Φιλοκτήτης

ἀλλ', ὦ τέκνον, καὶ θάρσος ἴσχ'· ὡς ἥδε μοι
ὀξεῖα φοιτᾷ καὶ ταχεῖ' ἀπέρχεται.
ἀλλ' ἀντιάζω, μή με καταλίπῃς μόνον.

Νεοπτόλεμος

θάρσει, μενοῦμεν.

Φιλοκτήτης

ἦ μενεῖς;

Νεοπτόλεμος

–σαφῶς φρόνει.

فليوكتيتس

أعتقد – يا بنى – أننى لا أستحق أن أجعلك تقسم على هذا.

نيوبتوليموس

لا حاجة بك إلى ذلك. فلن أذهب بدونك.

فيلوكتيتس

فلتعاهدنى على هذا.

نيوبتوليموس

أعاهدك أن أبقى.

فليوكتيتس

خذنى.. خذنى بعيدًا عن هنا.

نيوبتوليموس

إلى أين؟

فيلوكتيتس

إلى فوق.

نيوبتوليموس

هل أصابك مس من الجنون؟ لماذا تنظر إلى قبة السماء؟

فيلوكتيتس

دعنى أذهب.. دعنى.

نيوبتوليموس

إلى أين؟

فيلوكتيتس

دعنى أذهب.

نيوبتوليموس

إننى لا أمنعك.

Φιλοκτήτης

οὐ μήν σ᾽ ἔνορκόν γ᾽ ἀξιῶ θέσθαι, τέκνον.

Νεοπτόλεμος

ὡς οὐ θέμις γ᾽ ἐμοὔστι σοῦ μολεῖν ἄτερ.

Φιλοκτήτης

ἔμβαλλε χειρὸς πίστιν.

Νεοπτόλεμος

--ἐμβάλλω μενεῖν.

Φιλοκτήτης

ἐκεῖσε νῦν μ᾽, ἐκεῖσε

Νεοπτόλεμος

ποῖ λέγεις;

Φιλοκτήτης

--ἄνω

Νεοπτόλεμος

τί παραφρονεῖς αὖ; τί τὸν ἄνω λεύσσεις κύκλον;

Φιλοκτήτης

μέθες μέθες με.

Νεοπτόλεμος

ποῖ μεθῶ;

Φιλοκτήτης

--μέθες ποτέ.

Νεοπτόλεμος

οὔ φημ᾽ ἐάσειν.

فيلوكتيتس

لا تلمسنى. فسوف تدمرنى إذا فعلت.

نيوبتوليموس

سوف أدعك تذهب إذا كنت قد عدت إلى رشدك.

فيلوكتيتس

أيتها الأرض، ليتك تستقبلين جسدى وأنا أحتضر الآن،
فإن المرض اللعين لا يجعلنى أقوى على الوقوف.

نيوبتوليموس

يبدو لى أنه سوف ينام بعد وقت
قصير. إن رأسه يترنح بالفعل
والعرق الغزير يغطى جسده كله،
فى حين أن الدماء القاتمة تندفع من قدمه
هى والصديد. أيها الأصدقاء، دعونا نترك
هذا الرجل ينعم بالهدوء فى أثناء نومه.

الكورس

أيها النوم، يا من لا تعرف طعم الألم أو المعاناة،[٣٢]
ليتك أيها الملك، تأتى
برفق إلى هذا الرجل،
ولتنشر فوق عينيه أشعتك
الناعسة لتغلق جفونه كما يحدث الآن.
هيا أيها الإله الشافى تعال إلينا.
(لنيوبتوليموس) ولدى، فلتفكر جيدًا
أين أنت الآن، وما خطوتك

Φιλοκτήτης

–ἀπό μ᾿ ὀλεῖς, ἢν προσθίγῃς.

Νεοπτόλεμος

καὶ δὴ μεθίημ᾿, εἴ τι δὴ πλέον φρονεῖς.

Φιλοκτήτης

ὦ γαῖα, δέξαι θανάσιμόν μ᾿ ὅπως ἔχω·
τὸ γὰρ κακὸν τόδ᾿ οὐκέτ᾿ ὀρθοῦσθαί μ᾿ ἐᾷ.

Νεοπτόλεμος

τὸν ἄνδρ᾿ ἔοικεν ὕπνος οὐ μακροῦ χρόνου
ἕξειν· κάρα γὰρ ὑπτιάζεται τόδε·
ἱδρώς γέ τοί νιν πᾶν καταστάζει δέμας,
μέλαινά τ᾿ ἄκρου τις παρέρρωγεν ποδὸς
αἱμορραγὴς φλέψ. ἀλλ᾿ ἐάσωμεν, φίλοι,
ἕκηλον αὐτόν, ὡς ἂν εἰς ὕπνον πέσῃ.

Χορός

Ὕπν᾿ ὀδύνας ἀδαής, Ὕπνε δ᾿ ἀλγέων,
εὐαὲς ἡμῖν ἔλθοις,
εὐαίων εὐαίων, ὦναξ·
ὄμμασι δ᾿ ἀντίσχοις
τάνδ᾿ αἴγλαν, ἃ τέταται τανῦν.
ἴθι ἴθι μοι παιών.
ὦ τέκνον, ὅρα ποῦ στάσει,
ποῖ δέ μοι τἀνθένδε βάσει,

التالية؟ فأنت ترى أنه قد نام بالفعل.
فأى شيء ننتظر؟
فإن المرء، عندما تتاح له الفرصة ويضع
فى حسبانه جميع الأمور، يمكنه أن يحرز الانتصار.

نيوبتوليموس

أعرف أنه لا يسمعنا، ولكننى أعتقد أننا
سنكون قد طاردنا فريستنا
دون جدوى، إذا ما أبحرنا ومعنا القوس دون صاحبه.
فهو من أمر الإله بإحضاره، وهو من سيحقق النصر.
وسوف يكون من العار علينا أننا كذبنا دون جدوى.

الكورس

إن الإله – يا بنى – سوف يحرص على تحقيق ذلك.
وليتك عندما تبادلنى أطراف الحديث
تحرص على خفض صوتك. اخفض صوتك، يا ولدى
ولتجب (عن تساؤلاتى) همسًا.
ففى أثناء المرض يكون نوم المرء
قلقًا، فهو نوم ليس بالنوم.
فكن حذرًا
قدر استطاعتك.
ولتَرَ ماذا أنت فاعل.
إنك تدرك مغزى كلامى
ذلك إذا كنت ما زلت متمسكًا برأيك.
إن الريح مواتية، يا بنى، إنها مواتية

φροντίδος. ὁρᾷς ἤδη.
πρὸς τί μενοῦμεν πράσσειν;
καιρός τοι πάντων γνώμαν ἴσχων
πολύ τι πολὺ παρὰ πόδα κράτος ἄρνυται.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ ὅδε μὲν κλύει οὐδέν, ἐγὼ δ᾽ ὁρῶ οὕνεκα θήραν
τήνδ᾽ ἁλίως ἔχομεν τόξων, δίχα τοῦδε πλέοντες.
τοῦδε γὰρ ὁ στέφανος, τοῦτον θεὸς εἶπε κομίζειν.
κομπεῖν δ᾽ ἔστ᾽ ἀτελῆ σὺν ψεύδεσιν αἰσχρὸν ὄνειδος.

Χορός

ἀλλά, τέκνον, τάδε μὲν θεὸς ὄψεται·
ὧν δ᾽ ἂν ἀμείβῃ μ᾽ αὖθις,
βαιάν μοι, βαιάν, ὦ τέκνον,
πέμπε λόγων φάμαν·
ὡς πάντων ἐν νόσῳ εὐδρακὴς
ὕπνος ἄϋπνος λεύσσειν.
ἀλλ᾽ ὅτι δύνᾳ μάκιστον
κεῖνο δή μοι κεῖνο λάθρᾳ
ἐξιδοῦ ὅπᾳ πράξεις.
οἶσθα γὰρ ἂν αὐδῶμαι,
εἰ ταύταν τούτων γνώμαν ἴσχεις,
μάλα τοι ἄπορα πυκινοῖς ἐνιδεῖν πάθη.
οὖρός τοι, τέκνον, οὖρος·

والرجل مغلق العينين ولا يملك
قوة تساعده. إنه ممدد بلا حراك.
(إن النوم فى الشمس أمر جيد).
إنه لا يحرك لا قدمًا ولا يدًا، ولا يملك من أمره شيئًا
مثل رجل يرقد فى هاديس.
أتوسل إليك أن تفكر
إذا كان ما تقوله معقولاً. فبقدر ما يستوعب
عقلى، يا ولدى،
فإن أفضل الأعمال ما نقوم به دون خوف.

نيوبتوليموس

إن الرجل يحرك عينيه ويرفع رأسه،
فلا تخاطر، والزم الهدوء من فضلك.

فيلوكتيتس

ما أجمل الضوء الذى يتبع النوم. أصارحكم القول
إننى ما كنت أطمع فى أن أراكم مرة ثانية، أيها السادة.
وما كنت أتوقع قط، يا ولدى، نعم أعترف بهذا،
أن تأخذك بى شفقة وتتحلى بالصبر معى،
وأن تقف بجانبى وتساعدنى فى مصيبتى.
فإن ولدىّ أتريوس، هذين القائدين الفاضلين،
لم يفعلا ذلك، ولم يمكنهما تحملى.
ولكنك - يا ولدى - إنسان فاضل من أبوين فاضلين،
إنك - يا ولدى - لم تشتكِ
من صيحاتى المزعجة، ولم تنفر من رائحتى الكريهة.

ἀνὴρ δ᾽ ἀνόμματος οὐδ᾽ ἔχων
ἀρωγὰν ἐκτέταται νύχιος,
(ἀλεὴς ὕπνος ἐσθλός,)
οὐ χερός, οὐ ποδός, οὔ τινος ἄρχων,
ἀλλά τις ὡς Ἀΐδᾳ παρακείμενος.
ὅρα, βλέπ᾽ εἰ καίρια
φθέγγει· τὸ δ᾽ ἁλώσιμον
ἐμᾷ φροντίδι, παῖ,
πόνος ὁ μὴ φοβῶν κράτιστος.

Νεοπτόλεμος

σιγᾶν κελεύω μηδ᾽ ἀφεστάναι φρενῶν.
κινεῖ γὰρ ἀνὴρ ὄμμα κἀνάγει κάρα.

Φιλοκτήτης

ὦ φέγγος ὕπνου διάδοχον τό τ᾽ ἐλπίδων
ἄπιστον οἰκούρημα τῶνδε τῶν ξένων.
οὐ γάρ ποτ᾽, ὦ παῖ, τοῦτ᾽ ἂν ἐξηύχησ᾽ ἐγώ,
τλῆναί σ᾽ ἐλεινῶς ὧδε τἀμὰ πήματα
μεῖναι παρόντα καὶ ξυνωφελοῦντά μοι.
οὔκουν Ἀτρεῖδαι τοῦτ᾽ ἔτλησαν εὐφόρως
οὕτως ἐνεγκεῖν, ἀγαθοὶ στρατηλάται.
ἀλλ᾽ εὐγενὴς γὰρ ἡ φύσις κἀξ εὐγενῶν,
ὦ τέκνον, ἡ σή, πάντα ταῦτ᾽ ἐν εὐχερεῖ
ἔθου, βοῆς τε καὶ δυσοσμίας γέμων.

والآن – يا بنى – يبدو لى أننى أستطيع
أن أنسى مرضى لبعض الوقت وأحظى ببعض الراحة
فلترفعنى – يا بنى – حتى أقف على قدمى
حتى نتجه إلى السفينة. يا ولدى، لنبحر
حالما أسترد قواى ويزول عنى التعب.

نيوبتوليموس

كم يسعدنى أن أراك مفتوح العينين،
ولا تتألم، وهو ما لم أكن أتوقعه.
فإن كل الدلائل كانت توحى أنك ميت
مقارنة بما كنت تعانيه من آلام (قبل نومك).
والآن، فلتحاول أن ترفع نفسك. فإذا كنت لا تستطيع
فلتسمح لهؤلاء البحارة بمساعدتك، فإنهم لن يمانعوا
فى القيام بهذا، بعد أن اتفقنا على الإبحار.

فيلوكتيتس

شكرًا لهم، ولكننى أفضل – يا ولدى – أن ترفعنى أنت
فلا داعى لإزعاجهم. إن رائحتى الكريهة
سوف تضايقهم. وسوف يضطرون
إلى احتمال هذه الرائحة ونحن معًا على سطح السفينة.

نيوبتوليموس

إذن هيا، حاول الوقوف بمفردك وسوف أساعدك.

فليوكتيتس

لا تقلق، فسرعان ما سأعرف كيف أقف وحدى.

حياته فى المنفى وسط الأسر والجوع[١]، وجاءت العملية الأخيرة بقتل شقيقة ثيودسيوس[٢]، كل هذا دفع بالإمبراطور قنسطانز الثانى لاتخاذ قراره بمغادرة العاصمة بعد أن أصبحت شعبيته أمام المواطنين والجنود فى الحضيض، ولم تعد القسطنطينية مكانا آمنا لحياته[٣].

وتم تبرير مغادرة قنسطانز للعاصمة، تحت غطاء دبلوماسى، هو رغبة الإمبراطور فى زيارة الأماكن الأكثر أهمية فى ممتلكات الإمبراطورية فى الغرب[٤]، وإذا كان هروب الإمبراطور من عاصمته جاء كحل للأوضاع الداخلية المتأزمة إلا أنه حمل دلالة أخرى هامة، وهى تمسك الإمبراطورية بأملاكها فى الغرب، وأن الوحدة بين جزئى الإمبراطورية الشرقى والغربى لا زالت قائمة ومستمرة، رغم الأوضاع المتغيرة فى الغرب، وأن البيزنطيين إلى هذا الوقت لم يكونوا يفكرون بالاكتفاء بالشرق وتركيز جهودهم عليه[٥]. على أن ذلك كله لا يجعلنا نغفل أن هناك فعلا تحركات حدثت فى الغرب، استدعت تحركا من الشرق، للمحافظة على بقية الممتلكات البيزنطية فى أوروبا، فقد أعلنت صقلية عصيانها على الإمبراطورية البيزنطية، نتيجة للخلاف المذهبى[٦]، وفى إيطاليا تحرك اللمبارد[٧] Lombards بالثورة فى وجه بيزنطية واستولى على جنوة ومعظم إقليم

---

(١) الناصرى، الروم، ص ٢٣١، Camb. Med. Hist. Vol. II,P.394

(٢) المنبجى، مصدر سابق، ص ٧٠.

(٣) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.394.

(٤) Ostrogorosky, Op. Cit., P.122.

(٥) Oman, Op. Cit., P. 169.

(٦) أرشيبالد لويس، القوى البحرية، مرجع سابق، ص٩٣.

(٧) اللمبارد أو Longbeard، أى أصحاب اللحى الطويلة، لأنهم كانوا يتركون لحاهم على سجيتها ولا يحلقونها، أو أصحاب الفؤوس الطويلة، إحدى القوميات المتبربرة التى بدأت تحركاتها من شمال أوروبا منذ فترة مبكرة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية، وعندما قام الإمبراطور جستنيان فى أعقاب انتصاراته فى إيطاليا بإجلاء القوط الشرقيين منها، أصبحت إيطاليا خالية من أى قوة مدافعة عنها، وبعد ثلاث سنوات من وفاة الإمبراطور جستنيان الأول سنة ٥٦٥م، تعرضت إيطاليا لهجمة عنيفة من اللمبارد الذين استقروا بها وبدأوا يسيطرون عليها، ودخلوا النصرانية على المذهب الأريوسى. لمزيد من التفاصيل عن تحركات وحروب اللمبارد انظر: د. محمود محمد الحويرى: اللمبارديون فى التاريخ والحضارة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٦م، عدة صفحات.

ليجوريا البيزنطى فى جنوب شرق إيطاليا[١]، كذلك هاجم دوق بنفنتيوم Beneventum اللمباردى ممتلكات الإمبراطورية فى جنوب إيطاليا[٢].

فتوقيع معاهدة سلام مع المسلمين، وتردى الأوضاع الداخلية فى القسطنطينية، والمخاطر التى ألمت بالأجزاء الغربية مع الإمبراطورية تضافرت جميعها لدفع الإمبراطور قنسطانز الثانى لاتخاذ قراره بمغادرة عاصمته، والتوجه نحو الغرب.

وهناك خلاف بين المؤرخين حول حقيقة هدف الإمبراطور من ترك العاصمة والانتقال منها إلى الغرب: هل هو انتقال استراتيجى وكامل للعاصمة البيزنطية؟! وبالتالى إحداث نقلة كبيرة فى سياسة الإمبراطورية وتوجهها[٣]؟ أم هو العمل على إنشاء مركز ثان للإمبراطورية فى الغرب كما كان الحال فى القرن الرابع الميلادى، آملا فى إيقاف المد الإسلامى البحرى، والتصدى لتوسعات اللمبارد فى إيطاليا[٤]، وأن يكون هذا المركز الثانى رديفا للعاصمة القسطنطينية، ونقطة أخرى من نقاط تمركزها وحفاظها على أجزائها المستهدفة؟

على أية حال ومهما كان الهدف الذى استقر عليه تفكير الإمبراطور، فقد توالت الاستعدادات لانتقال قنسطانز وتحقيق هذه الخطوة الجريئة التى لم تتخذ من قبل.

وفى عام ٦٦٢ م / ٤٢ هـ غادر الإمبراطور قنسطانز الثانى العاصمة البيزنطية على رأس جيش كبير قوامه عشرون ألفا من قوات آسيا الصغرى وجزء كبير من الأسطول البيزنطى[٥].

---

(١) الحويرى، المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٢) أرشيبالد لويس، القوى البحرية، مرجع سابق، ص٩٤.

(٣) Vasiliev, Op. Cit., Vol. I,P.223.

(٤) حسنين ربيع، الدولة البيزنطية، مرجع سابق، ص ٨٨، رانسيمان، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٥) أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص٩٤.

وكانت مدينة تسالونيكا Thessalonica فى بلاد البلقان هى أول مدينة توقف فيها الإمبراطور، ومنها توجه إلى أثينا Athensحيث استقر بها فترة أطول ليوالى فيها استعداداته لمهاجمة اللمبارد. ثم انتقل عام ٦٦٣ م / ٤٣ هـ إلى مدينة تارنيتوم Tarentum والتى اتخذها قاعدة لشن هجماته على اللمبارد(١).

فى تلك الأثناء كان اللمبارد قد استطاعوا توحيد صفوفهم فى أعقاب الصراع الذى ساد فى مملكتهم بعد وفاة ملكهم اريبرت الأول Aripert (٦٥٣ - ٦٦٢م / ٣٣ - ٤٢ هـ) والذى أوصى قبل موته أن يخلفه على العرش ولداه جودبرت Godebret وبركتارت Perctarit، وهو أمر لم يحدث من قبل فى مملكة اللومبارديين(٢). وما لبث الصراع بعد وفاة أربيرت الأول أن نشب بين الأخوين وتطورت الأمور إلى قيام الحرب بينهما، واستغل الأمر جريمولد Grimwald دوق بنفنتيوم القوى، والذى حاول كلا الأخوين اكتسابه إلى جانبه، وانتهى الأمر بقيام جريمولد بقيادة حملة إلى بافيا Pavia التى كان يتحصن بها جودبرت، حيث تغلب عليه وقام بقتله، وانتزع العرش منه(٣). وعندما سمع الأخ الثانى بركتارت بذلك لاذ بالفرار إلى منطقة الدانوب حيث لجأ إلى الآفار. ولم يلبث جريمولد أن تزوج من أخت جودبرت ونادى بنفسه ملكا على اللمبارديين فى بافيا سنة ٦٦٢ م / ٤٢ هـ. وعهد لابنه روموالد Romuald بحكم دوقية بنفنتيوم نيابة عنه(٤).

فى ظل هذه الأوضاع العسكرية والسياسية قاد الإمبراطور جيشه لمحاربة اللمبارد فى إيطاليا. ومنذ تحركه من تارنيتوم استطاع تحقيق انتصارات سريعة حيث استسلمت له عدة مدن وحصون دون شروط، إلى أن ظهر أخيرا أمام بنفنتيوم وبدأ حصاره الطويل لها(٥).

---

(١) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.394 ; Ostrogorosky, Op. Cit., P.122

(٢) Oman, Op. Cit., P. 205 ويذكر أومان أن عادة تقسيم المملكة بين أبناء الملك المتوفى كانت من الحقائق الأساسية فى تقاليد الشعوب الجرمانية، وعلى وجه الخصوص الفرنجة ولكنها بالنسبة للومبارديين كانت أمرا غريبا لم يألفوه، وكانت هذه هى المرة الأولى.

(٣) الحويرى، اللمبارديون، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٤) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.294

(٥) Ostrogorosky, Op. Cit., P.122

وكان رموالد – دوق بنفنتيوم – قد أدرك صعوبة موقفه، وعجز قواته عن التصدى للأسطول والجيش البيزنطى، لذلك سارع بإرسال رسالة عاجلة إلى والده فى بافيا، حملها أهم شخصيات الدوقية معلم روموالد وأستاذه، سيزوالد Seswald والذى قدم تقريرا عن المخاطر التى تتعرض لها المملكة جراء هذا الهجوم البيزنطى(١).

وسارع الملك جريموالد لإنقاذ دوقيته، دون أن يعبأ بترتيب الأمور فى بافيا، حيث غادرها مسرعا على رأس جيشه لإنقاذها من الحصار البيزنطى، وأضر به ذلك حيث أخذ العديد من جنده ينفضون من حوله، بعد أن راجت الشائعات عن عدم عودته إلى بافيا مرة أخرى، ولكنه لم يكترث لذلك(٢).

وسارع جريموالد بإعادة سيزوالد إلى ابنه فى بنفنتيوم ليخبره بأنه فى الطريق لنجدته، ويحثه على الثبات فى وجه الإمبراطور وعدم الاستسلام للحصار البيزنطى، ولكن لسوء الحظ وقع المبعوث أسيرا فى يد الإمبراطور قنسطانز، وبعد التعذيب كشف عن مهمته، وطُلب منه أن يرسل إلى دوق بنفنيوم بأنه ليس فى وسع والده مساعدته ويحثه على الاستسلام، ولكن سيزوالد رفض القيام بهذا الدور، فصدرت تعليمات الإمبراطور بقتله وإلقاء رأسه من آلة منجنيق إلى داخل أسوار بنفنتيوم، حيث استقبلها روموالد بالدموع والقبلات، إلا أنه رفض الاستسلام(٣) واستمر فى صموده حتى بعد أن علم أن أخته جيسا Gaisa قد وقعت أيضا رهينة فى يد الإمبراطور(٤).

---

(١) Stephenson, medieval History Op. Cit., P.183

(٢) الحويرى، اللمبارديون، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٣) Oman, Dark Ages, Op. Cit., P. 208

(٤) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.394

والواقع أن الإمبراطور قنسطانز شعر أن الوسائل العسكرية المتاحة له لم تكن تعينه على القيام بعملية حصار طويلة الأمد، كما شعر أن متطلبات ذلك ستكلفه كثيرا من الموارد المالية، التى كانت تمثل له عبئا كبيرا وتثقل كاهل شعبه وخزانته، وكان قد بدأ يلمس نقص هذه الموارد، ووصل إلى قرار بصعوبة البقاء تحت أسوار بنفنتيوم، وزاد تحسبه من وصول جريمولد إلى بنفنتيوم بجيشه، لذلك رفع الحصار[(١)]، وعند عودته وفى محاولة لمهاجمة كابو Capua تعرض لهزيمة دفعت به إلى العودة إلى نابولى Naplesلقضاء الشتاء[(٢)].

وفى ربيع ٦٦٣ م / ٤٣ هـ أرسل الإمبراطور قائده الفارسى سابور Sapor فى غزوة سريعة، ولكن سابور استطاع أن ينجو بعد أن واجه روموالد وهزم هزيمة فادحة فى منطقة تدعى فورنيوم[(٣)] Forinum .

ويبدو أن الإمبراطور قنسطانز الثانى قد شعر أن أثر تواجده فى الجزء الغربى من الإمبراطورية لن يكتمل إلا بزيارة العاصمة القديمة روما، وأن هذه الزيارة ستعالج تلك الآثار التى تركها الخلاف الدينى بين كنيستى روما والقسطنطينية، وما نتج عنه من وفاة بابا روما مارتن الأول منفيا سجينا فى خرسون، واتهام الإمبراطور قنسطانز بأنه تسبب فى هذه النهاية المأساوية للبابا. لذلك سرعان ما غادر الإمبراطور نابولى ليصل إلى روما فى ٥ يوليو ٦٦٣ م / ٤٣ هـ، وهناك استقبل من قبل البابا فيتاليان (٦٥٧ - ٦٧٢ م / ٣٧ - ٥٢ هـ)، والذى سبق وأن جرت المصالحة بينه وبين الإمبراطور وكنيسة القسطنطينية[(٤)]. وشارك فى الاستقبال عدد كبير من رجال الكنيسة فى روما، الذين قدموا للإمبراطور فروض الولاء والطاعة، وتم الاستقبال على بعد ستة أميال من أسوار روما، حيث رافقوه إلى العاصمة القديمة التى أصبحت أطلالا[(٥)].

---

(١) Ostrogorsky, Op. Cit., P.122.

(٢) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.394.

(٣) Ibid

(٤) سبق أن ناقشنا تفاصيل ذلك عند الحديث عن الأوضاع الدينية فى عهد قنسطانز الثانى، ص (١٠٤).

(٥) Ostrogorosky, Op. Cit., P.122.

واعتبر قنسطانز أول إمبراطور بيزنطى يزور العاصمة القديمة للإمبراطورية بعد سقوط الجزء الغربى فى يد البرابرة سنة ٤٧٦ م وزوال سيطرة بيزنطية على روما وأنحاء مختلفة من الممتلكات الغربية[١].

وقد استغرقت زيارة الإمبراطور قنسطانز لروما اثنى عشر يوما، أمضاها فى المشاركة فى الاحتفالات والطقوس الدينية[٢]. ورغم الأهداف التى سعى إليها الإمبراطور من هذه الزيارة، والأجواء الطيبة التى حاول أن يبثها خلال أيامها إلا إنه حدث ما عكر أجوائها وانتقص من أهدافها، ذلك أن الإمبراطور قنسطانز لم يتورع عن نهب كثير من التحف والآثار الثمينة والزخارف البرونزية التى وجدها فى روما، وأرسلها إلى القسطنطينية[٣]. وهكذا انتزع الإمبراطور الطمأنينة من روما[٤] فى الوقت الذى لم يغفر له الإيطاليون ما فعله بالبابا مارتن، الذى اعتبروه شهيدا. ويبدو أن الإمبراطور شعر خلال هذه الزيارة بخطورة ازدياد نفوذ البابوية، وعمل على قمع هذا النفوذ، وفى محاولة لتقليم أظافر البابوية، منح رئيس أساقفه رافنا حق الاستقلال والانفصال عن كنيسة روما، وعدم الخضوع لسلطانها الروحى، وقد استمر هذا الإنفصال بين روما واسقفيه رافنا - وكانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية فى الغرب ومقر ممثليها - زهاء عشرين عاما، حتى انتهى بعودة رافنا إلى حظيرة البابوية[٥].

---

(١) تختلف المراجع فى تحديد المدة التى لم تشهد فيها روما إمبراطورا من أباطرة بيزنطة، فيقدرها أومان على سبيل المجاز بمائتى سنة (Oman, The Byzantien Empir, Op. Cit., P. 169)، بينما تقدرها موسوعة كامبردج للعصور الوسطى بأنها ١٩٠ سنة. وإذا أرجعناها لسنة سقوط روما فى يد القوط الشرقيين فإنها تكون بالتحديد (١٨٧) عاما. كما أن أومان يذكر تاريخا مختلفا للزيارة إذ يجعلها عام ٦٦٤م وهو ما تخالفه فيه معظم المراجع التى تعيدها إلى عام ٦٦٣م.

(٢) Ostrogorosky, Op. Cit., P.122.

(٣) Oman, The Byzantien Empir, P. 169.

(٤) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.394.

(٥) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٣، الحويرى، اللمبارديون، مرجع سابق، ص ١٠٨.

والواقع أن البابوية فى فترة ولاية البابا فيتاليان، وحكم قنسطانز قد شـــهدت ضعفا كبيرا وتراجعا فى نفوذها، على عكس ما كان متوقعا أن تكون عليه الحـــال نتيجة للظروف العصيبة التى كانت تمر بها الإمبراطورية أواخر عهد الإمبراطور قنسطانز. فلو كان هناك رجل قوى على رأس الكنيسة الغربية، يستطيع اســتغلال فترة الانكسارات التى مرت بها الإمبراطورية، ويستفيد من القوى المحليـــة التـــى ظهرت فى إيطاليا، لوقف من الإمبراطور قنسطانز موقفا صلبا وعنيـدا، ولربمــا أدى الأمر إلى التبكير فى ظهور النـــزاع الخطيـــر الـــذى نـــشب بـــين البابويـــة والإمبراطورية بعد ذلك بوقت قصير(١). ولكن البابا فيتاليان كان ضعيفا ويخشى أن يتعرض للمصير الذى تعرض له سلفه مارتن من قبل، فآثر الاستسلام والخــضوع الأمر الذى أجل وقوع الصدام بين روما والقسطنطينية إلى فترة لاحقة.

على أية حال استغرقت الزيارة الإمبراطورية لروما اثنى عشر يوما، وفـــى السابع عشر من يوليو ٦٦٣ م الرابع من ربيع الثانى ٤٣ هـ غادرها الإمبراطـــور متوجها إلى نابولى، وسرعان ما غادرها بحرا إلى جزيرة صقليةSicily التى كانت بحاجة إلى تقوية دفاعاتها ضد الهجمات الإسلامية التى كانت تتعرض لها. وهنـــاك اتخذ من عاصمتها سيراكوز Syracuse(٢) مركزا لدولته فى الغرب(٣). ويذكر أحـــد المؤرخين أن الإمبراطور عندما استقر به المقام فى سيراكوز فكر فى أن يتخـــذها عاصمة للإمبراطورية، وهى خطوة لو تمت لربما تغير وجه التـــاريخ الأوروبـــى بشكل أساسى(٤).

---

(١) Oman, The Dark Ages, P. 227.

(٢) وسماها المسلمون فيما بعد عندما فتحوها باسم سرقوصة.

(٣) Ostrogorosky, Op. Cit., P.122.

(٤) وسام فرج الإمبراطورية البيزنطية، مرجع سابق، ص ١٦١.

ويمكن القول أنه ليس هناك من المعطيات ما يؤكد أن الإمبراطور - باستقراره فى صقلية، وإرساله فى طلب زوجته وأبنائه من القسطنطينية إلى مقره الجديد(١) - كان يهدف إلى نقل عاصمة الإمبراطورية من القسطنطينية إلى سيراكوز، إذا أن الأمر لا يعدو أن الإمبراطور كان يشعر بحاجة هذه المناطق التى أصبحت عرضة للهجمات اللمباردية، والإسلامية إلى الدفاع عنها، ومحاولة تركيز هذا الدفاع بتواجده هناك حتى لا تصبح معبرا جديدا للهجمات الإسلامية إلى جوف الإمبراطورية من جانبها الجنوبى أو الغربى، ثم أن الإمبراطور ولو أراد فعلا أن ينتقل بالعاصمة إلى الغرب انتقالاً نهائيا، فربما كان من الأجدى والأكثر واقعية أن يختار روما، العاصمة القديمة والتاريخية للإمبراطورية.

كما أن تفكير الإمبراطور قنسطانز للانتقال إلى صقلية لم يكن عملا لا سابق له، فقد فكر فى هذا الانتقال (التكتيكى) أو المؤقت الإمبراطور هرقل، ومن قبله الإمبراطور موريس، عندما تعرضت الإمبراطورية وبالتحديد عاصمتها لأزمات أمام الفرس والآفار(٢).

كذلك فالواقع الجديد الذى أضحت عليه الإمبراطورية ابتداء من القرن السابع الميلادى، بتحولها بشكل تدريجى إلى الهللينية (أى اليونانية) لغة وثقافة، وإلى الشرق عسكريا واقتصاديا(٣). والخلاف مذهبيا مع الجزء الغربى، كل ذلك يضعف من الجزم بأن الإمبراطور قنسطانز كان يفكر فعلا فى إحداث انتقال نهائى وحاسم للعاصمة من الشرق إلى الغرب. وأن الأمر لا يعدو أن يكون بحثا عن مركز دفاع ثان للإمبراطورية أو بالأحرى تقوية الجبهة الغربية من الإمبراطورية البيزنطية، ضد هجمات أعدائها(٤)، والتى شهدت تركزا فى ذلك الوقت من الجانب الغربى والجنوبى - كما هو الحال فى الجانب الشرقى - وكذلك محاولة للتصدى

---

(١) Camb. Med. Hist. Vol. II.P.395.

(٢) الباز العرينى، الدولة البيزنطية، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٣) هسى، العالم البيزنطى، مرجع، ص ١٢٥. والجدير بالذكر أن التحول إلى الهلينة ونعنى بها التحول إلى الحضارة الهللينية أو اليونانية الإغريقية قد بدأ فى أواخر عهد الإمبراطور هرقل كما ذكرنا فى ص٧.

(٤) Vasiliev, Op. Cit., Vol. I.P.224.

لانتقاص اللمبارد للإمبراطورية ومحاولة التوسع على حسابها استغلالا للفراغ العسكرى البيزنطى هناك، ومحاولات البابوية الحثيثة للانفراد بحكم الجزء الغربى وإحكام السيطرة عليه.

لقد كان واضحا ابتداء من القرن السابع الميلادى أن الروابط بين الشرق والغرب قد أخذت تضعف ويزداد التباعد بين الجزأين.

ويرى أحد المؤرخين أن العرب وتسربهم إلى بحر الروم ونفوذهم فيه وبالذات فى المنطقة الوسطى من هذا البحر، هو السبب الرئيسى فى ضعف تلك الروابط(١)، بينما يرى آخرون أن التواجد السلافى فى البلقان هو الذى صنع هذا الحاجز بين الشرق والغرب والقضاء على العلاقات الطبيعية بين الشطرين(٢)، على أننا نرجح أن التباعد بين الشطرين كانت بذوره قد بدأت منذ فترة مبكرة وبالتحديد منذ السيطرة الفعلية للبرابرة على الجزء الغربى من الإمبراطورية ومحاولاتهم إقامة حكومات مستقلة بهم بعيدا عن حكم وسيطرة بيزنطة، وبروز الخلافات الدينية التى كانت تجذر هذا التباعد وتوسعه على أرض الواقع، وعندما أقبل القرن السابع أصبحت هذه القطيعة وذلك التباعد أمرا واقعا وملموسا فى مختلف نواحى الحياة وأهمها اللغة والثقافة، فهل يعقل والحال كذلك أن يفكر الإمبراطور البيزنطى فى الانتقال بعاصمته إلى وسط أصبح غريبا عنه، ولا يحمل له نفس الدرجة من التعلق والولاء؟!

ثم إن العاصمة البيزنطية – وهو الأهم – لم تكن تتعرض فى تلك الأثناء لأخطار محدقة، تدفع إلى البحث عن موقع آخر يقوم مقام العاصمة، فلم تكن محاصرة بأعداء، كما حدث أيام هرقل، عندما كان الفرس على الضفة الأخرى من المضيق، واقعة تحت هجمات الآفار وحصارهم، والمسلمون لم يصلوا بعد فى

---

(١) Henri Pirenne, Economic and social History of Medieval Europe, London 1961, P. 37.

(٢) على الغمراوى: مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط، جـ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٩٤.

هجماتهم على البيزنطيين إلى محاصرة العاصمة – كما سيحدث بعد فترة بسيطة – وإنما كانت العاصمة بمأمن تام، وأوضاع خارجية آمنة، فالمشكلة تعود إلى الإمبراطور قنسطانز نفسه، وعلاقاته بأركان الدولة والكنيسة وشعب بيزنطة.

ورغم كل ذلك فإن أهالى القسطنطينية والفعاليات السياسية والدينية فى المدينة، خشيت من خطوة الإمبراطور هذه، وتأثيرها المستقبلى على عاصمتهم فحاولوا عرقلة طلب الإمبراطور، ومنعوا خروج أسرته من القسطنطينية وترأس هذه المعارضة أمين الخزانة أندريو Andrew والبطريرك ثيودور Theodore[1].

ويبدو أن التوفيق قد حالف الإمبراطور قنسطانز فى اختيار سيراكوز مركزا لحكمه فى الغرب، فمنها استطاع أن يحكم سيطرته على جنوب إيطاليا ويوقف تهديدات اللمبارد، وكذلك تصدى للهجمات الإسلامية التى كانت تنطلق من مصر وجزر البحر المتوسط، كما أعاد السيطرة البيزنطية على شمال أفريقيا[2]. إذ سرعان ما عادت إلى الطاعة البيزنطية بفضل ولاء بطريقها نيقفور، على حين فر جناديوس، خليفة جريجورى[3] (الذى يسميه العرب جرجير) الذى اغتصب الحكم فى شمال أفريقيا، لاجئا إلى الغرب[4].

---

(١) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.395; Oman, Op. Cit., P. 169; Theopanes, Op. Cit., P.489.
أسد رستم، الروم، ج، ص ٢٥٧.

(٢) Ostrogorosky, Op. Cit., P.122.

(٣) المعروف أن جويجورى الذى كان قد أعلن انفصاله عن الدولة البيزنطية قُتل أمام المسلمين سنة ٢٨هـ / ٦٤٩م، وذلك أن المسلمين فى أعقاب تدعيم حكمهم فى مصر قد خرجوا فى حملة بقيادة واليها عبد الله ابن سعد بن أبى سرح، واشترك فيها جماعة من الصحابة وأبناءهم، والكثيرون منهم يسمون عبد الله من أشهرهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير ولهذا سمى هذا الجيش جيش العبادلة، وعند عاصمة ولاية إفريقيا والتى تسمى Sufeltula (سبيطلة) – وهى جنوب غرب المكان الذى سينشئ فيه المسلمون فيما بعد عاصمتهم القيروان – قتل جريجورى، وقام المسلمون بغزو العاصمة، وقرروا على السكان إتاوة كبيرة ثم انسحبوا إلى قواعدهم فى مصر، ووقف المسلمون على حالة تلك البلاد، وأنه لم يعد للدولة البيزنطية قوة كبيرة بها. انظر عن هذه الحملة وآثارها، الطبرى، ج ٤، ص ٢٥٤، ابن الحكم ١٨٥.

(٤) أرشيبالد لويس، القوى البحرية، مرجع سابق، ص٩٤.

وظل قنسطانز خمس سنوات[١]، ومنذ أن اتخذ سيراكوز مركزا له، يعمل على إعادة بسط سلطانه على الغرب. وعلى الرغم من أنه لم يحسم النزاع الديني بين الأرثوذكسية والمونوثولستية، فإنه أحرز بعض النجاح هناك، حيث ساد السلام في صقلية، وسائر الجزر التابعة لبيزنطة، لا سيما سردينيا، وتوقفت الهجمات اللمباردية، ورغم أنه لم يتم استعادة كل الأراضي البيزنطية منهم. إلا أن الإيطاليين لمسوا ما لبيزنطة من قوة بحرية وبرية[٢].

ولا شك أن موقع سيراكوز، الذي يحتل مركزا متوسطا بين الأملاك البيزنطية في إيطاليا المهددة من قبل اللمبارديين، وبين شمال أفريقيا الذي تعرض لغزوات المسلمين، ساعده على تحقيق هذا النجاح[٣].

ولكن يبدو أن هذا النجاح كانت ضريبته كبيرة على بيزنطة، وعلى ولاياتها في الغرب، إذا أن تكاليف البلاط، والاهتمام بالجيش ودخوله عددا من المواجهات قد تطلبت مبالغ كبيرة أرهقت ميزانية الدولة، وأقاليمها في الغرب[٤].

على أن الجدير بالذكر هنا أن قنسطانز الثاني، وهو منهمك في الجانب الغربي من إمبراطوريته، لم يهمل الجانب الشرقي منها، وحاول أن يكون على صلة بالأحداث، وتطورات الأمور في المعسكر المناوئ له وهم المسلمون، والاضطلاع بكل ما يمكن أن يفيده في نزاعه معهم. وشعر سنة ٦٦٦ م / ٤٦ هـ بأمن كافٍ في البر والبحر، سمح له بمعاودة النزاع مع معاوية؛ ففي ذلك العام

---

(١) يحدد الدكتور الباز العريني الفترة التي قضاها الإمبراطور قنسطانز الثاني في الغرب بعشر سنوات (الدولة البيزنطية، ص ١٤٧)، ويحدد أرشيبالد لويس (القوى البحرية، ص ٩٤) بأنها قرابة عشر سنوات. والواقع أننا لو حسبناها منذ استقرار الإمبراطور في سيراكوز إلى حين مقتله بها فسنجد أنها لا تتجاوز خمس سنوات.

(٢) أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص٩٤.

(٣) Vasiliev, Op. Cit., Vol. I,P.224.

(٤) Ostrogorosky, Op. Cit., P.123.

أرسل إلى الأراضى الداخلية فى سوريا رجالا وصلوا حتى فلسطين، وعرف هؤلاء باسم الجراجمة أو المردة Mardites[(١)].

وجاء نزولهم إلى بلاد الشام وإمدادهم عن طريق البحر[(٢)]، وبدأوا فى مشاغله الدولة الإسلامية وإثارة الاضطراب بها.

وكان معاوية بن أبى سفيان قد اصطدم بالجراجمة مبكرا، وذلك حين اتجه إلى تحصين العواصم والثغور بشمال الشام المتاخمة لأراضى الدولة البيزنطية، ووجد فيهم جماعة خارجة عن طاعة الدولة الإسلامية عرقلت تقدم مشروعاته فترة من الزمن[(٣)]. وكان استقرارهم فى جبال اللكام (Amanes) وكانوا تابعين قبل الفتح الإسلامى لبطريرك أنطاكية وواليها[(٤)]. وعندما فتح أبو عبيدة عامر بن الجراح أنطاكية سنة (١٧ هـ / ٦٣٨م) اعتصم أولئك السكان بجبال اللكام دون أن ينتبه المسلمون لخطورتهم، وأخذوا يحيون حياة مستقلة حياة شبه مستقلة فى صياصى

---

(١) سموا الجراجمة نسبة إلى عاصمتهم الجرجومة، ويسميهم العرب المردة لكثرة تمردهم وعصيانهم وقطعهم للطرق، ويطلق عليهم السوريون اسم الوقحين، والكلمة الفارسية التى سموا بها merd تعنى الرجل الشجاع. وكانوا يسكنون فى الأصل منطقة جبال اللكام فى إقليم الثغور الشامية. وكانوا كثيرى التواطؤ مع الروم ضد المسلمين. وجندتهم بيزنطة وأطلقت عليهم حائط آسيا الصغرى النحاسى. ودخلوا فيما بعد فى عهد عبد الملك بن مروان فى بنود الاتفاقية التى أجراها مع الإمبراطور البيزنطى جستنيان الثانى، وسنتعرض لهذه الاتفاقية فى حينه. والمعروف أن الباقيين منهم تجمعوا فى جبل لبنان وهم أحد جذور المجتمع المارونى فى لبنان. انظر: عبد العزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبى، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٨٠م، ص ١٢٦، Vasiliev, Op. Cit., P.140، Bary, Op. Cit., Vol. II,P.317

(٢) أرشيبالد لويس، مرجع سابق، ص٩٥.

(٣) العدوى، الأمويون والبيزنطيون، مرجع سابق، ص ١١٦. والعواصم جمع عاصم وهو المانع، والعواصم حصون موانع، و كان المسلمون يعتصمون بها من العدو، إذ انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر. وهى تعصم الثغور وتمدها فى أوقات النفير (ليلى عبد المجيد، الثغور البرية الإسلامية، ص٨)

(٤) البلاذرى، مصدر سابق، ص ١٦٣.

الجبال ولهم مدينة أشبه بالحاضرة وتسمى "الجرجومة"[١]. واشتهر هؤلاء بأنهم كانوا عصاة لكل سلطة حاكمة فى بلاد الشام، حتى منذ أيام دولة الرومان، وبأنهم أعداء شديدو البأس[٢].

وفى الفتح الثانى لأنطاكية الذى قاده حبيب بن مسلمة الفهرى، آثر الجراجمة الهدوء مؤقتا، وتجنبوا الصدام مع حبيب الفهرى، وصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح فى جبل اللكام وأن يؤخذوا بالجزية[٣]، وبذلك أعفوا من الجزية واحتفظوا باستقلالهم الذاتى.

واستطاعت الدولة البيزنطية أن تجتذبهم إليها، بإغداق المنح المالية عليهم ووجهتهم لعرقلة جهود المسلمين، وغدوا وكلاءها فى الأراضى الإسلامية.

ويبدو أن البيزنطيين شعروا بالتحرك الذى قام به معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م؛ حين قام بنقل أعداد كبيرة من الفرس من ديارهم وأقامهم فى مدن سوريا وفلسطين الساحلية مثل صيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وعكا، وبعض المدن الأخرى[٤]، لتعمير المدن الساحلية، وإحكام السيطرة عليها. فقاموا بتحريك أعوانهم المردة وبثهم فى مدن سوريا لمشاغلة الدولة الإسلامية فى عقر دارها، بعد أن كانوا يشاغلونها على الحدود.

ويبدو أن هذا الإجراء البيزنطى، قد أزعج الدولة الإسلامية كثيرا واستغرق جهدا كبيرا من نشاطها للتعامل معه ولم تستطع التصدى له أو وقفه، إلا عن طريق الاتفاق السياسى، حين وقع الخليفة عبد الملك بن مروان اتفاقية مع الإمبراطور البيزنطى جستنيان الثانى، كان من بين بنودها مغادرة المردة لمواقعهم الجديدة فى بلاد الشام، وسنتعرض لهذه الاتفاقية فى حينه.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦. أسد رستم، كنيسة أنطاكية، مرجع سابق، ج ٢، ص٣٢.
(٢) فيليب حتى، تاريخ الشرق الأدنى، مرجع سابق، ص ١٤٩.
(٣) البلاذرى، مصدر سابق، ص ١٦٦.
(٤) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٣، ص ٧٢.

اغتيال الإمبراطور في سيراكوز بصقلية:

وعودة إلى الإمبراطور قنسطانز الثانى، نجد أن مشروعاته وتحركاته قد أوجدت له أعداء فى القسطنطينية وخارجها، وفى ابتعاد كثير من المواطنين عن تأييده وكان بقاؤه فى سيراكوز بعيدًا عن عاصمته الرئيسية سببا فى تدنى شعبيته. ففى ١٥ سبتمبر من عام ٦٦٨ م / ٢ شعبان ٤٨ هـ[1]، دبرت مؤامرة لاغتيال الإمبراطور شارك فيها كثير من العائلات البيزنطية والأرمينية النبيلة، ونفذها واحد من أولئك الوصفاء الذين كانوا يحيطون بالإمبراطور، وهو ابن أندريو أحد وجهاء القسطنطينية إذ قام بوضع كمية كبيرة من الصابون على وجه الإمبراطور وهو يغتسل بقصد أن يعميه أو يحجب عنه الرؤية، ثم قتله بضربه بإبريق فضى على رأسه[2].

---

(١) يذكر استروجوسكى أن ذلك تم يوم ١٥ سبتمبر (Ostrogorosky, Op. Cit., P.123) بينما تذكر موسوعة كمبردج أن ذلك تم يوم ١٥ يوليو (Camb. Med. Hist. Vol. II,P.395). ويذكر الدكتور العدوى أن ذلك تم يوم ١٢ يوليو عام ٦٦٨م. (العدوى، قوات البحرية العربية، ص ٨٠).

(٢) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.395. ويذكر أومان (Oman, Op. Cit., P. 169) أن قاتله كان اسمه دافن أندرياس Daphne, Andreas، وأنه ضربه بصندوق الصابون ثم فر هاربا، وكانت الضربة مميتة. ولا يذكر الدكتور أسد رستم الاسم ولكنه يذكر أنه كان خادم حمامه وأنه ضربه بصندوق من الصابون (أسد رستم، الروم، ج ٢، ص ٢٥٧). ويذكر المنبجى (مصدر سابق، ص ٧٠) "أن قنسطانز (ويسميه قسطوس) دخل الحمام، وأخذ بعض خدمه سطلا فضرب خطيمًا مع صابون، وجعله على رأسه. فلما امتلأت (عيناه) غشاء من الخطمى والصابون لم يقدر على فتحهما. فتناول الخادم السطل فضرب رأسه فقتله، وبادر وخرج من الحمام هاربا ولم يدر به أحد، ولبث الخدم ينتظرون خروج الملك، فلما طال جلوسهم وجاز الوقت ولم يخرج دخلوا الحمام فوجدوه مغشيا عليه، فأخرجوه وعاش يومين ومات بعد أن ملك تسعا وعشرين سنة، ثم اجتمع الروم فملكوا عليهم بربريا جنسه من أرمينيا، وكان حكيما ذا نجدة وبأس".

ونادى الجنود بأحد ضباط الأمن ويدعى ميزيزيوس Mezezius[١] إمبراطورا، والذى لم يكن يتمتع بأى مواصفات سوى وسامته وأناقته، ولم يكن راغبا فى هذا المنصب الرفيع[٢]، ورغم ذلك فإن وصوله إلى العرش لم يكن مرحبا به فى أى مكان آخر من الإمبراطورية.

واندلعت الفوضى فى الإمبراطورية البيزنطية، حيث أصبح هناك إمبراطوران: مغتصب للعرش فى صقلية، وابن الإمبراطور قنسطانز، (قنسطنطين) الذى كان فى القسطنطينية وكان يطالب بالعرش، وبالانتقام من قتلة والده الإمبراطور.

وتختلف المصادر هنا فى التصرف الذى تم لمواجهة الموقف، فبعضهم يذكر أن قنسطنطين – ابن قنسطانز – جرد حملة من القسطنطينية استطاعت الوصول إلى صقلية وقتل هذا المغتصب وأعوانه واسترداد الحكم[٣]. بينما يذكر آخرون أن جنود إيطاليا وبالذات أرخون رافنا، وسردينيا وأفريقيا، قد اتحدوا لإسقاط هذا المغتصب، حيث انهارت ثورته فى فبراير ٦٦٩ م / محرم ٤٩ هـ. وواجه القاتل أندريو، وميزيزيوس نفسه، والمشايعين الرئيسيين لهما الموت، ومن بينهم البطريق جستنيان الذى جدع أنفه[٤]. كما تم نقل جثمان الإمبراطور قنسطانز الثانى من صقلية إلى القسطنطينية حيث دفن فى كنيسة أيا صوفيا[٥].

وكان اللمبارديون أكثر المستفيدين من فترة الفوضى التى دخلتها الإمبراطورية فى أعقاب اغتيال الإمبراطور قنسطانز الثانى. فقد استغل ملك اللومبارد "روموالد" ذلك وخرج على رأس قواته للقضاء على القوات التى خلفها

---

(١) هكذا أورد الاسم استروجورسكى، وتورده موسوعة كمبردج بصيغة أخرى هى: Mzhezh، وتورده الدكتورة عائشة أبو الجدايل بصورة أخرى هى: Nizizios نيزيزيوس.

(٢) Bury, Op. Cit.. Vol. II,P.302

(٣) Theopanes. Op. Cit., P.491 ، وأيضا المنبجى، مصدر سابق، ص ٧١.

(٤) Camb. Med. Hist. Vol. II,P.395،Ostrogorosky, Op. Cit.. P.123

(٥) Ibid

قنسطانز وراءه، فعجزت عن الصمود وولت هاربة، مما مكنه من النجاح في الاستيلاء على مدن: تارنت وبرنديزي وكالابريا البيزنطية(١). وكانت هذه المدن تشكل أهم ممتلكات الإمبراطورية في إيطاليا.

كما أتاحت له هذه الأوضاع أن يعود إلى عاصمته «بافيا» التي غادرها لمواجهة هجوم قنسطانز على بنفنتيوم، وقام بالانتقام من أولئك الأمراء والأدواق الذين تخلوا عنه أو انقلبوا عليه أثناء صراعه مع الإمبراطور البيزنطي، كما كافأ أولئك الذين ساندوه، ووقفوا معه في هذا الصراع، ومن هؤلاء "ترانساموند" دوق كابو، حيث زوجه من ابنته وأسند إليه دوقية سبوليتو(٢).

والواقع أن هذه التحركات اللمباردية في هذه الفترة، هي التي مكنت اللمبارديين من التوسع والسيطرة ليصبحوا إحدى القوى الثلاث المسيطرة على إيطاليا، حيث كانت القوتان الأخريان: الإمبراطورية البيزنطية والبابوية.

ولا شك أن مؤامرة اغتيال الإمبراطور قنسطانز في صقلية قد رسمت وأعدت أدوارها في القسطنطينية، حيث كان العداء يتزايد تجاه الإمبراطور، فابتداء من الأزمة الداخلية التي ترك فيها القسطنطينية، حيث قتل أخاه وأعاد ترتيب أمور وراثته على العرش، إلى توجهاته الدينية ومعارضة الكثيرين لها، إلى هزائمه المتتالية أمام المسلمين وتصرفه المشين في مواجهة بابا روما، إلى خروجه عن سيطرة رجال السناتو، وهم الذين لعبوا الدور الأهم في وصوله وانفراده بالعرش، ثم ما لبث أن تنكر لهم، وحد من نفوذهم وسيطرتهم، ثم جاءت الطامة الكبرى حين أشيع أنه يفكر في نقل العاصمة إلى الغرب واستشعار وجهاء وأعيان القسطنطينية لخطورة ذلك، وزيادة نفقات بلاطه في سيراكوز، والمبالغ الكبيرة التي تكبدتها الخزينة الإمبراطورية نتيجة ذلك، ثم ما أخذ يتردد في العاصمة عن سوء سلوك الإمبراطور في الغرب.. كل ذلك أدى إلى النفور منه، وجعل عددا من العائلات الكبيرة البيزنطية والأرمينية تتضافر فيما بينها لتدبير وتنفيذ عملية اغتياله.

---

(١) Oman, Dark Ages. P. 274.

(٢) الحويري، اللمباريون، المرجع السابق، ص ١٠٩

كذلك فإن سرعة مناداة الجنود البيزنطيين وبالذات الأرمن الذين كانوا يرافقون الإمبراطور فى صقلية، بواحد منهم، لم يكن راغبا فى العرش، دون انتظار للتعليمات من القسطنطينية، أو إقامة أى وزن للورثة الشرعيين للإمبراطور الذين كانوا يحكمون باسمه فى العاصمة، تؤكد أنه حتى الجنود الذين كانوا يرافقون الإمبراطور كانوا ساخطين عليه وعلى استمرار الحكم فى أسرته للقسوة التى تعرضوا لها أثناء المعارك فى الغرب[1]، لذلك عادوا إلى العادة القديمة بالمناداة بأحدهم ليكون إمبراطورا.

وكاد العرش البيزنطى أن يخرج من أحفاد هرقل، لولا ذلك التصرف السريع الذى قاده أرخون رافنا الذى كان مواليا للإمبراطور قنسطانز، والذى تمتع بنفوذ كبير ومكاسب كبيرة أثناء فترة حكم قنسطانز، وجاء الوقت ليرد دينه للإمبراطور ولورثته من بعده، فعمل على توحيد القوات الأخرى فى سردينيا وأفريقيا، واستطاع أن يجهض المحاولة الانقلابية التى استمرت عدة أشهر قبل أن يتمكن من القبض على المتآمرين والإمبراطور الدعىّ وأعوانه.

وهكذا كما تسلم قنسطانز الثانى الإمبراطورية وهى على فوهة بركان وصراعات مع عمه هرقليوناس وأمه مارتينا، ولم يصفو له الحكم إلا بعد أن تم له الخلاص منهما، كذلك سلم الإمبراطورية إلى وريثه قسطنطين الرابع، وهى واقعة تحت سيطرة إمبراطور مغتصب فى الجزء الغربى من الإمبراطورية، وأعداء جدد يتهددونها ويتربصون بها.

لقد ورث الإمبراطور الجديد عن أبيه صراعه مع المسلمين الذى سيتزايد وتزيد مخاطره، كما ورث منه الصراع مع البابوية الذى سيتفاقم وتتفاقم حدته، وليشهد أطوارا جديدة.

وستتعرض الإمبراطورية فى عهدها الجديد لخطر جديد وداهم، هو خطر البلغار الذين سيقيمون دولة لهم ستكون شوكة فى خاصرة الإمبراطورية البيزنطية لقرون عديدة.

وهذا ما سيركز عليه الفصل التالى من هذه الدراسة.

---

(١) العدوى، قوات البحرية العربية، مرجع سابق، ص ٨٠.

الفصل الرابع

الإمبراطورية البيزنطية تحت حكم

قنسطنطين الرابع (الملتحى)

(٦٦٨ – ٦٨٥ م / ٤٨ – ٦٥ هـ)

- إخماد الثورات التى نشبت بعد مقتل والده.
- الصراع مع المسلمين وحصار القسطنطينية، وأسباب فشله.
- الصراع البيزنطى / البلغارى.
- الإصلاحات الداخلية والدينية.
- مشكلة ولاية العهد، ونهاية حكم قنسطنطين الرابع.

إخماد الثورة التي نشبت بعد مقتل والده:

استطاع قنسطنطين الرابع، رغم صغر سنه، والذى لم يكن يتجاوز السادسة عشر من عمره[1] أن يستعيد العرش من ثوار صقلية وأن ينفرد به، بعد أن جرد حملة عسكرية[2] أبحرت من القسطنطينية إلى صقلية استطاعت إلقاء القبض على الثائرين والمؤيدين لهم وإجهاض حركتهم. لقد استطاعت هذه الحملة التى قادها قنسطنطين، ابن الملك القتيل، وولى عهده، أن تتكاتف مع الجهود المحلية والتى قادها أرخون راقنا للتصدى للثوار - كما سبق وأوضحنا - حيث تمكنت من إلقاء القبض على قاتل الإمبراطور قنساطنز الثانى، والإمبراطور المغتصب والحفاظ على العرش للوريث الشرعي، والذى سيعرف بقنسطنطين الرابع، كما سيعرف بصفة أخرى هى الملتحى (Pogonotus)، وذلك أنه عند عودته إلى القسطنطينية من صقلية لاحظ الناس أنه كان مرخيًا لحيته، والتى لم يحلقها منذ أن خرج من اللقسطنطينية مطالبًا بعرشه، فسماه الناس بالإمبراطور الملتحى[3]

(١) استطعنا أن نصل إلى هذا التحديد الزمنى لسن الإمبراطور عند استلامه للعرش من مقارنة تاريخ وفاته والتى كانت سنة ٦٨٥م وبداية توليه الحكم سنة ٦٦٨م ، والفترة التى قضاها فى الحكم وكانت ١٧ عامًا، وعمره عند وفاته والذى بلغ ٣٣ عامًا، فبذلك يكون عمره عند اعتلائه العرش ستة عشر عامًا.

(٢) سبق أن وضحنا أن هناك خلافًا بين المؤرخين حول حقيقة استعادة الإمبراطور قنسطنطين للعرش، وهل كان نتيجة حملة عسكرية جردها قنسطنطين أم نتيجة لقيام أرخون راقنا متضامنًا مع جنود أفريقيا وسردينيا، وأشرنا إلى هذا الجهد، كما أشرنا إلى حملة الإمبراطور. والواقع. أن خروج الإمبراطور قنسطنطين من القسطنطينية على رأس حملة عسكرية، وعودته إلى عاصمته بعد عدة شهور مرخيًا لحيته حتى أنه سمى بالإمبراطور الملتحى تؤكد على قيام الحملة العسكرية، ولا يعنى ذلك استبعاد التنسيق بين الإمبراطور وبين أرخون راقنا لإجهاض المؤامرة. انظر. Ostrogorosky, Op. Cit., 123; Bury, Op. Cit., Vol. II, P. 123 والمنجى، مصدر سابق، ص ٧١.

(٣) أسد رستم، الروم، ج ١، ص ٢٥٨. رانسيمان، الحضارة البيزنطية ص ٤٠.

والواقع أن قنسطنطيين الرابع كان قد تمرن مبكرًا على إدارة أمور الحكـم، منذ أن أعلن والده قنسطانز الثانى اختياره إمبراطورًا مساعدًا ووليًا للعهد عام ٦٥٤م/٣٩هـ[١]، أخذ يشارك فى الإدارة، وتأكدت هذه المشاركة حين غادر الإمبراطور قنسطانز الثانى سنة ٦٦٢م / ٤٢هـ، وترك لابنه الأكبر قنسطنطين أمر إدارة الدولة فى العاصمة البيزنطية[٢]. وأتاحت هذه الفترة الطويلة لقنسطنطين الرابع أن يلم بأمور البلاط، وشؤون الدولة. ثم جاءت مبادرته السريعة للتعامل مع الثائرين فى صقلية الذين حاولوا انتزاع العرش وإعلان إمبراطور جديد من هناك، ومسارعته لإعداد حملة عسكرية رغم الأوضاع المتردية فى الشرق الأوسط، دليلاً على شجاعته وسرعة تعامله مع الأحداث، ولم تكن ثورة صقلية هى الثورة الوحيدة التى تصدى لها قنسطنطين الرابع، بل سبقها عصيان أو تمرد عسكرى قادة سابوريوس Saborios قائد أرمينيا العسكرى، والذى استعان بالمسلمين لدعمه[٣]، ففى سنة ٦٦٨م / ٤٨ هـ اشتعلت ثورة سابوريوس، قائد أرمينيا لتضيف مزيد من الأخطار على الإمبراطورية البيزنطية، وأرسل سابوريوس سرجيوس Sergiuo أحد الخاضعين له إلى معاوية بن أبى سفيان خليفة المسلمين فى دمشق، يطلب دعم الخلافة لعصيانه وتمرده[٤]، وعندما سمع قنسطنطين – الذى لم يكن وقد انفرد بالعرش – بذلك أرسل أندريو Andrew حاملاً الهدايا إلى خليفة المسلمين، وملتمسًا منه دعم هذا العصيان، والتقى المبعوثان – البيزنطيان – فى بلاط الخلفية بدمشق، وقرر الخليفة، انطلاقًا من مصلحته، الاستجابة لسرجيوس – مندوب سابريوس – الذى حقر أندريو بأن دعاه خصيًا، وليس رجلاً[٥] وعاد أندريو يجر أذيال الهزيمة إلى الإمبراطور.

---

(١) Ostrogorosky, Op. Cit., Vol. II, p.121; Gibbon p. 783.

(٢) Vasiliev, op. Cit., Vol.I, p. 223، أسد رستم، مرجع سابق، جـ١، ص ٢٥٨.

(٣) Theophanes, op. Cit., P. 488، أسد رستم، الروم، جـ ١، ص ٢٦١، كنيسة أنطاكية، جـ ٢، ص ٤٥.

(٤) Camb. Med. Hist. Vol. II, P. 396

(٥) Theophanes, op. Cit., P. 489

وكان قنسطنطين قد أعطى تعليمات إلى رجاله بإلقاء القبض على سرجيوس فى طريق عودته إلى أمنيسيا Amnesia والتى كانت تقع فى طريق يسيطر عليه رجال قنسطنطين، حيث تم إلقاء على سرجيوس، وأحضر كسجين وانتقم منه أندريو بأنه جذع أنفه، وأخيرًا تم شنقه(١)

أما سابريوس فقد تقدم إلى هادريانوبوليس Hudrianopolis فى إقليم بيثينيا – أحد أقاليم آسيا الصغرى – وأرسل معاوية بن أبى سفيان قائده فضالة بن عبيد الأنصارى لمساندته(٢)، ولدراسة خطوط الدفاع البيزنطية، وقام قنسطنطين بإرسال قائده نيقفوريوس nicephorus للتصدى له. ولكن حدث أن سابريوس عندما كان يعتلى فرسه عند أحد الأسوار، أن جمح به وارتطم رأسه بإحدى البوابات مما تسبب فى موته(٣). وعاد رجاله إلى ولائهم للإمبراطورية البيزنطية(٤).

أما فضالة والذى كان قد وصل إلى هكسابوليس Hexapolis فقد اضطر إلى طلب المدد من الخليفة، الذى أرسل إليه مددًا تحت قيادة يزيد بن معاوية فى حين تحرك أسطول بحرى بقيادة فضالة لدعم هذا الجيش(٥).

واستطاع فضالة أن يكتسح المعاقل البيزنطية التى اعترضت طريقه حتى وصل إلى مدينة خليقدونية Chalecdon، وكانت ضاحية من ضواحى القسطنطينية على الشاطئ الآسيوى، ومعقلاً لفيلق من الجيش البيزنطى مكون من الحرس الإمبراطورى الخاص، فأقام فيها فصل الشتاء الذى حل عليه بها(٦).

---

(١) Camb. Med. Hist. Vol. II, P. 347

(٢) الطبرى، مصدر سابق، جـ ٦، ص ١٣٠.

(٣) Theophanes. Op. Cit., P. 490

(٤) Camb. Med. Hist. Vol. II. P. 497

(٥) ابن الأثير، الكامل، جـ ٣، ص ٢٢٧.

(٦) العدوى، الأمويون والبيزنطيون، مرجع سابق، ص ١٦٣.

وخلال هذه الظروف المحيطة أعلن قنسطنطين الرابع إمبراطورًا على الدولة البيزنطية، بعد أن استطاع المحافظة على العرش، والقضاء على المتمردين والطامحين.

ويرى أحد المؤرخين أن صغر سن الإمبراطور، وقلة تجاربه، والفوضى التى سادت الإمبراطورية عند توليه العرش، سواء فى الغرب أو فى الشرق، هى التى شجعت المسلمين على استئناف قتالهم للبيزنطيين، والزحف على الولايات الشرقية للإمبراطورية(١). ولكن رغم ذلك فإننا نجد أن الإمبراطور قنسطنطين الرابع تمكن من إخماد هذه الثورات، وبدأ يسرع فى إعداد العدة للتصدى للمسلمين، دفاعًا عن عاصمته التى ولى عرشها، وسفن المسلمين تهدد بالوصول إليها.

---

(١) محمد محمد مرسى الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، مرجع سابق، ص ٩٨.

الصراع مع المسلمين، وحصار القسطنطينية وأسباب فشله:

يستدعى الأمر أن نلقى نظرة سريعة على الأوضاع فى الدولة الإسلامية، فقد أسفر الصراع الذى نشب فى أعقاب وفاة الخليفة عثمان بن عفان، وتولى بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافة إلى تراجع المسلمين فى صراعهم مع البيزنطيين واضطرار معاوية – الذى أعلن تمرده ومطالبته بالعرش – إلى طلب الصلح مع الإمبراطور قنسطانز الثانى – كما مر بنا – وخلال فترة تتجاوز العشر سنوات، سادت الدولة الإسلامية صراعات سياسية وعسكرية، تمخضت فى النهاية عن الدولة الأموية وعلى رأسها معاوية بن أبى سفيان سنة ٤١هـ / ٦٦٢م خليفة للمسلمين، وأصبحت دمشق القريبة من منطقة الصراع مع البيزنطيين عاصمة للدولة الجديدة.وكان ذلك مؤشرًا إلى استتباب الأوضاع فى الدولة الإسلامية، وإيذانًا باستئناف الصراع مع الدولة البيزنطية.

والواقع أن المسلمين استغلوا انشغال الإمبراطور البيزنطى الثانى فى الغرب فى معالجة أوضاعهم وترتيب البيت الأموى، وعندما تم ذلك بدأ معاوية بن أبى سفيان يعمل على تصفية الموقف المعلق بين دولته والإمبراطورية البيزنطية، فمنذ موقعة ذات الصوارى واستقرار أقدم المسلمين فى الشام ومصر دخل النزاع بين الطرفين مرحلة جديدة، فقد تخلت الإمبراطورية بعد هزيمتها فى ذات الصوارى عن محاولتها القديمة فى استعادة مصر والشام، وأصبح الموقف الجديد يحتم عليها تعديل سياستها بما يتلائم مع ظهور المسلمين كقوة عظمى على شواطئ بحر الروم الشرقية، ومن ثم كانت مسألة السيادة على البحر المتوسط هى شغل معاوية الشاغل، وحجر الزاوية فى سياسته إزاء القسطنطينية، والتى بدورها جهدت على منع المسلمين من التوسع البحرى(١).

---

(١) العدوى، الأمويون والبيزنطيون، مرجع سابق، ص ١٦٢.

وقد تبلورت سياسة معاوية بن أبى سفيان البحرية منذ فترة مبكرة، فعندما كان واليًا على الشام، انهمك فى وضع خطة للهجوم على الأراضى البيزنطية القريبة،فقد استولى المسلمون على قبرص ورودوس وكوس، وعندما أصبح خليفة أكمل من النقطة التى وصل إليها بالاستيلاء على جزيرة خيوس، ليحكم إحاطته بالعاصمة البيزنطية(١).

وبدأ معاوية يستغل الظروف السياسية التى أضحت عليها الإمبراطورية البيزنطية فى أعقاب انتقال قنسطانز الثانى إلى الغرب، ومقتله هناك، فى تحقيق طموحاته ومشروعاته التى عمل جاهدًا على تحقيقها، ووفر لها جميع سبل النجاح،والتى كان منها الاهتمام بقيام صناعة السفن، وبناء أسطول إسلامى، وتحقيق التكامل والتنسيق بين أسطول الشام ومصر، وكذلك التنسيق بين الجيوش البرية والأساطيل البحرية(٢).

وبدأ معاوية بن أبى سفيان جولته الجديدة من الصراع مع البيزنطيين بعدة حملات استطلاع، كان أولها حملة فضالة بن عبيد الأنصارى(٣)، والتى وصلت إلى مدينة خلقيدونية واستولت عليها، حيث عسكر بها المسلمون واستطاعوا أن يتعرفوا عن كثب على تحصينات العاصمة البيزنطية.

وكانت الحملة الثانية بقيادة ابنه يزيد بن معاوية(٤) والتى تم إعدادها إعدادًا يفوق ما سبقها من حملات، بحيث وفرت لها إمكانيات أكبر من الرجال والعتاد، بل

---

(١) Ostrogorosky, Op. Cit., P. 123.

(٢) نجدت خماش، بلاد الشام فى صدر الإسلام، مرجع سابق ص ٢٠٦.

(٣) ابن الجوزى، المنتظم ، مصدر سابق ج ٥، ص ٢٤١.

(٤) هناك من المؤرخين من يرى أن إرسال معاوية لابنه يزيد على رأس هذه الحملة لإعطاء ابنه الفرصة لكى يعلى مركزه واسمه فى ميدان الجهاد ضد البيزنطيين، وليرد على الأشخاص الذين أبدوا انتقادهم وامتعاضهم من المحاولات التى بذلها معاوية لأخذ البيعة لابنه بالخلافة من بعده، إذ صورته الدعاية المعارضة بأنه أميل للمجون والخلاعة وعدم أهليته لتصريف شؤون المسلمين، وشعر معاوية أن ميدان الصراع مع البيزنطيون هو أفضل فرصة لابنه ليثبت عكس ذلك، ويحسن صورته لدى المعارضين. انظر: الطبرى ج ٥، ص ٣٠٢. ويذكر ابن الأثير رواية أخرى لمشاركة يزيد بن معاوية فى الحرب، فيقول: إن معاوية أمر ابنه يزيد بالمشاركة فى الغزو فتثاقل واعتل فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس فى غزوتهم جوع ومرض شديد فأنشد يزيد يقول: =

وصحبها عدد من كبار الصحابة ومنهم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب النصارى[١].

وكان الهدف من مشاركة هؤلاء الصحابة إكساب الحملة طابع الجهاد المقدس، وتقوية روح الجند وبث الثقة والتفاؤل الطيب فى نفوسهم[٢].

وانضم يزيد إلى قوات فضالة ومن هناك انطلقوا إلى الشاطئ الأوروبى حيث قابلتهم القسطنطينية بأسوارها العالية والحصينة[٣].

ويذكر المؤرخون أنه أضاف إلى الحصانة الطبيعية التى تمتعت بها القسطنطينية لإحاطتها بالمياه من ثلاث جهات فإن أباطرة الدولة البيزنطية قد بالغوا فى تشييد الأسوار الضخمة حولها[٤]، وكان السور الذى يحيط بالقسطنطينية عبارة عن ثلاثة أسوار وخندق. السور الداخلى منه حوالى ثمانية عشر مترًا فوق سطح الأرض وعليه مجموعة من الأبراج الضخمة منها المربع والمثمن أو بشكل آخر، يصل ارتفاعها إلى حوالى ثلاثين مترًا، وكانت المسافة بين كل برج وآخر تصل إلى أربعة وخمسين مترًا، أما السور الثانى فكان يبعد عن السور الأول الداخلى بمسافة ثمانية عشر مترًا، وهو أقل ارتفاعًا من السور الداخلى، ارتفاعه حوالى عشرة أمتار، وكانت عليه مجموعة من الأبراج ذات الأشكال المختلفة، وكانت

= ما أنا أبالى بما لاقت جموعهم   بالفرقدونة من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقًا   بدير مران عندى أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته، فبلغ معاوية شعره فأقسم ليلحق بالمسلمين فى أرض الروم ليصيبه ما أصابهم، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه. وتذهب هذه الرواية إلى أن مشاركة يزيد جاءت بإجبار من والده والتى كان يهدف منها أهداف سياسية بعيدة المدى. أنظر: ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، جـ ٣، ص ٢٢٧.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٨ ص ٣٢.

(٢) العدوى، الأمويون والبيزنطيون، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، جـ ٣، ص ٢٢٨.

(٤) Michael whiby, The long walls of constantionople, Byazantion, Tome IV, Bruxells, 1985, P. 561.

المسافة بين كل برج وآخر حوالى أربعة وخمسين مترًا، والسور الثالث أو الخارجى يبعد عن السور الثانى أو الوسط بحوالى اثنا عشر مترًا، وفى النهاية يوجد الخندق الذى تبعد نهايته عن السور الثالث بحوالى عشرين مترًا، ويمكن أن يملأ هذا الخندق بالمياه عند الضرورة(١).

وفوجئ المسلمون بهذا التحصين الكبير الذى يحيط بالقسطنطينية ولكن ذلك لم يفت من عضدهم، فأخذوا فى محاصرة العاصمة البيزنطية بصبر وجلد، وأخذوا فى التضييق على سكانها، ومناوشة الجند وتبادل القتال معهم، وسقط عدد كبير من الشهداء المسلمين، كان فى مقدمتهم أبو أيوب الأنصارى، ودفن بالقرب من أسوارها(٢)

وبعد سنة من الحصار، رفع المسلمون حصارهم عن القسطنطينية سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م(٣)، بعد أن حققوا عدة نتائج كان أهمها: التعامل عن قرب مع تحصينات القسطنطينية، وتقدير القوات والمعدات اللازمة لاختراق هذه التحصينات. وعاد الجيش الإسلامى إلى دمشق انتظارًا لجولة جديدة يكون المسلمون فيها أكثر استعدادًا فى الرجال والعتاد والخطط الحربية.

---

(١) د. محمود سعيد عمران، تحصينات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات الخارجية، الحضارة الإسلامية وعالم البحار، (بحوث ودراسات) اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م، ص ٣١١

(٢) بن كثير، جـ ١، ص ٣٢. زهو يذكر رواية أخرى تحمل تاريخًا آخر لوفاة أبى أيوب الأنصارى، حيث يذكر أنه قيل أن أبا أيوب لم يمت فى هذه الغزوة بل بعدها سنة إحدى أو أثنتين أو ثلاث وخمسين، وينفرد ابن كثير بهذه الرواية، إلا أن هناك إجماعًا أن وفاته كانت فى حملة يزيد بن معاوية، وهو مدفون عند أسوار القسطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد، معظم لدى المسلمين والبيزنطيين، وكان دفنه هناك بناء على وصيته حيث أوصى: "إذا مت فأدخلونى فى أرض العدو، فادفنونى تحت أقدامهم حيث تلقون العدو". ابن كثير،البداية والنهاية، جـ ٨ ص ٥٩.

(٣) فتحى عثمان، الحدود، جـ ١، ص ٣٦٠ وهو بعد الحصار الأول للقسطنطينية، وهو يعدد ثلاثة حصارات قام بها المسلمون للعاصمة البيزنطية.

لقد كان لعامل نقص الأغذية، والبرودة الشديدة، أثرها المباشر في جعل المسلمين يرفعون حصارهم عن القسطنطينية ويعودون أدراجهم إلى دمشق. وفي طريق عودتهم استولوا على عمورية Amorium، والتي كانت موقع عسكري هام ولم يتمكن المسلمون من الدفاع عنها، فما لبث البيزنطيون أن قاموا باستعادتها، حيث استغلوا الظلام والجليد الكثيف في مباغتة المسلمين وأحدثوا فيها مقتلة كبيرة دفعت المسلمين إلى مغادرتها(١).

وكما كان لهذه الحملة، وحصار المسلمين للقسطنطينية نتائج هامة بالنسبة للجانب الإسلامي فكذلك كان لها نتائج أخرى على البيزنطيين. فقد انتابهم الخوف والقلق، وجعلهم يعيدون حساباتهم لمواجهة المسلمين، الذين اقتربوا هذه المرة من قلب الإمبراطورية وعاصمتها. وبدأوا يرسمون سياسة للتصدى للمسلمين، والتركيز على مزيد من التحصينات للعاصمة البيزنطية، ومحاولة عرقلة أى جهد إسلامى قبل أن يصل إلى أسوارها(٢).

وقام البيزنطيون بتطوير نظام الثيمات الذى وضعه الإمبراطور هرقل عند بداية وصوله إلى الحكم فى بيزنطة، وكان هذا النظام النواة لجيش وطنى يدافع عن الإمبراطورية. وفى بداية حكم الإمبراطور قسطنطين الرابع تم تكوين ثيمين جديدين هما: ثيم الأناضول Anatolie، وثيم كبيرهايوت Cibraiots(٣)، وضمهما إلى الثيمين أرمينيا، "الأرميناك Armeniaakos"(٤).

وكذلك اهتم الإمبراطور قسطنطين الرابع بتخزين المواد الغذائية والمياة داخل أسوار القسطنطينية، لشعوره بأن الحصار الذى استمر طوال العام الأول من حكمه لن يكون آخر محاولات المسلمين لتهديد عاصمته(٥).

---

(١) Camb. Med. Hist.Vol. II, P. 393.
(٢) Michael whiby, op. Cit., P. 579.
(٣) Bury, op. Cit., Vol. II, P. 342.
(٤) Holdon, op. Cit., P. 194.
(٥) Oman, op. Cit., P. 171.

كما اهتم بوسائل الإنذار التى كانت تحتوى عليها أبراج أسوار القسطنطينية، وكذلك الاهتمام بتطوير وزيادة فاعليتها، وكانت عبارة عن نيران توقد علـى تلـة أبـراج مرتفعة للتحذير والإرشاد[1] ووفرت هذه الوسائل للعاصمة البيزنطية نظـام إنـذار مبكر أمام الخطر، وكانت تعتمد على إرشادات خاصة يستطيع المتلقون والمراقبون من خلالها إيصال رسائل مفهومة وواضحة إلى العاصمة فى أسرع وقـت، وذات مدلولات متفق عليها.

وقد أنشأ هذا النظام مبكرًا فى الإمبراطورية البيزنطية، وتم تطويره فى فترة الصراع مع المسلمين، خاصة أثناء عمليات الحصار الطويلة التى تعرضـت لهـا العاصمة من قبل[2].

كما قامت بتطوير أسلحتها للتصدى للمسلمين، ومنها سلاح "النار البحريـة" والذى سيكون له أثره الفعال فى حسم الصراع فى هذه المرحلة، وسيأتى التفـصيل عن هذا السلاح الخطير فى حينه.

من جانب آخر فإن المسلمين واصلوا استعداداتهم الحربية علـى جبهتـين، الجبهة البرية عبر آسيا الصغرى، والبحرية فى البحر الأبيض المتوسط، وتكررت غزواتهم البرية والبحرية والتى تسمى بالشواتى والصوائف، وشارك فيها عدد كبير من القادة المسلمين، منهم بسر بن أرطأة، وفضالة بن عبيد الأنصارى، ومحمد بـن مالك، ومعن بن يزيد السلمى، وجنادة بن أمية، وعبد الرحمن بن خالد، وسفيان بن عوف الأزدى، وغيرهم من القادة[3].

---

(١) مزيد من التفصيل عن هذا النظام وتطويره انظر البحث المفصل لـ:
Philip Patrenden, The Byzantne Early Warnig System, Byzntium، Tome LIII. Bruxeles 1983,P.261.

(٢) Ibid. P. 263

(٣) هناك خلاف بين المصادر الإسلامية عن السنوات التى قاد فيها هؤلاء القادة حملاتهم وأيهم كان أسـبق للآخر، انظر الطبرى،جـ ٥ ص ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٩، وأيضًا ابن كثير، جـ٨ ص ٥٨، ٦١، ٦٦.

ففى سنة ٥٤هـ / ٦٧٣م[١] فتح المسلمين شبه جزيرة قريبة من القسطنطينية تسمى "أرواد" على يد جنادة ابن أمية، ويسميها البيزنطيون باسم "جزرية كزيكوس Cyzicus".

والواقع أن فتح هذه الجزيرة القريبة من العاصمة البيزنطية، جاء فى أعقاب حملة برية يؤازرها أسطول بحرى، انطلقت لمهاجمة الأراضى البيزنطية، وعندما حل فصل الشتاء والقوات الإسلامية فى طريق زحفها عبر آسيا الصغرى، ألقت السفن مراسيها على شاطئ قليقيا واستولت عليه، كما أقام أسطول آخر بالاستيلاء على سميرنا Smyrna (أزمير الحالية)[٢]، وفى الربيع واصلت القوات البحرية تقدمها وتعزز الأسطول البحرى بأسطول آخر، حيث استأنفت القوات جميعها زحفها نحو القسطنطينية[٣].

وفى طريق عودة الأسطول من مهاجمة القسطنطينية، تم الاستيلاء على جزيرة كزيكوس، حيث قرر المسلمون اتخاذها مقرًا لإدارة الحملات الإسلامية على القسطنطينية، مستفيدين من القرب الشديد لها من القسطنطينية، وما يمكن أن تمثله من قاعدة استراتيجية لتجهيز وراحة المقاتلين بعد حملاتهم على العاصمة البيزنطية.

---

(١) هكذا تذكر المصادر الإسلامية تاريخ فتح جزيرة أرواد "كيزيكوس" وهى غير جزيرة أرواد القريبة من الساحل السورى، بينما تذكر المراجع الأوربية أن فتحها تم سنة ٦٧٠ م وهى تعادل سنة ٥٠هـ. انظر: الطبرى، ج٥، ص ٢٩٣ وأيضًا: Ostrogorosky, Op. Cit., P. 124

Bury. Op. Cit., Vol. II, P. 310; Camb. Med. Hist. Vol. II, P. 397.

وهناك من يذكر إن الذى فتح جزيرة كزيكوس هو عبد الرحمن بن خالد: العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٧٢.

ويبدو أن سنة ٦٧٣م٥٤ هـ هى الأنسب لتكون سنة فتح جزيرة كزيكوس حسب تسلسل الأحداث والهجمات على القسطنطينية، فمنذ تلك الفترة كانت الأساطيل تنطلق من هذه الجزيرة ثم تعود لتعسكر بها خلال فترة الشتاء، ولم نلاحظ قبل هذه الفترة أنه كان لها مستقر أو قاعدة تعسكر بها بجوار القسطنطينية، وإنما كانت تعود إلى السواحل السورية..

(٢) Camb. Med. Hist. Vol. II, P.397; Ostrogorosky, Op. Cit., P124

ويذكر كلا المرجعين أن الاستيلاء على شاطئ قليقيا، وسميرنا تم فى عام ٦٧٢م، وهو يؤكد ما ذهبنا إليه من ترجيح الاستيلاء على جزيرة كزيكوس سنة ٦٧٣م / ٥٤، بعد هذين العملين.

(٣) Bury. Op. Cit., Vol. II, P. 310

وابتداء من سنة ٥٤ هـ / ٦٧٣م أخذ المسلمون يركزون هجماتهم على القسطنطينية، مستفيدين من الإمكانيات التى وفرتها لهم جزيرة كزيكوس، وبذلك بدأ ما عرف تاريخيًا بحرب السنوات السبع لحصار القسطنطينية، حيث كانوا يقضون فصلى الربيع والصيف فى محاصرة القسطنطينية ومهاجمتها وفى الخريف والشتاء يعودون إلى كزيكوس(١).

ويبدو أن البيزنطيون قد أزعجهم خروج جزيرة كزيكوس عن سيطرتهم، وتصميم المسلمين على مهاجمة عاصمتهم، وقاموا كرد فعل لكل ذلك ورغبة فى الانتقام وشغل المسلمين عن مهاجمة عاصمتهم، بتجريد حملة فى أواخر سنة ٦٧٣م / ٥٤هـ هاجمت الشواطئ المصرية ونزلت بمدينة البرلس(٢)، واستطاع والى مصر فى تلك الفترة مسلمة بن مخلد، التصدى لهذه الحملة حيث خرج المسلمون إليهم فى البر والبحر، واستشهد منهم جمع كثير(٣)، ورغم كثرة الذين استشهدوا إلا أن هذه الحملة فشلت ولم يكن لها سوى تأثير ضئيل(٤)، بل ربما كان لها تأثير

---

(١) أرشيبالد لويس، القوات البحرية، مرجع سابق، ص ٩٦ وهناك خلاف بين المؤرخين حول هذه الحروب، بعضهم يسميها حروب السنوات السبع (العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٢). (الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص ١٥٠)، (محمد مرسى الشيخ، الدولة البيزنطية، ص ٩٨) وبعضهم يحددها بخمس سنوات (د. وسام فرج، النار الإغريقية طبيعة تركيبها وأثرها فى نشاط المسلمين الحربى، الحضارة الإسلامية وعالم البحار، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٨٧). وهناك من يحددها بأربع سنوات فقط (أسد رستم، الروم، جـ ١، ص ٢٦٢) ويعود السبب إلى أن البعض يحددها قبل الاستيلاء على كزيكوس، وبعضهم بعد الاستيلاء على جزيرة كزيكوس، والبعض الآخر يحددها منذ اشتدادها سنة ٦٧٤م إلى نهايتها سنة ٦٧٨م فلذلك يسمونها حرب الأربع سنوات فقط.

ولمزيد من التفاصيل عن هذا الخلاف أنظر الهامش رقم (٣) فى تعليق مترجمى "حوليات ثيوفانيس":
Theophanes, Op. Cit., P. 444, not(3)

(٢) د. علية الجنزرى، هجمات الروم البحرية، مرجع سابق، ص ٤٧ والبرلس بلدة على شاطئ النيل قرب البحر من جهة الإسكندرية. ياقوت الحموى، مصدر سابق جـ ١، ص ٤٠٢.

(٣) الكندى الولاة والقضاة، مصدر سابق، ص ٢٨ وممن استشهد فى ذلك اليوم وردان مولى عمرو بن العاص.

(٤) أرشيبالد لويس، مرجع سابق، ص ٩٦ ى. الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص ١٤٩.

Φιλοκτήτης

πάλιν πάλιν παλαιὸν ἄλγημ᾽ ὑπέμνασας, ὦ
λῷστε τῶν πρὶν ἐντόπων.
τί μ᾽ ὤλεσας; τί μ᾽ εἴργασαι;

Χορός

τί τοῦτ᾽ ἔλεξας;

Φιλοκτήτης

εἰ σὺ τὰν ἐμοὶ στυγερὰν
Τρῳάδα γᾶν μ᾽ ἤλπισας ἄξειν.

Χορός

τόδε γὰρ νοῶ κράτιστον.

Φιλοκτήτης

ἀπό νύν με λείπετ᾽ ἤδη.

Χορός

φίλα μοι, φίλα ταῦτα παρήγγειλας ἑκόντι τε πράσσειν.
ἴωμεν ἴωμεν
ναὸς ἵν᾽ ἡμῖν τέτακται.

Φιλοκτήτης

μή, πρὸς ἀραίου Διός, ἔλθῃς, ἱκετεύω.

Χορός

--μετρίαζ᾽.

Φιλοκτήτης

ὦ ξένοι,
μείνατε, πρὸς θεῶν.

الكورس

لمَ تنادينا؟

فيلوكتيتس

آه ثم آه.
إنه أحد الآلهة، نعم أحد الآلهة الذى دمرنى. يا لى من مسكين!
أيتها القدم، يا قدمى (العرجاء)، ماذا عساى أفعل
بك فى حياتى القادمة؟
أيها السادة، عودوا إلى هنا مرة أخرى.

الكورس

لكى نفعل ماذا؟ ما الذى تغير
عما قلته من قبل؟

فيلوكتيتس

لا داعى للغضب
عندما يقول من يمزق قلبه
الحزن والأسى كلامًا غير منطقى.

الكورس

أيها المسكين، تعال معنا كما نطلب منك.

فيلوكتيتس

محال. محال. ولتتأكد أن هذا قرارى الذى لن أغيره
حتى لو ظهر لى زيوس إله البرق
حاملاً نيرانه ليصب صواعقه فوق رأسى.
فلتذهب طروادة إلى الجحيم، وكل أولئك الذين
يوجدون على مقربة من أسوارها، والذين

Χορός

–τί θροεῖς;

Φιλοκτήτης

αἰαῖ αἰαῖ, δαίμων δαίμων·
ἀπόλωλ᾽ ὁ τάλας·
ὦ πούς πούς, τί σ᾽ ἔτ᾽ ἐν βίῳ
τεύξω τῷ μετόπιν τάλας;
ὦ ξένοι, ἔλθετ᾽ ἐπήλυδες αὖθις.

Χορός

τί ῥέξοντες ἀλλοκότῳ
γνώμᾳ τῶν πάρος, ὧν προύφαινες;

Φιλοκτήτης

οὔτοι νεμεσητόν,
ἀλύοντα χειμερίῳ
λύπᾳ καὶ παρὰ νοῦν θροεῖν.

Χορός

βᾶθί νυν, ὦ τάλαν, ὥς σε κελεύομεν.

Φιλοκτήτης

οὐδέποτ᾽ οὐδέποτ᾽, ἴσθι τόδ᾽ ἔμπεδον,
οὐδ᾽ εἰ πυρφόρος ἀστεροπητὴς
βροντᾶς αὐγαῖς μ᾽ εἶσι φλογίζων.
ἐρρέτω Ἴλιον οἵ θ᾽ ὑπ᾽ ἐκείνῳ
πάντες ὅσοι τόδ᾽ ἔτλασαν ἐμοῦ ποδὸς ἄρθρον ἀπῶσαι.

تركونى وحيدًا بقدمى هذه.
ولكن، فلتتكرموا – أيها السادة – بإعطائى شيئًا واحدًا.

الكورس

ماذا تريد؟

فيلوكتيتس

إذا كان لديكم سيف،
أو بلطة، أو أى نوع من الأسلحة، فأعطونى إياه.

الكورس

ما الذى تريد فعله؟

فيلوكتيتس

بيدى هذه، سوف أقطع أجزاء جسدى، الواحد
تلو الآخر[41]، إننى مصمم على الموت.. الموت.

الكورس

ولكن لماذا؟

فيلوكتيتس

حتى ألحق بوالدى.

الكورس

أين؟

فيلوكتيتس

فى هاديس،
حيث لا يظهر ضوء النهار أبدًا.
يا مدينة آبائى،
كيف يمكننى النظر إليك، أنا المسكين،

ἀλλ᾽, ὦ ξένοι, ἕν γέ μοι εὖχος ὀρέξατε.

Χορός

ποῖον ἐρεῖς τόδ᾽ ἔπος;

Φιλοκτήτης

--ξίφος, εἴ ποθεν,
ἢ γένυν ἢ βελέων τι προπέμψατε.

Χορός

ὡς τίνα δὴ ῥέξῃς παλάμαν ποτέ;

Φιλοκτήτης

χρῶτ᾽ ἀπὸ πάντα καὶ ἄρθρα τέμω χερί·
φονᾷ φονᾷ νόος ἤδη.

Χορός

τί ποτε;

Φιλοκτήτης

--πατέρα ματεύων.

Χορός

ποῖ γᾶς;

Φιλοκτήτης

--ἐς Ἅιδου·
οὐ γάρ ἐστ᾽ ἐν φάει γ᾽ ἔτι.
ὦ πόλις, ὦ πατρία,
πῶς ἂν εἰσίδοιμ᾽ ἄθλιός σ᾽ ἀνήρ,

بعد أن غادرت نهر المقدس
وذهبت إلى أعدائى الدانئيين
لكى أساعدهم. وهأنذا أصبحت مجرد لا شىء.

الكورس

لقد كنت على وشك الرحيل
والذهاب إلى سفينتى بالفعل، لولا أننى
رأيت أوديسيوس يقترب منا
ومعه ابن أخيليوس.

أوديسيوس

ألن تخبرنى عن سبب رجوعك،
ولِمَ تسرع الخطى هكذا؟

نيوبتوليموس

لقد رجعت لكى أصلح الجرم الذى ارتكبته.

أوديسيوس

إن ما تقوله أمر رهيب. أى جرم تقصد؟

نيوبتوليموس

لقد أخطأت حتمًا عندما أطعت أوامرك وأوامر الجيش.

أوديسيوس

ما الذى جعلناك تفعله رغمًا عنك؟

نيوبتوليموس

لقد جعلتمونى أحتال على الرجل وأخدعه.

أوديسيوس

وا مصيبتاه! أى رجل؟ أية حماقة جديدة تخطط لها؟

ὅς γε σὰν λιπὼν ἱερὰν
λιβάδ᾽ ἐχθροῖς ἔβαν Δαναοῖς
ἀρωγός· ἔτ᾽ οὐδέν εἰμι.

Χορός

ἐγὼ μὲν ἤδη καὶ πάλαι νεὼς ὁμοῦ
στείχων ἂν ἦ σοι τῆς ἐμῆς, εἰ μὴ πέλας
Ὀδυσσέα στείχοντα τόν τ᾽ Ἀχιλλέως
γόνον πρὸς ἡμᾶς δεῦρ᾽ ἰόντ᾽ ἐλεύσσομεν.

Ὀδυσσεύς

οὐκ ἂν φράσειας ἥντιν᾽ αὖ παλίντροπος
κέλευθον ἕρπεις ὧδε σὺν σπουδῇ ταχύς;

Νεοπτόλεμος

λύσων ὅσ᾽ ἐξήμαρτον ἐν τῷ πρὶν χρόνῳ.

Ὀδυσσεύς

δεινόν γε φωνεῖς· ἡ δ᾽ ἁμαρτία τίς ἦν;

Νεοπτόλεμος

ἣν σοὶ πιθόμενος τῷ τε σύμπαντι στρατῷ

Ὀδυσσεύς

ἔπραξας ἔργον ποῖον ὧν οὔ σοι πρέπον;

Νεοπτόλεμος

ἀπάταισιν αἰσχραῖς ἄνδρα καὶ δόλοις ἑλών.

Ὀδυσσεύς

τὸν ποῖον; ὤμοι· μῶν τι βουλεύει νέον;

نيوبتوليموس

ليست حماقة جديدة، ولكنى سوف أعيد إلى ابن بوياس.....

أوديسيوس

ماذا ستفعل؟ كم أخشى سماع ما تقول.

نيوبتوليموس

سوف أعيد إلى الرجل قوسه الذى أخذته منه.

أوديسيوس

أيا زيوس، ماذا تقول؟ أتنوى إعادته حقًا؟

نيوبتوليموس

بكل تأكيد. فقد استوليت عليه دون وجه حق، وبطريقة خسيسة.

أوديسيوس

بحق الآلهة، أتسخر منى بقولك هذا؟

نيوبتوليموس

نعم، إذا كنت تعتبر قول الحقيقة سخرية.

أوديسيوس

ماذا تقول يا بن أخيليوس؟ أى حديث هذا؟

نيوبتوليموس

هل أعيد على مسامعك كلامى مرتين أو ثلاث مرات؟

أوديسيوس

لقد كنت أفضل ألا أسمعه ولا مرة واحدة.

نيوبتوليموس

فى إمكانك أن تهدأ الآن، فقد سمعت كل شىء.

أوديسيوس

حسنًا، حسنًا. سوف يكون هناك مَن يمنعك مِن فعل هذا.

Νεοπτόλεμος

νέον μὲν οὐδέν, τῷ δὲ Ποίαντος τόκῳ,

Ὀδυσσεύς

τί χρῆμα δράσεις; ὥς μ᾽ ὑπῆλθέ τις φόβος.

Νεοπτόλεμος

παρ᾽ οὗπερ ἔλαβον τάδε τὰ τόξ᾽, αὖθις πάλιν

Ὀδυσσεύς

ὦ Ζεῦ, τί λέξεις; οὔ τί που δοῦναι νοεῖς;

Νεοπτόλεμος

αἰσχρῶς γὰρ αὐτὰ κοὐ δίκῃ λαβὼν ἔχω.

Ὀδυσσεύς

πρὸς θεῶν, πότερα δὴ κερτομῶν λέγεις τάδε;

Νεοπτόλεμος

εἰ κερτόμησίς ἐστι τἀληθῆ λέγειν.

Ὀδυσσεύς

τί φής, Ἀχιλλέως παῖ; τίν᾽ εἴρηκας λόγον;

Νεοπτόλεμος

δὶς ταὐτὰ βούλει καὶ τρὶς ἀναπολεῖν μ᾽ ἔπη;

Ὀδυσσεύς

ἀρχὴν κλύειν ἂν οὐδ᾽ ἅπαξ ἐβουλόμην.

Νεοπτόλεμος

εὖ νῦν ἐπίστω πάντ᾽ ἀκηκοὼς λόγον.

Ὀδυσσεύς

ἔστιν τις, ἔστιν ὅς σε κωλύσει τὸ δρᾶν.

نيوبتوليموس

ماذا تقول؟ من ذا الذى سوف يمنعنى؟

أوديسيوس

كل الأخيين، وأنا من بينهم.

نيوبتوليموس

إنك مشهور بالحكمة، ولكن ما قلته ليس حكيمًا.

أوديسيوس

أما أنت فلا أقوالك ولا أفعالك تتسم بالحكمة.

نيوبتوليموس

إذا كانت تتسم بالعدل فهذا أفضل.

أوديسيوس

ولكن كيف يكون من العدل أن ترد
(القوس) الذى حصلت عليه بفضل خططى؟

نيوبتوليموس

لقد كان ذلك جريمة شنيعة.
جريمة أحاول إصلاحها جاهدًا.

أوديسيوس

إذا فعلت هذا، ألا تخشى جيش الأخيين؟

نيوبتوليموس

ما دام الحق معى، فإننى لا أخشى أحدًا.

أوديسيوس

وما دام الحق معى، فسوف أمنعك بيدى.

Νεοπτόλεμος

τί φής; τίς ἔσται μ᾽ οὑπικωλύσων τάδε;

Ὀδυσσεύς

ξύμπας Ἀχαιῶν λαός, ἐν δὲ τοῖς ἐγώ.

Νεοπτόλεμος

σοφὸς πεφυκὼς οὐδὲν ἐξαυδᾷς σοφόν.

Ὀδυσσεύς

σὺ δ᾽ οὔτε φωνεῖς οὔτε δρασείεις σοφά.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ εἰ δίκαια, τῶν σοφῶν κρείσσω τάδε.

Ὀδυσσεύς

καὶ πῶς δίκαιον, ἅ γ᾽ ἔλαβες βουλαῖς ἐμαῖς,
πάλιν μεθεῖναι ταῦτα;

Νεοπτόλεμος

--τὴν ἁμαρτίαν
αἰσχρὰν ἁμαρτὼν ἀναλαβεῖν πειράσομαι.

Ὀδυσσεύς

στρατὸν δ᾽ Ἀχαιῶν οὐ φοβεῖ, πράσσων τάδε;

Νεοπτόλεμος

ξὺν τῷ δικαίῳ τὸν σὸν οὐ ταρβῶ φόβον.

Ὀδυσσεύς

[ξὺν τῷ δικαίῳ χεὶρ ἐμή σ᾽ ἀναγκάσει.]

نيوبتوليموس

ولكن حتى يدك لن تمنعنى من فعل ما أريد.

أوديسيوس

إذن سوف نحاربك أنت وليس الأخيين.

نيوبتوليموس

فلتفعلوا ما تشاءون.

أوديسيوس

أترى يدى اليمنى
وقد أمسكت بالسيف بالفعل؟

نيوبتوليموس

سوف ترانى أفعل
مثلك وبسرعة.

أوديسيوس

على أية حال، سوف أتركك وأذهب
لأعلن للجيش ما تنوى فعله، حتى تنال عقابك.

نيوبتوليموس

يا له من قول حكيم. ولو كنت حكيمًا هكذا دومًا
ما ورطت نفسك فى المتاعب والمشكلات.
أنت، إننى أناديك يا فيلوكتيتس يا بن بوياس،
فلتخرج ولتغادر كهفك الصخرى هذا.

فيلوكتيتس

من ذا الذى يصيح أمام بابى؟
أيها السادة، لِمَ تنادوننى؟ وفِيمَ حاجتكم إلىَّ؟

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ οὐδέ τοι σῇ χειρὶ πείθομαι τὸ δρᾶν.

Ὀδυσσεύς

οὔ τἄρα Τρωσίν, ἀλλὰ σοὶ μαχούμεθα.

Νεοπτόλεμος

ἴτω τὸ μέλλον.

Ὀδυσσεύς

–χεῖρα δεξιὰν ὁρᾷς
κώπης ἐπιψαύουσαν;

Νεοπτόλεμος

–ἀλλὰ κἀμέ τοι
ταὐτὸν τόδ᾽ ὄψει δρῶντα κοὐ μέλλοντ᾽ ἔτι.

Ὀδυσσεύς

καίτοι σ᾽ ἐάσω· τῷ δὲ σύμπαντι στρατῷ
λέξω τάδ᾽ ἐλθών, ὅς σε τιμωρήσεται.

Νεοπτόλεμος

ἐσωφρόνησας· κἂν τὰ λοίφ᾽ οὕτω φρονῇς,
ἴσως ἂν ἐκτὸς κλαυμάτων ἔχοις πόδα.
σὺ δ᾽, ὦ Ποίαντος παῖ, Φιλοκτήτην λέγω,
ἔξελθ᾽, ἀμείψας τάσδε πετρήρεις στέγας.

Φιλοκτήτης

τίς αὖ παρ᾽ ἄντροις θόρυβος ἵσταται βοῆς;
τί μ᾽ ἐκκαλεῖσθε; τοῦ κεχρημένοι, ξένοι;

(**النيوبتوليموس**) وا أسفاه. إن الأمر لا يبشر بـــالخير. هـــل هناك مزيد
من المصائب التى أتيت لتضيفها إلى أفعالك الشريرة السابقة؟

نيوبتوليموس

لا، أبدًا. ولكننى أود أن تسمعنى فقط.

فيلوكتيتس

لشد ما أخشى هذا. فقد سمعت من قبل
كلماتك المعسولة، ولكنها دمرتنى وقضت علىَّ.

نيوبتوليموس

أليست هناك إذن فرصة للندم؟

فيلوكتيتس

لقد كانت كلماتك توحى بالثقة أيضًا
عندما سرقت أسلحتى، ولكنك كنت تخفى الخيانة بداخلك.

نيوبتوليموس

ولكننى لست هكذا الآن. وكل ما أريد سماعه منك
هل أنت مصمم على البقاء هنا
أو أنك سوف تبحر معنا.

فيلوكتيتس

كفى، لا تنطق بكلمة أخرى.
إن كل ما ستقوله سوف يذهب هباءً.

نيوبتوليموس

إذن أنت مصمم؟

فيلوكتيتس

نعم، أكثر مما أستطيع التعبير عنه. تأكد من ذلك.

ὤμοι· κακὸν τὸ χρῆμα. μῶν τί μοι νέα
πάρεστε πρὸς κακοῖσι πέμποντες κακά;

Νεοπτόλεμος

θάρσει· λόγους δ᾽ ἄκουσον οὓς ἥκω φέρων.

Φιλοκτήτης

δέδοικ᾽ ἔγωγε· καὶ τὰ πρὶν γὰρ ἐκ λόγων
καλῶν κακῶς ἔπραξα, σοῖς πεισθεὶς λόγοις.

Νεοπτόλεμος

οὔκουν ἔνεστι καὶ μεταγνῶναι πάλιν;

Φιλοκτήτης

τοιοῦτος ἦσθα τοῖς λόγοισι χὤτε μου
τὰ τόξ᾽ ἔκλεπτες, πιστός, ἀτηρὸς λάθρᾳ.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ οὔ τι μὴν νῦν· βούλομαι δέ σου κλύειν,
πότερα δέδοκταί σοι μένοντι καρτερεῖν
ἢ πλεῖν μεθ᾽ ἡμῶν;

Φιλοκτήτης

–παῦε, μὴ λέξῃς πέρα·
μάτην γὰρ ἂν εἴπῃς γε πάντ᾽ εἰρήσεται.

Νεοπτόλεμος

οὕτω δέδοκται;

Φιλοκτήτης

–καὶ πέρα γ᾽ ἴσθ᾽ ἢ λέγω.

نيوبتوليموس

كم كنت أتمنى لو استطعت إقناعك
بحديثى. ولكن إذا كانت كلماتى بدون جدوى
فقد اكتفيت من الحديث.

فيلوكتيتس

إن حديثك لا جدوى منه.
إنك لن تكسب صداقتى أبدًا،
بعد أن سرقت حياتى بالخداع
ثم عدت ثانية لكى تنصحنى، بعد أن أثبت أنك شخص سافل،
ابن أب نبيل.
ليتكم تهلكون جميعًا: ولدا أتريوس، ثم
ابن لائرتيس، وبعد ذلك أنت شخصيًا.

نيوبتوليموس

لا تصب لعناتك علىَّ بعد الآن.
فقط مد يدك لتأخذ منى قوسك هذا.

فيلوكتيتس

ماذا تقول؟ هل تنوى خداعى مرة ثانية؟

نيوبتوليموس

لا، أقسم بعظمة زيوس فى عليائه.

فيلوكتيتس

يا لها من كلمات حبيبة إلى نفسى، فقط إذا كانت صادقة.

نيوبتوليموس

إن الحقيقة واضحة جلية. فقط مد يدك
اليمنى وأمسك بسلاحك مرة أخرى.

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ ἤθελον μὲν ἄν σε πεισθῆναι λόγοις
ἐμοῖσιν· εἰ δὲ μή τι πρὸς καιρὸν λέγων
κυρῶ, πέπαυμαι.

Φιλοκτήτης

--πάντα γὰρ φράσεις μάτην.
οὐ γάρ ποτ᾽ εὔνουν τὴν ἐμὴν κτήσει φρένα,
ὅστις γ᾽ ἐμοῦ δόλοισι τὸν βίον λαβὼν
ἀπεστέρηκας, κᾆτα νουθετεῖς ἐμὲ
ἐλθών, ἀρίστου πατρὸς αἴσχιστος γεγώς.
ὄλοισθ᾽, Ἀτρεῖδαι μὲν μάλιστ᾽, ἔπειτα δὲ
ὁ Λαρτίου παῖς καὶ σύ.

Νεοπτόλεμος

--μὴ ᾽πεύξῃ πέρα·
δέχου δὲ χειρὸς ἐξ ἐμῆς βέλη τάδε.

Φιλοκτήτης

πῶς εἶπας; ἆρα δεύτερον δολούμεθα;

Νεοπτόλεμος

ἀπώμοσ᾽ ἁγνὸν Ζηνὸς ὑψίστου σέβας.

Φιλοκτήτης

ὦ φίλτατ᾽ εἰπών, εἰ λέγεις ἐτήτυμα.

Νεοπτόλεμος

τοὔργον παρέσται φανερόν· ἀλλὰ δεξιὰν
πρότεινε χεῖρα, καὶ κράτει τῶν σῶν ὅπλων.

أوديسيوس

توقف.. باسم ولدى أتريوس، وباسم الجيش كله
أمنعك من هذا التصرف، ولتشهد على هذا الآلهة.

فيلوكتيتس

ولدى، صوت من هذا؟ هل أسمع حقًا
صوت أوديسيوس؟

أوديسيوس

نعم. ولتعرف أننى هنا بالقرب منك
وسوف آخذك بالقوة إلى أرض طروادة
سواء وافق ابن أخيليوس أو رفض.

فيلوكتيتس

سوف تندم إذا أطلقت هذا السهم.

نيوبتوليموس

لا، لا، لا تطلق السهم، بحق الآلهة.

فيلوكتيتس

ولدى الحبيب[٤٢]، دعنى، دع يدى تطلقه، بحق الآلهة.

نيوبتوليموس

لا، لن أدعك.

فيلوكتيتس

وا أسفاه. لمَ لَمْ تدعنى أقتل
عدوى، هذا الرجل الذى يكن لى الكراهية، بقوسى هذا؟

نيوبتوليموس

إن هذا التصرف لا يليق بى ولا بك.

Ὀδυσσεύς

ἐγὼ δ᾽ ἀπαυδῶ γ᾽, ᾧ θεοὶ ξυνίστορες,
ὑπέρ τ᾽ Ἀτρειδῶν τοῦ τε σύμπαντος στρατοῦ.

Φιλοκτήτης

τέκνον, τίνος φώνημα, μῶν Ὀδυσσέως,
ἐπῃσθόμην;

Ὀδυσσεύς

--σάφ᾽ ἴσθι· καὶ πέλας γ᾽ ὁρᾷς,
ὅς σ᾽ ἐς τὰ Τροίας πεδί᾽ ἀποστελῶ βίᾳ,
ἐάν τ᾽ Ἀχιλλέως παῖς ἐάν τε μὴ θέλῃ·

Φιλοκτήτης

ἀλλ᾽ οὔ τι χαίρων, ἢν τόδ᾽ ὀρθωθῇ βέλος.

Νεοπτόλεμος

ἆ, μηδαμῶς, μή, πρὸς θεῶν, μεθῇς βέλος.

Φιλοκτήτης

μέθες με, πρὸς θεῶν, χεῖρα, φίλτατον τέκνον.

Νεοπτόλεμος

οὐκ ἂν μεθείην.

Φιλοκτήτης

--φεῦ· τί μ᾽ ἄνδρα πολέμιον
ἐχθρόν τ᾽ ἀφείλου μὴ κτανεῖν τόξοις ἐμοῖς;

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ οὔτ᾽ ἐμοὶ τοῦτ᾽ ἐστὶν οὔτε σοὶ καλόν.

فيلوكتيتس

فلتعرف هذه الحقيقة جيدًا: إن قادة
جيش الأخيين يتصفون بالجبن. فإنهم
يتسمون بالشجاعة فى أثناء الكلام فقط، ولكنهم جبناء فى أثناء القتال.

نيوبتوليموس

دعك منهم. ها هو سلاحك معك، ولم
يعد لديك من سبب الآن للغضب علىَّ.

فيلوكتيتس

معك حق. لقد برهنت – يا ولدى – على نبل معدنك،
وأثبت أنك ابن أفضل الرجال، فلست ابن سيزيفوس،
ولكنك ولدت من صلب أخيليوس، الذى كان
الأفضل بين الأحياء، مثلما هو الآن بين الموتى.

نيوبتوليموس

كم يسعدنى أن أسمعك تتحدث بصورة
طيبة عن أبى وعنى. والآن، اسمع جيدًا
ما أقول: من المحتم علينا نحن البشر
أن نتحمل ما ترسله إلينا الآلهة من أقدار.
ولكن كل من يداومون على الخضوع لمعاناتهم
مثلك، هؤلاء لن يشعر أحد
بالشفقة تجاههم، أو يجد لهم عذرًا.
لقد أصبحت تتسم بالعناد، وعدتَ لا تقبل النصيحة،
حتى لو قالها إنسان مخلص هدفه صالحك.
إننى أعرف أنك تكرهه، وأنه عدوك،

Φιλοκτήτης

ἀλλ᾽ οὖν τοσοῦτόν γ᾽ ἴσθι, τοὺς πρώτους στρατοῦ,
τοὺς τῶν Ἀχαιῶν ψευδοκήρυκας, κακοὺς
ὄντας πρὸς αἰχμήν, ἐν δὲ τοῖς λόγοις θρασεῖς.

Νεοπτόλεμος

εἶεν· τὰ μὲν δὴ τόξ᾽ ἔχεις, κοὐκ ἔσθ᾽ ὅτου
ὀργὴν ἔχοις ἂν οὐδὲ μέμψιν εἰς ἐμέ.

Φιλοκτήτης

ξύμφημι· τὴν φύσιν δ᾽ ἔδειξας, ὦ τέκνον,
ἐξ ἧς ἔβλαστες, οὐχὶ Σισύφου πατρός,
ἀλλ᾽ ἐξ Ἀχιλλέως, ὃς μετὰ ζώντων ὅτ᾽ ἦν
ἤκου᾽ ἄριστα, νῦν δὲ τῶν τεθνηκότων.

Νεοπτόλεμος

ἥσθην πατέρα τὸν ἀμὸν εὐλογοῦντά σε
αὐτόν τ᾽ ἔμ᾽· ὧν δέ σου τυχεῖν ἐφίεμαι,
ἄκουσον. ἀνθρώποισι τὰς μὲν ἐκ θεῶν
τύχας δοθείσας ἔστ᾽ ἀναγκαῖον φέρειν·
ὅσοι δ᾽ ἑκουσίοισιν ἔγκεινται βλάβαις,
ὥσπερ σύ, τούτοις οὔτε συγγνώμην ἔχειν
δίκαιόν ἐστιν οὔτ᾽ ἐποικτίρειν τινά.
σὺ δ᾽ ἠγρίωσαι, κοὔτε σύμβουλον δέχει,
ἐάν τε νουθετῇ τις εὐνοίᾳ λέγων,
στυγεῖς, πολέμιον δυσμενῆ θ᾽ ἡγούμενος.

ولكننى سوف أتحدث إليك للمرة الأخيرة، وليشهد علىَّ زيوس
حامى القسم[٤٣]،
(١٣٢٥) فلْتَعِ جيدًا ما أقول، ولتحفظه فى عقلك:
إنك مريض، ومرضك هذا من تدبير الآلهة؛[٤٤]
لأنك اقتربت من حارس خريسى، ذلك الثعبان
الذى كان يحرس المعبد المكشوف ويحفظه آمنًا.
إنك لن تجد علاجًا لألمك
الرهيب أبدًا، ما دامت الشمس نفسها
(١٣٣٠) تشرق عليك وتغرب وأنت فى مكانك هذا،
وقبل أن تذهب، بكامل رغبتك، إلى طروادة،
وهناك سوف تجد بين صفوفنا ولدى أسكليبوس،[٤٥]
وسوف يشفيانك من مرضك هذا. وبعد ذلك،
(١٣٣٥) بهذا القوس سوف تدك أسوار طروادة وأنا بجانبك.
سوف أخبرك كيف عرفت هذا.
ذات يوم وقع فى الأسر رجل من طروادة،
وكان عرافًا ماهرًا يُدعى هيلينوس. وقد أخبرنا
بذلك بكل صراحة، كما أخبرنا أيضًا
(١٣٤٠) أنه من المقدر أن مدينة طروادة
كلها سوف تسقط هذا الصيف حتمًا. وأضاف قائلاً
إنه يمكننا أن نقتله إذا ثبت زيف ما يقول.
والآن، وحيث إنك تعرف كل شيء، افعل ما نطلبه منك،
(١٣٤٥) فسوف تحصل على مكسب مضاعف: فسوف تذهب
إلى حيث توجد الأيدى التى ستعالجك، ثم بعد ذلك
تنال أسمى آيات التقدير باعتبارك مدمر طروادة.

ὅμως δὲ λέξω· Ζῆνα δ᾽ ὅρκιον καλῶ·
καὶ ταῦτ᾽ ἐπίστω καὶ γράφου φρενῶν ἔσω.
σὺ γὰρ νοσεῖς τόδ᾽ ἄλγος ἐκ θείας τύχης,
Χρύσης πελασθεὶς φύλακος, ὃς τὸν ἀκαλυφῆ
σηκὸν φυλάσσει κρύφιος οἰκουρῶν ὄφις·
καὶ παῦλαν ἴσθι τῆσδε μή ποτ᾽ ἂν τυχεῖν
νόσου βαρείας, ἕως ἂν αὑτὸς ἥλιος
ταύτῃ μὲν αἴρῃ, τῇδε δ᾽ αὖ δύνῃ πάλιν,
πρὶν ἂν τὰ Τροίας πεδί᾽ ἑκὼν αὐτὸς μόλῃς,
καὶ τοῖν παρ᾽ ἡμῖν ἐντυχὼν Ἀσκληπίδαιν
νόσου μαλαχθῇς τῆσδε, καὶ τὰ πέργαμα
ξὺν τοῖσδε τόξοις ξύν τ᾽ ἐμοὶ πέρσας φανῇς.
ὡς δ᾽ οἶδα ταῦτα τῇδ᾽ ἔχοντ᾽ ἐγὼ φράσω.
ἀνὴρ γὰρ ἡμῖν ἐστιν ἐκ Τροίας ἁλούς,
Ἕλενος ἀριστόμαντις, ὃς λέγει σαφῶς
ὡς δεῖ γενέσθαι ταῦτα· καὶ πρὸς τοῖσδ᾽ ἔτι
ὡς ἔστ᾽ ἀνάγκη τοῦ παρεστῶτος θέρους
Τροίαν ἁλῶναι πᾶσαν· ἢ δίδωσ᾽ ἑκὼν
κτείνειν ἑαυτόν, ἢν τάδε ψευσθῇ λέγων.
ταῦτ᾽ οὖν ἐπεὶ κάτοισθα, συγχώρει θέλων.
καλὴ γὰρ ἡ ᾽πίκτησις, Ἑλλήνων ἕνα
κριθέντ᾽ ἄριστον τοῦτο μὲν παιωνίας
ἐς χεῖρας ἐλθεῖν, εἶτα τὴν πολύστονον
Τροίαν ἑλόντα κλέος ὑπέρτατον λαβεῖν.

فيلوكتيتس

يا لها من حياة مقيتة. لمَ يجب أن أظل على
قيد الحياة ولا أذهب إلى هاديس؟
وا أسفاه. ماذا عساى أفعل؟ كيف لا أثق
بكلمات هذا الشخص الذى نصحنى بنية حسنة؟
هل أخضع له ولنصيحته؟ ولكن كيف يمكننى
الخروج والظهور أمام الناس بهذا المظهر البشع؟ من الذى
سوف يوجه إلىَّ تحية؟
كيف، أيتها العينان اللتان كانتا شاهدتين على آلامى،
كيف ستتحملان رؤيتى أعيش
مع ولدى أتريوس اللذين دمرانى؟
أو مع ابن لائرتيس الحقير؟
إن الأمر لا يتعلق بما حدث فى الماضى،
ولكن بما يمكن أن أعانيه من هؤلاء الأشخاص
فى المستقبل، فإن العقل الذى يصبح مصدرًا للأفعال
الشريرة يعلم صاحبه كيف يكون شريرًا فى كل شىء.
ولذلك فإننى دَهِشٌ من تورطك فى هذا الأمر.
فلا يجب عليك أنت شخصيًا أن تذهب إلى طروادة،
ولكن يجب أن تمنعنى من الذهاب. فقد سرقوا
منك جائزة أبيك وسلبوك إياها [فقد أعطوا
أسلحة والدك لأياس المسكين، ثم أخذوها منه
وأعطوها بعد ذلك لأوديسيوس] [٤٦]. فهل تحارب فى
صفوف هؤلاء وتجبرنى على أن أفعل المثل؟
لا. لا، يا ولدى. ولكن خذنى إلى وطنى

Φιλοκτήτης

ὦ στυγνὸς αἰών, τί με, τί δῆτ᾽ ἔχεις ἄνω
βλέποντα κοὐκ ἀφῆκας εἰς Ἅιδου μολεῖν;
οἴμοι, τί δράσω; πῶς ἀπιστήσω λόγοις
τοῖς τοῦδ᾽, ὃς εὔνους ὢν ἐμοὶ παρῄνεσεν;
ἀλλ᾽ εἰκάθω δῆτ᾽; εἶτα πῶς ὁ δύσμορος
εἰς φῶς τάδ᾽ ἔρξας εἶμι; τῷ προσήγορος;
πῶς, ὦ τὰ πάντ᾽ ἰδόντες ἀμφ᾽ ἐμοὶ κύκλοι,
ταῦτ᾽ ἐξανασχήσεσθε, τοῖσιν Ἀτρέως
ἐμὲ ξυνόντα παισίν, οἵ μ᾽ ἀπώλεσαν;
πῶς τῷ πανώλει παιδὶ τῷ Λαερτίου;
οὐ γάρ με τἄλγος τῶν παρελθόντων δάκνει,
ἀλλ᾽ οἷα χρὴ παθεῖν με πρὸς τούτων ἔτι
δοκῶ προλεύσσειν· οἷς γὰρ ἡ γνώμη κακῶν
μήτηρ γένηται, τἄλλα παιδεύει κακούς.
καὶ σοῦ δ᾽ ἔγωγε θαυμάσας ἔχω τόδε.
χρῆν γάρ σε μήτ᾽ αὐτόν ποτ᾽ ἐς Τροίαν μολεῖν
ἡμᾶς τ᾽ ἀπείργειν, οἵ γέ σου καθύβρισαν,
πατρὸς γέρας συλῶντες, εἶτα τοῖσδε σὺ
εἶ ξυμμαχήσων, κἄμ᾽ ἀναγκάζεις τόδε;
μὴ δῆτα, τέκνον· ἀλλ᾽ ἅ μοι ξυνώμοσας,

كما سبق أن وعدتنى. وليتك تبقى فى وطنك سكيروس
وتدع هؤلاء الأشرار يموتوا بطريقة مزرية تليق بهم.
وسوف تتلقى شكرًا مزدوجًا على ذلك منى
ومن والدك. فإن مساعدتك للأشرار
لن تجعلك شريرًا مثلهم.

نيوبتوليموس

إن ما تقوله يبدو معقولاً. ولكننى مع ذلك،
أريدك أن تثق بالآلهة وبصدق نصائحى لك
وتبحر معى باعتبارى صديقك بعيدًا عن هذه الأرض.

فيلوكتيتس

هل أبحر إلى سهل طروادة وإلى ولدى
أتريوس المقيتين بهذه القدم البائسة؟

نيوبتوليموس

بل ستبحر إلى من سوف يمنحونك الراحة
وينقذونك وينقذون قدمك من المرض العضال.

فيلوكتيتس

يا لها من نصائح رهيبة. ماذا تقول؟

نيوبتوليموس

أقول ما أرى أنه سوف يكون فى مصلحتك ومصلحتى عندما
يتحقق.

فيلوكتيتس

ألا تشعر بالخجل من كلامك هذا أمام الآلهة؟

نيوبتوليموس

لماذا أشعر بالخجل وأنا أريد مساعدة أصدقائى؟

πέμψον πρὸς οἴκους· καὐτὸς ἐν Σκύρῳ μένων
ἔα κακῶς αὐτοὺς ἀπόλλυσθαι κακούς.
χοὕτω διπλῆν μὲν ἐξ ἐμοῦ κτήσει χάριν,
διπλῆν δὲ πατρός, κοὐ κακοὺς ἐπωφελῶν
δόξεις ὁμοῖος τοῖς κακοῖς πεφυκέναι.

Νεοπτόλεμος

λέγεις μὲν εἰκότ᾽, ἀλλ᾽ ὅμως σε βούλομαι
θεοῖς τε πιστεύσαντα τοῖς τ᾽ ἐμοῖς λόγοις
φίλου μετ᾽ ἀνδρὸς τοῦδε τῆσδ᾽ ἐκπλεῖν χθονός.

Φιλοκτήτης

ἦ πρὸς τὰ Τροίας πεδία καὶ τὸν Ἀτρέως
ἔχθιστον υἱὸν τῷδε δυστήνῳ ποδί;

Νεοπτόλεμος

πρὸς τοὺς μὲν οὖν σε τήνδε τ᾽ ἔμπυον βάσιν
παύσοντας ἄλγους κἀποσώσοντας νόσου.

Φιλοκτήτης

ὦ δεινὸν αἶνον αἰνέσας, τί φῄς ποτε;

Νεοπτόλεμος

ἃ σοί τε κἀμοὶ λῷσθ᾽ ὁρῶ τελούμενα.

Φιλοκτήτης

καὶ ταῦτα λέξας οὐ καταισχύνει θεούς;

Νεοπτόλεμος

πῶς γάρ τις αἰσχύνοιτ᾽ ἂν ὠφελῶν φίλους·

فيلوكتيتس

أتقصد بقولك هذا مساعدتى أم مساعدة ولدى أتريوس؟

نيوبتوليموس

أقول هذا لأننى صديقك.

فيلوكتيتس

إذن لماذا تريد أن تسلمنى إلى أعدائى؟

نيوبتوليموس

سيدى، ليتك تتعلم أن تخضع أمام الظروف الصعبة.

فيلوكتيتس

إن كلماتك سوف تدمرنى. إننى أعرفك.

نيوبتوليموس

لا. لا أعتقد أنك تعرفنى جيدًا بعد.

فيلوكتيتس

ألا أعرف أن ولدىّ أتريوس ألقيا بى هنا؟

نيوبتوليموس

نعم، لقد فعلا ذلك، ولكنهما يرغبان فى استعادتك ثانية الآن.

فيلوكتيتس

مستحيل. مستحيل أن أرى طروادة برغبتى مرة أخرى.

نيوبتوليموس

ماذا عساى أفعل إذا كنت عاجزًا
عن إقناعك مهما قلت لك من كلمات؟
لقد كان من الأسهل أن أكف عن محاولة إقناعك، وأن أتركك
لتعيش هنا، كما عشت من قبل، ولا أفكر فى إنقاذك.

Φιλοκτήτης

λέγεις δ᾽ Ἀτρείδαις ὄφελος ἢ ᾽π᾽ ἐμοὶ τόδε;

Νεοπτόλεμος

σοί που, φίλος γ᾽ ὤν, χὠ λόγος τοιόσδε μου.

Φιλοκτήτης

πῶς, ὅς γε τοῖς ἐχθροῖσί μ᾽ ἐκδοῦναι θέλεις;

Νεοπτόλεμος

ὦ τᾶν, διδάσκου μὴ θρασύνεσθαι κακοῖς.

Φιλοκτήτης

ὀλεῖς με, γιγνώσκω σε, τοῖσδε τοῖς λόγοις.

Νεοπτόλεμος

οὔκουν ἔγωγε· φημὶ δ᾽ οὔ σε μανθάνειν.

Φιλοκτήτης

ἐγὼ οὐκ Ἀτρείδας ἐκβαλόντας οἶδά με;

Νεοπτόλεμος

ἀλλ᾽ ἐκβαλόντες εἰ πάλιν σώσουσ᾽ ὅρα.

Φιλοκτήτης

οὐδέποθ᾽ ἑκόντα γ᾽ ὥστε τὴν Τροίαν ἰδεῖν.

Νεοπτόλεμος

τί δῆτ᾽ ἂν ἡμεῖς δρῷμεν, εἰ σέ γ᾽ ἐν λόγοις
πείσειν δυνησόμεσθα μηδὲν ὧν λέγω;
ὡς ῥᾷστ᾽ ἐμοὶ μὲν τῶν λόγων λῆξαι, σὲ δὲ
ζῆν, ὥσπερ ἤδη ζῇς, ἄνευ σωτηρίας.

فيلوكتيتس

دعنى أعان ما هو مُقدر لى.
ولكن افعل – يا بنى – ما وعدتنى به
وأنت تمسك يدى اليمنى بين يديك
ولا تتلكأ، وليتك لا تحدثنى بعد الآن
عن طروادة، فقد اكتفيت من الحزن والنواح.

نيوبتوليموس

إذن. هيا بنا نذهب.

فيلوكتيتس

يا لها من كلمة طيبة، تلك التى نطقتها لتوك.

نيوبتوليموس

الآن، تشجع وقف على قدميك.

فيلوكتيتس

سوف أفعل، بقدر استطاعتى.

نيوبتوليموس

كيف ستهرب من غضب الأخيين؟

فيلوكتيتس

لا تفكر فى هذا.

نيوبتوليموس

ماذا لو أتوا إلى وطنى ودمروه؟

فيلوكتيتس

سوف أكون بجانبك.

نيوبتوليموس

أية مساعدة تستطيع تقديمها لى؟

Φιλοκτήτης

ἔα με πάσχειν ταῦθ᾽ ἅπερ παθεῖν με δεῖ·
ἃ δ᾽ ᾔνεσάς μοι δεξιᾶς ἐμῆς θιγών,
πέμπειν πρὸς οἴκους, ταῦτά μοι πρᾶξον, τέκνον,
καὶ μὴ βράδυνε μηδ᾽ ἐπιμνησθῇς ἔτι
Τροίας· ἅλις γάρ μοι τεθρήνηται γόοις.

Νεοπτόλεμος

εἰ δοκεῖ, στείχωμεν.

Φιλοκτήτης

–ὦ γενναῖον εἰρηκὼς ἔπος.

Νεοπτόλεμος

ἀντέρειδε νῦν βάσιν σήν.

Φιλοκτήτης

–εἰς ὅσον γ᾽ ἐγὼ σθένω.

Νεοπτόλεμος

αἰτίαν δὲ πῶς Ἀχαιῶν φεύξομαι;

Φιλοκτήτης

–μὴ φροντίσῃς.

Νεοπτόλεμος

τί γάρ, ἐὰν πορθῶσι χώραν τὴν ἐμήν;

Φιλοκτήτης

–ἐγὼ παρὼν

Νεοπτόλεμος

τίνα προσωφέλησιν ἔρξεις;

فيلوكتيتس

(لا تنسَ) أن قوس هيراكليس معى.

نيوبتوليموس

ماذا ستفعل؟

فيلوكتيتس

سوف أمنعهم من الاقتراب.

نيوبتوليموس

إذن فلتودع هذه الجزيرة.

هيراكليس [٤٧]

ليس بعد، ليس قبل أن تسمع
ما أقوله لك، يا بن بوياس.
فلتعرف أن الصوت الذى تسمعه الآن هو
صوت هيراكليس، وهو من تنتظر إليه الآن.
من أجلك أتيت إلى هنا
وغادرت مقرى فى السماوات العلا[٤٨].
حتى أحمل أوامر زيوس إليك
حتى تتخلى عن الطريق الذى تنوى السير فيه.
فلتسمع كلماتى إليك.
سوف أخبرك فى البداية عن قصتى
وكم الآلام التى عانيتها، والمهام التى قمت بها،
حتى اكتسبت فضيلة الخلود، كما ترانى الآن.
ولتعرف أنه مقدر عليك أن تعانى أنت أيضًا،
وأن تكابد من الألم حتى تنتهى حياتك وقد حققت المجد والشهرة.

Φιλοκτήτης

–βέλεσι τοῖς Ἡρακλέους

Νεοπτόλεμος

πῶς λέγεις;

Φιλοκτήτης

εἴρξω πελάζειν.

Νεοπτόλεμος

–στεῖχε προσκύσας χθόνα.

Ἡρακλῆς

μήπω γε, πρὶν ἂν τῶν ἡμετέρων
ἀίῃς μύθων, παῖ Ποίαντος·
φάσκειν δ᾽ αὐδὴν τὴν Ἡρακλέους
ἀκοῇ τε κλύειν λεύσσειν τ᾽ ὄψιν.
τὴν σὴν δ᾽ ἥκω χάριν οὐρανίας
ἕδρας προλιπών,
τὰ Διός τε φράσων βουλεύματά σοι
κατερητύσων θ᾽ ὁδὸν ἣν στέλλει·
σὺ δ᾽ ἐμῶν μύθων ἐπάκουσον.
καὶ πρῶτα μέν σοι τὰς ἐμὰς λέξω τύχας,
ὅσους πονήσας καὶ διεξελθὼν πόνους
ἀθάνατον ἀρετὴν ἔσχον, ὡς πάρεσθ᾽ ὁρᾶν.
καὶ σοί, σάφ᾽ ἴσθι, τοῦτ᾽ ὀφείλεται παθεῖν,
ἐκ τῶν πόνων τῶνδ᾽ εὐκλεᾶ θέσθαι βίον.

فلتذهب مع هذا الرجل إلى مدينة
طروادة، حيث ستجد علاجًا لآلامك فى البداية
ثم بعد ذلك سوف يعترفون بأنك أفضل محارب فى الجيش كله.
وذلك عندما تقتل باريس[٤٩]، سبب هذا البلاء،
وتنهى حياته، وبسلاحى هذا الذى تمسك به الآن
سوف تدمر طروادة، وسوف ترسل
إلى منزل والدك بوياس، وإلى مدينة أويتا
كثيرًا من الهدايا التى ستحصل عليها من الجيش لشجاعتك.
ولترسل جزءًا من هذه الهدايا التى ستحصل عليها
من الجيش إلى محرقتى، قربان شكر لى
على أسلحتى. وسوف أقول لك الكلام
نفسه، يا بن أخيليوس. فبدون هذا الرجل
لن تكون لديك القوة لتدمير طروادة، ولا هو بدونك.
ولكنكما سوف تحاربان معًا مثل أسدين يصطادان معًا،
حيث ستحرسه أنت كما سوف يحرسك هو. وسوف
أرسل
ابن أسكليبيوس إلى طروادة لكى يعالجك من مرضك.
فقد قضت الأقدار أن تسقط طروادة بأسلحتى
هذه مرتين. ولكن عليكما تذكر هذه النصيحة:
عندما تدمران هذه المدينة تمسكا بتقوى الآلهة
فإن كل الأشياء الأخرى تأتى فى المرتبة الثانية
بالنسبة إلى أبينا زيوس[٥٠]. إن التقوى لا تموت.
وسواء أكان البشر أحياء أم أمواتًا، فإن التقوى لا تموت.

ἐλθὼν δὲ σὺν τῷδ᾽ ἀνδρὶ πρὸς τὸ Τρωικὸν
πόλισμα, πρῶτον μὲν νόσου παύσει λυγρᾶς,
(1430) ἀρετῇ τε πρῶτος ἐκκριθεὶς στρατεύματος,
Πάριν μέν, ὃς τῶνδ᾽ αἴτιος κακῶν ἔφυ,
τόξοισι τοῖς ἐμοῖσι νοσφιεῖς βίου,
πέρσεις τε Τροίαν, σκῦλά τ᾽ εἰς μέλαθρα σὰ
πέμψεις, ἀριστεῖ᾽ ἐκλαβὼν στρατεύματος,
Ποίαντι πατρὶ πρὸς πάτρας Οἴτης πλάκα.
ἃ δ᾽ ἂν λάβῃς σὺ σκῦλα τοῦδε τοῦ στρατοῦ,
τόξων ἐμῶν μνημεῖα πρὸς πυρὰν ἐμὴν
κόμιζε. καὶ σοὶ ταῦτ᾽, Ἀχιλλέως τέκνον,
παρῄνεσ᾽· οὔτε γὰρ σὺ τοῦδ᾽ ἄτερ σθένεις
(1435) ἑλεῖν τὸ Τροίας πεδίον οὔθ᾽ οὗτος σέθεν.
ἀλλ᾽ ὡς λέοντε συννόμω φυλάσσετον
οὗτος σὲ καὶ σὺ τόνδ᾽· ἐγὼ δ᾽ Ἀσκληπιὸν
παυστῆρα πέμψω σῆς νόσου πρὸς Ἴλιον.
τὸ δεύτερον γὰρ τοῖς ἐμοῖς αὐτὴν χρεὼν
(1440) τόξοις ἁλῶναι. τοῦτο δ᾽ ἐννοεῖθ᾽, ὅταν
πορθῆτε γαῖαν, εὐσεβεῖν τὰ πρὸς θεούς·
ὡς τἄλλα πάντα δεύτερ᾽ ἡγεῖται πατὴρ
Ζεύς· οὐ γὰρ εὐσέβεια συνθνῄσκει βροτοῖς·
κἂν ζῶσι κἂν θάνωσιν, οὐκ ἀπόλλυται.

فيلوكتيتس

أيها الصوت الذى يثير وجدانى
عندما أسمعه.
إننى لن أعصى أوامرك.

نيوبتوليموس

وأنا أيضًا أتفق مع رأيك.

هيراكليس

إذن لا تتلكأ ولا تضيع الوقت،
فإن الوقت والرياح
يستحثانك على الإبحار فورًا.

فيلوكتيتس

أيتها الجزيرة، إننى أناديك مودعًا،
وأنت أيضًا أيها الكهف، الذى شاركنى أوقات أرقى،
يا حوريات البحيرات، ويا أيتها المراعى،
يا صوت تلاطم الأمواج وانكساره على الشاطئ،
ذلك الموج الذى بلل رأسى رذاذه
المنعش مرات عدة وأنا راقد فى كهفى،
يا جبل هرميس، يا من كنت تردد
صدى صرخاتى التى كنت أطلقها
حينما تشتد علىَّ آلامى،
الآن سوف أغادركم، سوف
أغادرك بالفعل يا ينابيع ليكيوس، ويا أيتها البئر،
وهو الأمر الذى ما توقعته قط.

Φιλοκτήτης

ὦ φθέγμα ποθεινὸν ἐμοὶ πέμψας
χρόνιός τε φανείς,
οὐκ ἀπιθήσω τοῖς σοῖς μύθοις.

Νεοπτόλεμος

κἀγὼ γνώμην ταύτῃ τίθεμαι.

Ἡρακλῆς

μὴ νυν χρόνιοι μέλλετε πράσσειν·
καιρὸς καὶ πλοῦς
ὅδ᾽ ἐπείγει γὰρ κατὰ πρύμνην.

Φιλοκτήτης

φέρε νυν στείχων χώραν καλέσω.
χαῖρ᾽, ὦ μέλαθρον ξύμφρουρον ἐμοί,
νύμφαι τ᾽ ἔνυδροι λειμωνιάδες,
καὶ κτύπος ἄρσην πόντου προβολῆς,
οὗ πολλάκι δὴ τοὐμὸν ἐτέγχθη
κρᾶτ᾽ ἐνδόμυχον πληγαῖσι νότου,
πολλὰ δὲ φωνῆς τῆς ἡμετέρας
Ἑρμαῖον ὄρος παρέπεμψεν ἐμοὶ
στόνον ἀντίτυπον χειμαζομένῳ.
νῦν δ᾽, ὦ κρῆναι Λύκιόν τε ποτόν,
λείπομεν ὑμᾶς, λείπομεν ἤδη
δόξης οὔ ποτε τῆσδ᾽ ἐπιβάντες.

وداعًا يا جزيرة ليمنوس التى يحيط بها البحر،
ولا تلومينى، ولكن أرسلينى على الفور
إلى حيث يقودنى القدر العظيم،
وإلى حيث يطلب منى أصدقائى،
والإله العظيم (زيوس) الذى دبر كل هذا.

الكورس

بعد أن ابتهلنا إلى حوريات البحر،
هيا بنا ننطلق،
علنا نعود إلى وطننا سالمين.

χαῖρ᾽, ὦ Λήμνου πέδον ἀμφίαλον,
καί μ᾽ εὐπλοίᾳ πέμψον ἀμέμπτως,
ἔνθ᾽ ἡ μεγάλη Μοῖρα κομίζει
γνώμη τε φίλων χὠ πανδαμάτωρ
δαίμων, ὃς ταῦτ᾽ ἐπέκρανεν.

Χορός

χωρῶμεν δὴ πάντες ἀολλεῖς,
νύμφαις ἁλίαισιν ἐπευξάμενοι
νόστου σωτῆρας ἱκέσθαι.

الهوامش

١ – يصف سوفوكليس جزيرة ليمنوس هنا بأنها جزيرة غير مأهولة بالسكان ولم تطأها قدم بشر (سطر ٢)، ولكنّ كثيرًا من المصادر الأخرى تصورها جزيرة مأهولة بالسكان. وقد اختار سوفوكليس هذه الرواية الأسطورية حتى يؤكد معاناة فيلوكتيتس المضاعفة: فهو جريح كسيح بسبب جرح قدمه، ووحيد إلى أقصى درجات الوحدة، حيث لا يوجد معه على الجزيرة التى ألقاه فيها الإغريق سوى الحيوانات المتوحشة – والتى تشكل خطرًا على حياته – وبعض الطيور التى يعانى الأمرين لكى يصطادها ويملأ معدته الخاوية (سطور ٢٨٥ – ٢٨٩).

٢ – منطقة ماليس: تقع هذه المنطقة وسط مجموعة من التلال التى تكثر فى منطقة تراخيس، حيث تنتشر مراعى الأغنام، ولذا يرى البعض أن الاسم يعنى " أرض الأغنام ".

٣ – يحاول أوديسيوس تأكيد أنه ترك فيلوكتيتس وحيدًا على جزيرة ليمنوس تنفيذًا لأوامر الجيش، وليس لرغبة شخصية منه. ويحاول أن يلتمس لهم بعض العذر فيما فعلوه بسبب صيحات فيلوكتيتس المزعجة التى لم تمكنهم من تقديم القرابين، أو إقامة الصلوات للآلهة، أو التمتع ببعض الراحة (سطور ٦ – ١١).

٤ – كان من المعتاد فى أثناء تقديم القرابين إلى الآلهة أن يسود الصمت التام أنحاء المكان، فلا يرتفع صوت بسوى تلاوة الصلوات والدعاء والابتهال إلى الآلهة، ولا يُسمح بأية أصوات تنذر بالشر، مثل الصراخ والعويل.

٥ – كانت جزيرة ليمنوس جزيرة صخرية تكثر فيها البراكين، ولذلك يتوقع أوديسيوس أن يكون النبع أو النافورة التى يصفها لينوبتوليموس قد اختفت أو غطتها الحمم البركانية التى ظهرت فى أعقاب ثورة بركانية حدثت طوال السنوات العشر الماضية منذ أن ترك فيلوكتيتس على الجزيرة وحيدًا.

٦ – لا يستخدم هوميروس فى ملحمة " الإلياذة " اسمًا واحدًا يشمل الإغريق كافة؛ ولكنه يستخدم أسماء متعددة، فهو يتحدث عن الأخيين والأرجيين والدانائيين، ولا يستخدم كلمة هيلاس Hellas لسوى وصف منطقة محددة فى منطقة ثيساليا. ولم يذكر لفظ الأيونيين سوى مرة واحدة (الكتاب ١٣، ٦٨٥)، ولكن هذا اللفظ يؤخذ على أنه يشير إلى الأثينيين فقط.

٧ – خصص سوفوكليس مسرحية " أياس " بالكامل لقصة التنافس على نيل أسلحة أخيليوس بعد موته. وتصور المسرحية الإحباط والغضب اللذين أصابا أياس بعد تفضيل أوديسيوس عليه وحصوله على هذه الأسلحة الشهيرة. ولمزيد من التفصيل انظر:

سوفوكليس: أياس. ترجمة وتقديم وتعليق د. منيرة كروان، المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٨.

٨ – يطلق سوفوكليس على طروادة اسم أرض دردانوس، إذ تنسب الأساطير إلى دردانوس تأسيس مدينة طروادة. ويرجع نسب دردانوس إلى كبير الآلهة زيوس، شأنه شأن بعض البشر الذين تحفل بهم الأساطير. وقد أنجب دردانوس الملك الطروادى الشهير برياموس الذى دُمرت طروادة تمامًا فى عهده. ويذكر هوميروس على لسان الإله بوسيدون أن كبير الآلهة أحب دردانوس أكثر من كل أبنائه الذين ولدوا له من بنات البشر (الكتاب ٢٠، ٣٠٤ – ٣٠٥).

تقول بعض الروايات الأسطورية إن منطقة أركاديا التى كان يحكمها دردانوس حدث فيها طوفان مدمر أغرق أرضها وجعلها غير صالحة للزراعة، وبذلك رحل حاكمها عنها هو وشعبه، وعند وصوله إلى ثاموتراس أسس مدينة داردانيا التى عُرفت فيما بعد باسم طروادة.

لمزيد من المعلومات، انظر:

جيمس فريزر: الفلكلور فى العهد القديم. جـ١. ترجمة: نبيلة إبراهيم، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٢٠٠ – ٢٠٣.

د. مجدى الهوارى: صورة الطوفان فى المصادر الكلاسيكية ومدى ارتباطها بمصادر الشرق الأدنى القديمة. أوراق كلاسيكية، العدد ٦، ٢٠٠٦، ص ٧٥١ – ٧٨٦.

٩ – تظهر الربة أثينة فى المصادر الملحمية دائمًا فى صف أوديسيوس، سواء فى السلم أو الحرب. ولذلك يظهرها الشاعر سوفوكليس فى مسرحياته وهى تقف وراء أوديسيوس تؤازره وتحميه. انظر على سبيل المثال موقفها الداعم لأوديسيوس فى مسرحية أياس.

سوفوكليس: أياس. ترجمة وتقديم وتعليق د. منيرة كروان. المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٨.

١٠ – إن كلمة " ربما " هنا لا تعنى الشك فى نبل مولد فيلوكتيتس؛ ولكنها تضفى بعض الغموض على تخمين الكورس بأنه ليس هناك شخص أكثر نبلاً منه. وقد استخدم الشاعر الطريقة نفسها فى التعبير فى مسرحية بنات تراخيس (سطر ٣٠٠)، وذلك عندما تقول ديانيرا عن الأسيرات اللاتى أحضرهن ليخاس:

انظر إلى هؤلاء الأسيرات المنكوبات. فهن يضعن

أقدامهن على أرض غير أرضهن، منفيات
بلا وطن... بلا أهل. ربما كن من قبل
سليلات آباء أحرار الحسب والنسب
أما الآن فقد حكم عليهن بحياة الأسر والعبودية.

فديانيرا تعرف جيدًا أن هؤلاء الأسيرات كن ينتمين إلى عائلات عريقة، ولكنها لا تعرف عائلاتهن وأسماء آبائهن وأجدادهن بالتحديد.

١١ – لقد أصيب فيلوكتيتس بلدغة من حية سامة كانت مكلفة بحماية معبد الربة خريسى المقام فى جزيرة خريسى. ويصفها نيوبتوليموس بأنها قاسية القلب؛ لأنها عاقبت فيلوكتيتس عقابًا قاسيًا مبالغًا فيه على تطفله على المعبد. انظر:

Sophocles: Philoctetes, with commentary by E.S. Shuckburgh, Cambridge 1906, p. 82.

١٢ – تصف بعض الكتابات القديمة مظهر فيلوكتيتس الوحشى عندما ذهب إليه فى جزيرة ليمنوس أوديسيوس وديوميدس. وتجمع كلها على بشاعة منظره، فقد كان أشعث الشعر، طويل اللحية، رث الثياب، لونت الشمس بشرته فأصبحت داكنة اللون، يبدو بالكاد كأحد البشر.

١٣ – نلاحظ هنا اندفاع فيلوكتيتس فى الحديث، فهو يطرح السؤال تلو الآخر دون أن ينتظر الإجابة؛ وذلك لطول الفترة التى ظل فيها وحيدًا، ومن ثم لم يخاطب أحدًا من البشر.

١٤ – يقصد أوديسيوس من أيثاكا التى كان يُطلق عليها فى البداية اسم كيفالينيا (Cephallenia) حسب رأى هيرودوت (٢٤٠٩). ومن الواضح أن الشاعر يستخدم هذا الاسم ليوحى بعدم الارتياح لسكان هذه المنطقة الذين كانوا يتسمون بالمكر والخداع. كما يذكر ثوكوديديس مهارتهم فى نصب الشراك المميتة (٣٣٠٢).

١٥ – تقول الأسطورة إن نيوبتوليموس بن أخيليوس ولد فى مدينة سكيروس (Scyros)، وظل فيها تحت رعاية جده لأمه ليكوميديس (Lycomedes) إلى أن ذهب إلى طروادة بعد موت أبيه، وهكذا فإن قول الابن إنه لم يرَ أباه قول صحيح ومتفق مع ما جاء فى ملحمة الإلياذة من أن المكان الذى اتجه منه أخيليوس إلى طروادة كان مدينة فثيا (Phthia) (الكتاب ١١، ٧٦٧).

١٦ – سيجيوم هو رأس بحرى ممتد فى البحر، وبالقرب منه كانت هناك ربوة عالية كانت تسمى "قبر أخيليوس"؛ ولهذا السبب يصفه نيوبتوليموس بالقسوة، حيث يذكره بموت أبيه.

١٧ - تقول الأسطورة إن ميداس مؤسس مدينة أنكورا (أنقرة حاليًا) كان يحب الذهب بشدة، ولذلك طلب من الإله ديونيسوس أن يتحول كل ما تلمسه يده إلى ذهب. استجاب الإله لطلبه. فرح ميداس فى البداية، لكنه اكتشف أن حياته تحولت إلى جحيم؛ إذ عانى الجوع والعطش بعد تحول طعامه وشرابه إلى ذهب عندما تلمسه يده. توسل إلى الإله أن يتنازل عن طلبه. نصحه ديونيسوس أن يستحم فى مياه نهر باكتولوس ففعل. ومنذ ذلك الحين أصبح النهر يحتوى على رمال من الذهب.

لمزيد من التفصيل انظر:

د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، الجزء الثالث، ص ٣٧٢.

١٨ - كانت أسلحة أخيليوس الذهبية تُعد من العجائب، وقد صنعها له الإله هيفايستوس. وقد خصص هوميروس جزءًا كبيرًا من الكتاب الثامن عشر لوصف الدرع الجديدة التى صنعها الإله لأخيليوس بدلاً من تلك التى أخذها صديقه باتروكلوس عندما نزل إلى أرض المعركة واستولى عليها الطرواديون. وقد أثار وصف درع أخيليوس وما عليها من زخرفة كثيرًا من المناقشات فى كتب التاريخ والأدب والفن.

١٩ - الربة كيبيلى (Cybele) كانت واحدة من بين أقدم الربات التى اعتبرها الفلاسفة تجسيدًا للأرض باعتبارها مركزًا للأرض. يكرمها أتباع الربة برقصة يؤدونها وهم مسلحون بالحراب والدروع مع نغمات الفلوت والطبول والدفوف. وكانت ترسم فى اللوحات بصحبة الأسود.

٢٠ - كان من بين المحاربين فى جيش الإغريق قائدان يحملان اسم أياس: أياس بن تيلامون، وأياس بن أويليوس. ويطلق عليهما هوميروس فى الإلياذة لقب الثنائى أياس، حيث كانا فى الغالب يحاربان معًا (الكتاب ٤، ٢٥٠؛ الكتاب ٥، ٥١٩؛ الكتاب ٦، ٤٣٦؛ الكتاب ١٧، ٥٠٧، ٥٣١، ٦٦٨ - ٦٦٩، ٧٠٧، ٧٣٢، ٧٤٧، ٧٥٢؛ الكتاب ١٨، ١٥٧، ١٦٣).

٢١ - يشير سوفوكليس هنا إلى إحدى الروايات الأسطورية التى تحاشى هوميروس ذكرها، والتى تقول إن أنتيكليا حملت سفاحًا من سيسيفوس، وبعد ذلك مباشرة تزوجت لائرتيس ونسبت إليه أوديسيوس. وهى الرواية التى ذكرها أيسخولوس أيضًا فى إحدى الشذرات (شذرة رقم ١٦٩).

٢٢ - مع أن أنتيلوخوس بن نيستور كان لا يزال حيًا حتى انتهاء ملحمة الإلياذة، فإن المصادر التالية تشير إلى موته. تكتفى الأوديسية بالإشارة إلى موته (الكتاب ٤، ١٨٨)، ولكنها لا تشير إلى الرواية التى اشتهرت فى المصادر التالية من أنه مات دفاعًا عن أبيه. وهى الرواية التى جاءت فى ملحمة الأثيوبية لأركتينوس لأول مرة، ثم بنداروس بعد ذلك (البيثية السادسة، سطر ٣٨ وما يليه).

٢٣ – ذاعت شهرة ثيرسيتيس (Thersites) باعتباره الشخص الوحيد من بين الجنود العاديين الذى تجرأ على الحديث والتعبير عن رأيه أمام الملوك والقادة الإغريق. يذكر هوميروس أن ثيرسيتيس (والذى يعنى اسمه الجرئ) وجه نقدًا لاذعًا إلى أجاممنون – راعى الشعوب – وسط اجتماع عام، ولكن أوديسيوس ضربه بصولجانه الذهبى فجلس مذعورًا وهو يمسح دموعه. ويصفه هوميروس بقوله:

ثرسيتيس الذى لا ينتهى حديثه والذى يعشش فى
ذهنه قدر كبير من اللغة البذيئة التى يتطاول بها على الملوك
فى ألفاظ تافهة، لا رابط بينها، وإنما تبدو له وكأنها تثير
الضحك بين الأرجيين. كان هذا الرجل هو أبأس من أتى
إلى إليون وأكثرهم مدعاة للكراهية، مقوس الساقين، أعرج
فى إحدى قدميه، تكاد كتفاه تلتقيان أمام صدره بينما يعلوهما
رأس محدودب نمت فوقه بضع شعيرات قصيرة.

(الكتاب ٢، ٢١٢ – ٢١٩)

٢٤ – أسند الإغريق إلى كبير الآلهة كثيرًا من الوظائف، ومنحوه ألقابًا متباينة؛ وذلك لتباين اهتماماته وتنوعها، سواء المرتبط منها بالطبيعة والظواهر الكونية أو بحياة البشر على الأرض؛ ولذلك يصفه فيلوكتيتس بالإله الذى يجيب دعوة المضطر. لمزيد من التفصيل عن مهام زيوس ووظائفه انظر: د. عبد المعطى شعراوى: المرجع السابق، جـ٣، ص ٣١ – ١٠٤.

٢٥ – تظهر هذه الفكرة مرارًا وتكرارًا فى مسرح سوفوكليس. فعلى سبيل المثال تقول الربة أثينة فى مسرحية أياس:

فلتأخذ عبرة مما ترى (من تقلبات الدهر)
ولا تجعل لسانك ينطق بكلام سيئ فى حق الآلهة.
إذا كنت تتمتع بالقوة أو السلطة، أو إذا كانت لك ثروة عظيمة
فإن يومًا واحدًا كفيل بتغيير حظ البشر،
فقد يرفع البعض ويحطم البعض الآخر.

(أياس، ١٢٨ – ١٣٢)

كما يؤكد الكورس تقلب حظ البشر من السعادة إلى الشقاء فى لحظة واحدة، فلا شيء ثابت وأزلى:

هذا هو أوديب الذى عرف حل اللغز الشهير، ولم يكن
هناك شخص لا يحسده على نجاحه وعلى قوته،
ها هو الآن يعانى هذا المصير المؤلم.
ولذلك يجب على المرء أن ينتظر حتى اليوم
الأخير من حياة أى إنسان ولا يعتبره سعيدًا
قبل أن يُنهى حياته دون ألم.

(أوديب ملكًا، ١٥٢٥ – ١٥٣٠)

٢٦ – لقد اختار سوفوكليس ولدىّ ثيسيوس لتعقب نيوبتوليموس؛ نظرًا إلى العداوة القديمة التى تربطهما بجد نيوبتوليموس لأمه. تقول بعض المصادر إن ثيسيوس قتل غدرًا فى مدينة سكيروس بواسطة ليكوميديس جد نيوبتوليموس، ويظهر ولدا ثيسيوس، ديموفون (Demophon) وأكاماس (Acamas) فى مسرحية يوربيديس " أبناء هيراكليس " (سطور ١١٩ – ١٢٥).

٢٧ – تقول الأسطورة إن الملك برياموس – ملك طروادة – أنجب كثيرًا من البنات والأبناء اختلفت الروايات فى عددهم، ولكنهم يزيدون على الخمسين ابنًا وبنتًا، وهو ما يفهم من حديثه لأخيليوس فى نهاية الإلياذة، حيث يقول له فى محاولة لاستعطافه حتى يعيد إليه جثمان هيكتور ليقيم له شعائر الدفن المناسبة:

لقد كان لى خمسون من البنين عندما حضر أبناء الأخيين.
تسعة عشر منهم من رحم واحد
أما الآخرون فقد أنجبتهم لى نساء أخريات داخل القصر.

(الإلياذة، الكتاب ٢٤، ٤٩٥ – ٤٩٧)

ولكن هيلينوس الذى يشير إليه وإلى نبوءته سوفوكليس هنا كان لا يزال حيًا وحرًا داخل أسوار وطنه حتى نهاية الملحمة.

٢٨ – تقول الأسطورة إن سيسيفوس الماكر تحايل على آلهة العالم السفلى وخدعهم حتى يهرب من مملكة الموتى. فقد اتفق الماكر مع زوجته أن تترك جثته دون أن تدفنها إذا مات. وعندما

حان أجله وذهبت روحه إلى هاديس توسل إلى آلهة العالم السفلى أن تسمح له بالصعود إلى عالم الأحياء حتى يعاقب زوجته على ترك جثته دون دفن، ولكنه خدعهم وبقى فى عالم الأحياء. ولكن زيوس نجح فى الإيقاع به وعاقبه بقسوة. د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، جـ١، ص ٢٥٨ – ٢٥٩.

٢٩ – يشير الكورس هنا إلى قصة إكسيون باعتباره نموذجًا لنكران الجميل والجحود، ومن ثم يكون نقيضًا لحالة فيلوكتيتس التقى الذى نال أسلحة هيراكليس كهدية شكر وعرفان بالجميل. تقول الأسطورة إن إكسيون هو أول قاتل الأقارب فى التاريخ. فقد قتل والد عروسه. ولم يؤدِ له طقوس التطهر من الدم الذى لوث يديه سوى زيوس شخصيًا بعد أن رفض البشر ذلك. وعندما صعد إلى الأوليمبوس للتطهر لم يراع حرمة مضيفه وصاحب الفضل عليه وحاول الاعتداء على هيرا، ولكنها تحولت إلى سحابة لتهرب منه. عاقبه زيوس على جريمته بأن ربطه بعجلة من النيران إلى الأبد. وقد ذكر الشاعر بنداروس هذه الأسطورة فى البيثية الثانية.

٣٠ – توضح الخطب القضائية الأثينية أن هذا التعبير كان يدل على حالة المواطن المثالى الذى لا يعتدى على أحد، ولا يسمح لأحد بالاعتداء عليه، حيث إن العلاقات الطيبة تربطه بكل من يحيط به (انظر على سبيل المثال خطبة ليسياس الثانية عشرة).

٣١ – توضح شذرة رقم ٢٥٠ من مسرحية فيلوكتيتس للشاعر أيسخولوس أن فيلوكتيتس كان يناجى الموت أيضًا ويتوسل إليه يخلصه من ألمه.

Shuckburgh. E.S.: Op. Cit., p. 148.

٣٢ – تصور الإغريق أن ربة الليل (Nux) أنجبت ولدين: ثانتوس إله الموت، وهيبنوس إله النوم. ويشى هذا بتصورهم أن الموت ما هو إلا نوم أبدى، أو أن النوم هو موت مؤقت. لمزيد من التفصيل انظر:

د. ميرة كروان: العالم الآخر فى المسرح الإغريقى، دار المعارف، ١٩٩٣.

٣٣ – بعد اتفاق فيلوكتيتس ونيوبتوليموس على مغادرة الجزيرة، وحينما يستعد فيلوكتيتس للتوجه إلى السفينة يُصاب نيوبتوليموس بالحيرة ولا يعرف ماذا يفعل، فإن فيلوكتيتس سوف يكتشف خداعه وكذبه لحظة وصوله إلى السفينة ورؤيته أوديسيوس فيها. ولكن فيلوكتيتس يعتقد أنه تراجع عن فكرة أخذه معه على السفينة لنفوره من جراحه المتقيحة ومن رائحته المنفرة.

٣٤ – كان فيلوكتيتس يخاطب نيوبتوليموس دومًا بكلمة يا بنى أو يا ولدى، وهذه هى المرة الأولى والأخيرة التى يخاطبه فيها مستخدمًا كلمة "يا سيدى"، وهو ما يوحى بأن أواصر الصداقة وروابط الحب التى ربطت بينهما قد قطعت لبعض الوقت نتيجة كشف فيلوكتيتس خداع نيوبتوليموس وكذبه.

لمزيد من التحليل انظر:

د. منيرة كروان: الصمت ووظيفته الدرامية فى التراجيديا اليونانية. الكتاب السنوى الثالث للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، القاهرة، ١٩٩٨.

٣٥ – يخاطب فيلوكتيتس هنا النار المنبعثة من بركان جزيرة ليمنوس الشهير، ويعلن عن رغبته فى أن تحرق هذه النيران جسده كى تخلصه من آلامه ومن حياته البائسة، ولكنَّ كثيرًا من الدارسين ربطوا بين هذه النار البركانية والنيران التى أحرقت جسد البطل هيراكليس وتحول بعدها إلى إله، ومن ثم اعتبروا تلك إشارة إلى أن فيلوكتيتس سوف يلقى التكريم نفسه أيضًا.

٣٦ – الإله هيفايستوس إله النار وإله كل أنواع الفنون التى تحتاج إلى النار. تقول الأساطير إن زيوس كبير الآلهة أنجبه من هيرا. وعندما اكتشف أنه قمىء المنظر ألقى به من السماء فنزل فى جزيرة ليمنوس، حيث استقبلته قبيلة السنتييس التى كانت تسكن الجزيرة فى العصور القديمة. أصبحت ليمنوس مكانه المفضل، وهناك أنشأ ورشته.

لمزيد من التفصيل انظر:

د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، جـ٣، ص ٤٧٧.

٣٧ – يشير فيلوكتيتس هنا إلى أن أوديسيوس قد تسبب فى إيذائه من قبل عندما تركه فى جزيرة ليمنوس وحيدًا قبل عشر سنوات.

٣٨ – يقصد ادعاءه الجنون حتى لا يشارك فى الحرب الطروادية، وهى الحادثة التى سبقت الإشارة إليها فى حاشية رقم ٤٢ ضمن حواشى المقدمة.

٣٩ – فى الكتاب الثانى فى ملحمة الإلياذة، والمشهور باسم كتالوج السفن، يقول هوميروس إن فليوكتيتس أبحر مع القوات الإغريقية ومعه سبع سفن:

أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى ميثونى وثاوميكا وفى
ميليبويا وأوليزون الوعرة، فقد كان يقودهم هم وسفنهم
السبع فيلوكتيتس الذى يجيد الرماية. وقد كان فى كل
سفينة خمسون مجدفًا تمرسوا فى القتال بالقوس.

(الإلياذة، الكتاب ٢، ٧١٦ – ٧٢٠)

٤٠ – يعتبر فيلوكتيتس ذهابه إلى طروادة أمرًا كريهًا، بل أكثر كراهية من وجهة نظره من الموت نفسه؛ لذلك يستخدم سوفوكليس فعلاً عبر عن المعاناة، سواء الجسدية أو النفسية.
Shuckburgh. E.S.: Op. Cit., pp. 186 – 7.

٤١ – يعتقد بعض النقاد أن سوفوكليس يشير هنا إلى حادثة حقيقية ذكرها المؤرخ هيرودوت فى كتابه التواريخ. يقول هيرودوت: " إن كليومينيس أصابته لوثة من الجنون فحبسه أقاربه فى كوخ خشبى وتركوا لحراسته أحد العبيد. طلب كليومينيس من العبد أن يعطيه سكينًا ولكنه رفض، فهدده كليومينيس وتوعده بأبشع العقاب، فخاف العبد وأعطاه ما طلب. أخذ كليومينيس السكين وبدأ فى تقطيع جسده جزءًا جزءًا من قدميه ثم أردافه، وعندما وصل إلى نصفه العلوى فارق الحياة (هيرودوت ٦، ٧٥).

٤٢ – عندما يعيد نيوبتوليموس القوس إلى صاحبه تعود مشاعر الحب من نفس فيلوكتيتس لتتدفق تجاه نيوبتوليموس، الشاب النبيل، الذى لم يثبت نبل أصله فقط بهذا التصرف؛ بل حفظ على فيلوكتيتس حياته عندما أعاد إليه القوس الذى يصطاد به ما يقيم أوده، وما يدافع به عن حياته ضد الحيوانات المفترسة، ولذلك يخاطبه فيلوكتيتس مرة أخرى بكلمة ولدى الحبيب.

٤٣ – من بين مهام زيوس أنه كان يعاقب وبشدة كل من يحنثون بالعهود؛ ولذلك أطلقوا عليه من بين ألقابه الكثيرة: Zeus Horkios، أى الذى يحفظ العهود ويعاقب من ينقضونها.

٤٤ – يقدم نيوبتوليموس هنا وجهة النظر التى ترى أن ما أصاب فيلوكتيتس كان جزءًا من خطة إلهية محكمة حتى لا يوجه سهامه السامة من قوس هيراكليس الشهير ضد طروادة قبل الأوان. فقد قضت الآلهة أن تظل طروادة حصينة مدة عشر سنوات، كما قضت أنها لن تسقط إلا إذا كان فيلوكتيتس – مالك قوس هيراكليس – بين صفوف الإغريق، ومن ثم كان من المحتم أن يُصاب فيلوكتيتس بلدغة الثعبان السام فى بداية الحملة، وأن تتقيح جروحه حتى ينفر منه زملاؤه ويتركوه وحده فى جزيرة ليمنوس حتى يحين أوان تدمير طروادة.

٤٥ – تقول الأسطورة إن الإله أبوللو تزوج إحدى الحوريات، ولكنها خانته مع أحد البشر، فرماها بسهم قاتل. ثم عاد وتملكه الحزن على ما فعل بسبب حبه الشديد لها. وعندما أيقن أنه لن يستطيع أن ينقذها ويعيد إليها الحياة انقض على جثمانها الممدد على المحرقة وأنقذ جنينها الكامن فى أحشائها وأسلمه إلى القنطور خيرون (Chiron) الحكيم، وهو ما جعل أسكليبيوس يبرع فى فن الطب والتطبيب ويعرف جميع أسرار العشب حتى بلغ أن يعيد الحياة إلى الموتى، وصار إله الطب بين الإغريق. وتنسب الأساطير إلى أسكليبيوس ولدين برعا مثل

أبيهما فى الطب والجراحة، وإن كان هوميروس لا يذكر فى الإلياذة سوى ابن واحد فقط هــو ماخاؤن (Machaon). (الإلياذة الكتاب ٢، ٧٣٢، الكتاب ٤، ١٩٣، ٢٠٠، ٢١٠، الكتاب ١١، ٥٠٦، ٥١٢، ٥١٧، ٥٩٧لا، ٦١٣، ٦٥١، ٨٣٣).

٤٦ – يشير فيلوكتيتس هنا إلى واقعة إعطاء الإغريق أسلحة أخيليوس لأوديسيوس وحرمان أياس منها؛ مما كان السبب فى انتحاره، وهى الواقعة التى أفرد لها سوفوكليس مسرحية كاملة هى أياس.

٤٧ – لفت ظهور الإله هيراكليس فجأة أنظار النقاد والدارسين، فهذه هى المرة الأولى تقريبًا التى تظهر فيها شخصية على المسرح الإغريقى دون الإعلان عنها.

Shuckburgh, E.S.: Op. cit., p. 210.

٤٨ – يؤكد سوفوكليس هنا فكرة تأليه هيراكليس واستقراره فى السماوات العلا مع باقى الآلهــة والإلهات.

٤٩ – تقول الأسطورة إن كبير الآلهة زيوس أعجب بعدالة باريس بن برياموس وحياده، وأراد أن يكافئه فأسند إليه مهمة التحكيم بين الربات الثلاث هيرا وأثينة وأفروديتا، فيما اشتهر بقصـــة التفاحة الذهبية. منح باريس الجائزة إلى أفروديتا؛ مما أدى إلى قيام الحرب الطروادية.

لمزيد من التفصيل انظر:

Guerber. H.A: The Myths of Greece and Rome , London, 1981, p. 225, Rose, H.J: A Handbook of Greek Mythology, 3rd ed. London 1945, p. 234.

٥٠ – كان من الشائع فى الأساطير الإغريقية وصف زيوس بكلمة الأب (Pater) باعتباره كبيــر الآلهة الذى تزوج هيرا وأنجب منها ومن غيرها كثيرًا من الآلهة والبشر.

لمزيد من التفصيل انظر:

د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، جـــ٣، ص ٢٩ – ١٠٤.

المؤلف فى سطور:

سوفوكليس

وُلد الشاعر التراجيدى سوفوكليس عام ٤٩٧ ق.م.، ومات عام ٤٠٦ ق.م، فحياته تبدأ ببداية القرن الخامس ق.م وتنتهى بنهايته، وهو القرن التى يطلق عليه «العصر الذهبى فى تاريخ أثينا».

شغل بعض المناصب الدينية العامة، وانتخب قائدًا عامًّا مرتين. تجمع المصادر القديمة على أنه عاش فى سعادة، ومات قبل أن يصيبه أى أذى.

كتب ما يزيد على مائة مسرحية، لكن لم يصل إلينا منها كاملاً سوى سبع مسرحيات فقط، أشهرها «أوديب ملكا»، و«أنتيجونى» التى يقال إنها كانت السبب فى انتخابه قائدًا عامًّا لشدة إعجاب الجمهور الأثينى بها.

تعكس مسرحياته اهتمامه الشديد بالإنسان، وتشى أشعاره بعمق معرفته بالطبيعة الإنسانية، فهو يشبه الفنانين القدامى؛ إذ يقدم نسخة للإنسان تشبه الأصل، لكنها أكثر جمالاً، وأكثر مثالية. تتسم لغته بالنعومة والدفء والسلاسة، لكنها تتسم بالقوة والوقار فى الوقت نفسه. وصفه أحد الفلاسفة القدامى بقوله: إن هوميروس هو سوفوكليس الملاحم، وإن سوفوكليس هو هوميروس التراجيديا.

المترجمة فى سطور:

منيرة كروان

- أستاذ بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب، جامعة القاهرة.
- حصلت على الدكتوراه عام ١٩٨٨ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف.

من أعمالها المؤلَّفة

- العالم الآخر فى المسرح الإغريقى، القاهرة ١٩٩٣ (دار المعارف).
- تأملات فى الأدب الإغريقى، القاهرة، ٢٠٠٤.

من أعمالها المترجَمة

- اللغة والأسطورة، القاهرة ١٩٩٧ (دار عين للدراسات والنشر).
- أثينا السوداء (بالاشتراك مع آخرين)، القاهرة ١٩٩٧ (المشروع القومى للترجمة). وقد حصل هذا الكتاب على جائزة أفضل عمل مترجم فى معرض القاهرة الدولى للكتاب عام ١٩٩٨.
- الحسد والإغريق، القاهرة ١٩٩٨ (المشروع القومى للترجمة).
- نظام العبودية القديم، القاهرة ١٩٩٥ (المشروع القومى للترجمة).
- التجربة الإغريقية، القاهرة ٢٠٠٠ (المشروع القومى للترجمة).
- إلياذة هوميروس (بالاشتراك مع آخرين)، القاهرة ٢٠٠٤ (المشروع القومى للترجمة).
- المرأة فى أثينا، القاهرة ٢٠٠٥ (المشروع القومى للترجمة).
- موسوعة كمبريدج للنقد الأدبى (بالاشتراك مع آخرين)، القاهرة ٢٠٠٥ (المشروع القومى للترجمة).

- حصلت على جائزة أوديسيوس (مناصفة) عام ٢٠٠٢ من السفارة اليونانية بالقاهرة عن مجمل أعمالها.
- حصلت على درع المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٤ لإسهامها فى ترجمة إلياذة هوميروس من اليونانية إلى العربية.

التصحيح اللغوى: أحمد رمضان

الإشـــراف الفنى: حســـن كامل

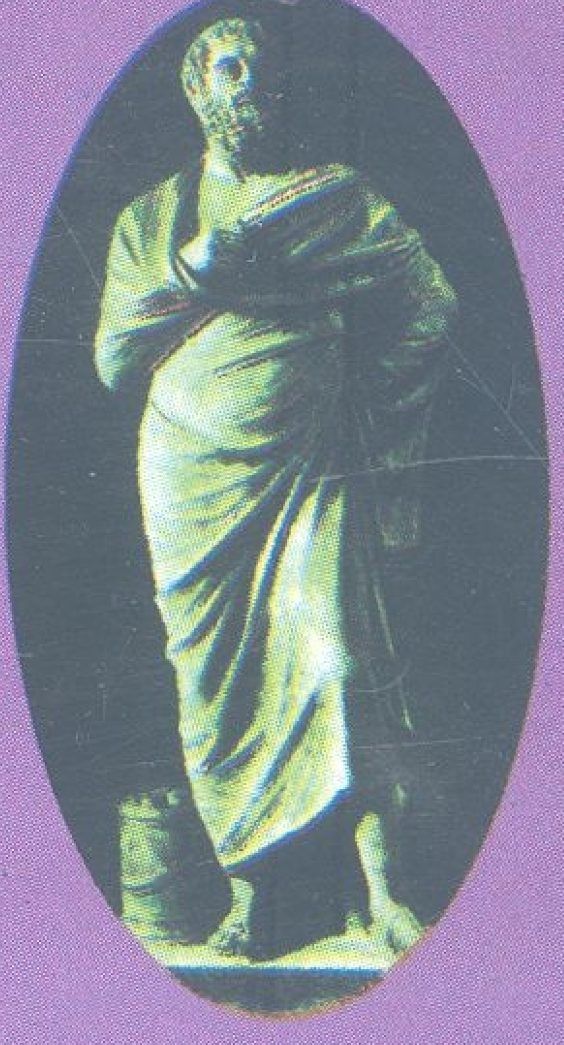

سوفوكليس

فيلوكتيتس

ترجمة وتقديم وتعليق: منيرة كروان

يرى البعض أن مسرحية فيلوكتيتس تعالج قضية التوازن الأمثل بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، وإلى أى مدى يجب على الفرد أن يقمع إرادته الخاصة لمصلحة مجتمعه، وإلى أى مدى يجوز للفرد أن يتجاهل المجتمع ليفعل ما يعتقد شخصياً أنه الصواب، ومن ثم فإنها تعالج عملية النضج من مثالية المراهقة إلى مسئوليات المواطنة الراشدة. وما كان من الممكن أن يحدث ذلك إلا من خلال قوة عليا، تسمو على المصالح الشخصية والعواطف الآنية. وقد تمثلت هذه القوة العليا فى شخص هيراكليس، الإنسان - البطل - الإله، صاحب القوس الأصلى، الذى تربطه علاقة صداقة وثيقة بفيلوكتيتس، الذى عانى كثيراً ولم تمنحه الشدائد سوى قوة على قوته، فتحول بسبب معاناته من بشر فان إلى إله خالد، وهو ما يحمل إشارة ضمنية أيضاً إلى مصير فيلوكتيتس.

Bibliotheca Alexandrina
07521177